المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية
مكة المكرمة

سلسلة الرسائل العلمية الموصي بطبعها
(٣٦)

مجلة (البيان)
لعبد الرحمن البرقوقي

مكانتها وأثرها في تطور الأدب الحديث

إعداد
فايزة بنت أحمد مصلح الحربي

١٤٢٤ هـ

(ح) جامعة أم القرى ، ١٤٢٣ هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

مجلة (البيان) لعبد الرحمن البرقوقي مكانتها وأثرها في تطور الأدب الحديث

فايزة أحمد مصلح الحربي

٤٠٠ ص ٢٤ × ١٧ سم .

ردمك : ٥ - ٥٩٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠

١ - الأدب العربي - دوريات ٢ - الدوريات العربية أ - العنوان

ديوي ٨١٠ ٢٣/١٧٦٢

رقم الايداع : ٢٣ / ١٧٦٢

ردمك : ٥- ٥٩٠ - ٠٣ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

أصل هذا العمل رسالة ماجستير بعنوان :
(مجلة البيان لعبد الرحمن البرقوقي « مكانتها وأثرها في تطور الأدب الحديث ») كلية اللغة العربية - قسم الدراسات العليا - فرع الأدب وقد أوصت لجنة المناقشة بطبعها .

وبالله التوفيق

الملخــص

الموضوع :

مجلة « البيان» لعبد الرحمن البرقوقي مكانتها وأثرها في تطور الأدب الحديث

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة عن مجلة « البيان - التي صدرت في عام ١٩١١م - توضح مكانتها ودورها في دفع مسيرة الحركة الأدبية المعاصرة، وأثرها على الأدب العربي الحديث ،وذلك من خلال عرض لأبواب الفنون والقضايا والموضوعات الأدبية التي قدمتها « البيان » ، وبيّنت الدراسة التحليلية الاستقرائية للمادة الأدبية ما خدمت به « البيان » كلاً من الأدب والنقد والثقافة طيلة عمرها الذي امتد زهاء عشر سنوات . وقد عنى البحث بمنهج المجلة والخطة التي سارت عليها ، وهو منهج يتصف بالجمع بين (الأصالة والمعاصرة) أو (وصل الحاضر بالماضي) أي باسترفاد التراث العربي، والأخذ بالرفيع والمفيد من الثقافة الأوروبية . وبفضل هذا المنهج حظيت « البيان » بمكانة رفيعة، واحتلت مقام الريادة والنموذج لعدد من المجلات المعاصرة واللاحقة . اضافةً إلى اكتمال الفنون الأدبية على صفحاتها ، واستقطابها الأقلام البارزة لرواد النهضة الحديثة حينما كانوا شباباً، وكل هذا أسهم في إبراز ملامح المذهب الجديد في الشعر والنقد على الساحة الأدبية ، وتهيئة الجو الثقافي المنفتح على العالم.

وقد قُسم البحث إلى أربعة أبواب مصدراً بالتمهيد الذي تضمن دراسةً مختصرةً عن الصحف الصادرة قبل « البيان » الرسمية منها والأهلية ، وعن مستويات أسلوب الكتابة في الصحافة.

أما الباب الأول : فقد شمل دراسة مختصرة عن سيرة « عبد الرحمن البرقوقي ومكانته العلمية » وذلك لما لمقومات شخصية صاحب المجلة من أثر في منهجها ، ثمّ أعقب بدراسة عن منهج مجلة « البيان » الذي اعتمد على ثلاث ركائز وهي :(إصلاح خطأ الاصطلاح) و(وصل الحاضر بالماضي) ثم (مفهوم « البيان » لمعنى الأدب).

الباب الثاني: تضمن دراسة عن دعوة مجلة « البيان » إلى إحياء التراث ووسائلها وأساليبها المتعددة في هذا. وموقفها من « الدعوات المؤيدة للعامية وتصديها لقضية » تمصير اللغة.

الباب الثالث: اختص بدراسة جميع جوانب الترجمة في المجلة. فبدأ بأسباب عناية « البيان» بالترجمة والتعريف بالمترجمين. ثمّ شمل دراسة عن « الفنون الإبداعية » المترجمة في « البيان » من شعر وأدب اعترافات وقصة ومسرح ومقالة ، كما عرض للكتب والدراسات المترجمة في « البيان » .

الباب الرابع :خصص للأعمال الإبداعية والنقدية لكتاب مجلة « البيان » وقد احتوى ثلاثة فصول، الأول والثاني منه كان عن إبداعات كتّاب المجلة في مجالي الشعر والنثر، مع التوسع في الحديث عن باكورة دراساتهم النقدية في المجلة . والفصل الثالث شمل عدة قضايا مختلفة تناولتها « البيان » باهتمام وهي عن : أصداء الحرب ، أدب الطرفة والفكاهة، قضية المرأة ، الصحف والصحافة. واختتمت الرسالة بأهم نتائج البحث والفهارس التحليلية.

المقدمة :

الحمد لله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي الأمين ، ومعلم البشر أجمعين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فقد أجمع الباحثون على أن الصحافة مصدر أساسي من مصادر الدراسة الأدبية والتأريخ للحركات والاتجاهات الفكرية والأدبية الحديثة والمعاصرة ، وإن أيما دراسة أدبية تقام بعيدة عن الصحافة ، فستكون دراسة ناقصة وبعيدة عن التصور الكامل للأدب العربي الحديث ، إذا ما عرفنا أن يقظة هذا الأدب ونهضته ارتبطت بالصحافة الخبرية منها والأدبية .

فقد كانت الصحافة في القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين ، وسيلة النشر الوحيدة تقريباً ، في فترة مازال الوطن العربي فيها يعاني من ضعف في وسائل الطباعة والنشر ، وندرة الكتاب المطبوع . أضف إلى ذلك غياب باقي وسائل الإعلام المعروفة حديثاً ، ومن ثمَّ كانت الصحافة آنذاك المعلم الأول والوعاء الثقافي الواسع الانتشار الذي يغطي دور الإعلام ، والتعليم والتثقيف ، حيث كان يتلقف منه أبناء ذلك الجيل كل جديد ومفيد من العلوم والفنون والآداب وأخبارها .

والحقيقة أن دراسة الصحافة ، والأدبية منها خاصة ، لها من الأهمية والأثر ما لا يمكن إغفاله في تاريخ الأدب العربي المعاصر ، كما أنها ممتعة وذات قيمة تستحق البحث والعناء ، وذلك للأسباب التالية :

١ - إن تفسير كثير من المتغيرات التي طرأت على الحياة الأدبية في الوطن العربي ما كانت لتظهر حقيقتها إلا من خلال الصحافة الأدبية وخاصة التي صدرت في مصر ، فقد كان لمصر مكانة أدبية متميزة ؛ لأنها تعتبر منذ فجر عصر النهضة من أولى البيئات نهوضاً وانفتاحاً أمام المؤثرات الثقافية الأجنبية الوافدة إليها بحكم

الاستعمار إلى جانب هجرة كثير من أدباء الشام إليها الذين اشتركوا مع المصريين في العمل على إحياء الحركة الأدبية وازدهارها ، الذي امتد فشمل العالم العربي والإسلامي .

٢ - إن أكثر ما كان يموج به ذلك البحر الثقافي الزاخر من الرؤى والاتجاهات الشديدة التباين ، كانت الصحافة تحركه وتسيطر عليه ، بما احتضنته بين دفتيها من أعمق وأبلغ النتاجات الأدبية بمظاهرها واتجاهاتها المختلفة ، وكان كتابها من ألمع نجوم النقد والأدب العربي الحديث .

٣ - إن كثيراً مما تزخر به المكتبة العربية المعاصرة من الكتب هي في حقيقتها حصيلة مانشر في الصحف منذ مطلع القرن العشرين وحتى يومنا هذا .

ومن هذا العرض الموجز الذي توخيت أن اوضح فيه قيمة دراسة الصحف الأدبية، باعتبارها مصدراً أولياً من مصادر نصوص الأدب والدراسة الأدبية ، حيث قيض الله لي أن يكون موضوع رسالتي لنيل درجة الماجستير في هذا المجال ، وكان بعنوان : (مجلة البيان لعبد الرحمن البرقوقي ، مكانتها وأثرها في تطور الأدب الحديث)

وقد تم لي ذلك بعدما وقفت على مكانتها ودورها في دفع مسيرة الحركة الأدبية ، وأثرها على المجلات التي حلت محلها بعد ذلك في الساحة الأدبية ، فوجدت أنها قمينة بالدراسة والبحث لأسباب عديدة ـ أتيت على ذكر تفصيلات بعضها في « التمهيد » وهي :

١ - إن مجلة « البيان » لم تحظ بالدراسة والاهتمام المطلوب ، رغم ما أدته من خدمة للأدب الحديث في عصر النهضة ، وفي هذا المقام قد يمكن الاستشهاد بكلمة الدكتور محمد رجب البيومي عن « البيان » فقد قال : ((وأنا في حيرة كبرى لإهمال دور « البيان » في قيادة النهضة الفكرية ، فلم نعرف رسالة جامعية تخصصت في إيضاح دورها البناء ، كما رأينا رسائل شتى صرفت إلى دراسة مجلات لاتبلغ معشار مابلغته « البيان »))[(١)] .

---

(١) مجلة « الأزهر » ج٩ ، س٦١ ، رمضان ١٤٠٩هـ / أبريل ١٩٨٩م ، ص ١٠٢٦ .

٢ ـ استقبلت مجلة « البيان » الحياة في مفتتح العقد الثاني من القرن العشرين وبالتحديد في ٢٩ شعبان ١٣٢٩هـ / ٢٤ أغطس ١٩١١م لتسد الفراغ والحاجة إلى صحيفة تتحمل عبء نشر الأدب القويم والصالح ، فاستطاعت من ثمّ أن تنفرد من بين الصحف المعاصرة لها بخدمة الأدب الحديث .

٣ ـ إذا كانت مدرسة درج في رحابها ناشئة الأدباء وهم ممن حملوا على عواتقهم المتينة هموم المستقبل ، والذين أصبحوا فيما بعد أساتذة الجيل ، حيث تلقوا منها دروسهم الأولى في الأدب والنقد .

٤ ـ إن صاحبها كان أديباً ذواقة وكاتباً مرموقاً ، ولم يكن صحفياً كسائر الصحفيين ، وقد اتخذ لبيانه نهجاً يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، فأجرى على صدرها نهرين متوازيين ، نهر يسترفد الثقافة العربية الأصيلة ، فاستخرجت من التراث الأدبي المطمور ، ونشرته في باب (صحائف مهجورة) وبعض المختارات النثرية والشعرية لجهابذة الأدب العربي القديم في باب (أمالي أدب) .

والآخر يسترفد الثقافة الغربية وأدبها في باب (صحائف الغرب) فنقلت من روائع الأدب العالمي ، وقدمت نماذج من أجود مااحتوته كتب الغربيين ، وقد كانت الترجمة فناً رفيعاً استعلى على السوقية والابتذال الملحوظين في طائفة كبيرة من المجلات السابقة لها .

٥ ـ كان لمجلة « البيان » دور عظيم في الحفاظ على اللغة والثقافة العربية والذود عن الفصحى ، لغة القرآن الكريم والتي هي مظهر من مظاهر الوحدة العربية الإسلامية إذ وقفت في وجه الدعوة إلى تمصير اللغة ليس بآراء ومنهج صاحبها فحسب ، بل لكونه أفسح المجال في صحيفته لكل الآراء المتحاورة بين مؤيد أو معارض ، فكانت « البيان » بذلك الميدان الذي تبارى فيها الطرفان ، وموقفها المؤيد كان سبباً في تراجع المدّ العامي .

٦ ـ البيان من أولى المجلات التي احتفت بآراء أصحاب المذهب الجديد في مجال النقد، فأسهمت بذلك في تغيير الذائقة النقدية في الأدب العربي .

وكانت تلك الأسباب حافزاً لي لتكون مجلة « البيان » موضوعاً للدراسة أوضح من خلالها مدى أثرها على الأدب العربي الحديث ، فقد كانت فتحاً جديداً في عالم الصحافة الأدبية ؛ لأنها تناولتْ في مطلع هذا القرن قضايا أدبية حاسمة ، انبسط شعاعها بعدئذٍ وامتد تأثيرها على المجلات الأخرى . وأهمها في رأيي ترسيخ فكرة (الأصالة والمعاصرة) إذ حملت « البيان » هم التغيير الثقافي من خلال الموارد الثقافية المتعددة، مواجهة بذلك الاستعمار الفكري الذي غزا الوطن العربي ، فحاولت أن توفق في التعامل بين الثقافة الغربية الوافدة ، وإعادة تقويم ثقافتنا وأصالتنا العربية في محاولة بعثها وتجديدها ، وذلك لإيجاد أساس متين وركيزة تقوم عليها النهضة الحديثة . وكما استطاعت « البيان » أن تواجه التيارات التغريبية ضد الفصحى ، أشاعت أيضاً تنمية الشعور بالجمال الفني والأدبي . وقد تم لها ذلك عندما حوّل مسار الترجمة من التسلية إلى الثقافة الواعية من أجل مصلحة الحياة والمجتمع والأدب . واجتهدتْ أيضاً ـ في أن تطرح المعاني الأدبية الرفيعة ، وتضيف أنواعاً أدبية جديدة على الأدب العربي ومدّه بقيم المذاهب الغربية كالواقعية والرومانطيقية .

وقد حاولتُ جهدي أن أوضح كل ذلك ، وأن « البيان » بالفعل كانت في مطلع القرن العشرين موجهة للنهضة الحديثة وأنها خدمت الأدب الحديث بأكثر من مقومات الصحيفة الأدبية .

وفي سبيل تحقيق الغاية من الدراسة عن مجلة « البيان » اقتضت طبيعة الموضوع أن أسير فيه حسب نهج « البيان » وخطتها ، فاتبعتُ في ذلك المنهج التاريخي والوصفي عامة، والتمستُ المنهج النقدي التحليلي فيما يخص بعض القضايا النقدية التي طرحت في « البيان » .

وقد جاء البحث مشتملاً على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب حوى كل منها عدة فصول ، واختتم بنتائج الدراسة ، وذلك على النحو التالي :

١ ـ **التمهيد** : صدرت الدراسة عن البيان بتمهيد تحدثت فيه عن موضوعين :

أولهما : دراسة مختصرة عن الصحافة المتخصصة ، ومثلت بالتأريخ لبعض الصحف الصادرة قبل « البيان » الرسمية منها والشعبية ، وذلك لتحديد موقع « البيان » من تلك الصحف وجعلت دوري يكمن في إبراز أهم أهدافها منذ صدورها ، ومنهجها وسير خطاها .

أما الآخر : فكان عرضاً لمستويات أسلوب الكتابة في الصحافة قبل « البيان » والتي كانت تقسم إلى بديعي وبياني وصحفي ، وقد اتسع الحديث عن الأسلوب البياني لما له من علاقة بأسلوب المجلة واسمها الذي استمدته واستوحته من جماليات هذا الأسلوب وروعته .

٢ ـ الباب الأول بعنوان : « البرقوقي ، ونهج البيان » .

وقد تم تقسيمه إلى فصلين وآثرت أن يكون الأول منه دراسة مختصرة عن سيرة عبد الرحمن البرقوقي ، ومكانته العلمية والأدبية، وذلك لما لمقومات شخصية صاحب المجلة الأدبية من أثر في منهج المجلة .

أما الفصل الثاني فيبحث في منهج « البيان » وكل ما له علاقة به بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، وقد تحقق لي من خلال قراءتي للمجلة أن منهج « البيان » يعتمد على ثلاث ركائز : (إصلاح خطأ الاصطلاح) ، (وصل الحاضر بالماضي) ، (مفهوم البيان لمعنى الأدب) .

كما شمل الحديث في هذا الفصل عن قرّاء « البيان » وتنظيمها لأبوابها وفصولها، ثم مكانتها الأدبية عند بعض الأدباء المعاصرين ، وأخيراً عن تأثير منهجها في المجلات التي صدرت بعدها .

٣ ـ الباب الثاني بعنوان : « النهر التراثي » .

رأت « البيان » في منهجها أن اللغة العربية الفصحى لايمكن لها أن تنفصل عن الدين الإسلامي ، وتاريخ الأمة العربية ، وهي أوثق رابطة تجمع بين أبناء الأمة بعد رابطة الدين ، ولهذا رأيتُ من الواجب أن يشتمل الباب على ثلاثة فصول .

فكان الفصل الأول بعنوان : (دعوة البيان إلى إحياء التراث) وتناولت فيه بالتحديد مفهوم البيان للتراث ووسائلها إلى إحيائه .

أما الفصل الثاني وموضوعه : (موقف " البيان " من الدعوة إلى العامية) وقد تمّ فيه شرح الكيفية التي جابهت بها " البيان " الدعوات المغرضة ضد الفصحى ، محاولة الوصول فيه إلى أن " البيان " كانت ضمن سلسلة متصلة من الصحف التي خاضت هذه المعركة ، ولكن دورها أجل خطراً ، وأعظم أثراً من غيرها ، بما واجهت به جريدة الجريدة لأحمد لطفي السيد في قضية " تمصير اللغة " .

ثم الفصل الثالث وهوعن (مفهوم التاريخ لدى البيان) إذ كان للبيان وجهة نظر خاصة بعلم التاريخ، فقد ربطت اللغة بتاريخ الأمة، ولذا كان من الضروري شرح ذلك .

٤ ـ الباب الثالث بعنوان : " النهر المترجم " .

وهو يختص بدراسة جوانب الترجمة في مجلة " البيان " ويشتمل على ثلاثة فصول مسبوقاً بتمهيد .

الفصل الأول : عن(رؤية البيان لدور الترجمة) وبحثت فيه أسباب عنايتهابالترجمة مع سيرة مترجمي البيان وأسلوبهم في الترجمة ، وأهم الأعمال الأدبية التي ترجموها على صفحات المجلة .

الفصل الثاني : عن (الفنون الإبداعية المترجمة في البيان) وقد جمعت فيه ما تناثر من الفنون الأدبية على صفحات " البيان " من : الشعر ، أدب الاعترافات ، القصة ، المسرح ، المقالة . وجعلت دراستي فيه إلى حد ما تطبيقية ، حتى أصل من وراء ذلك إلى الأهداف المرجوة من هذا البحث ، وأهمها أثر البيان على الأدب العربي المعاصر . أما الفصل الثالث فهو عن الكتب والدراسات المترجمة في البيان .

٥ ـ الباب الرابع بعنوان : « الأعمال الإبداعية والنقدية » ويحتوي ثلاثة فصول ، الأول منه عن : « الفنون الإبداعية المعاصرة في البيان » والثاني عن: « النقد

والدراسات الأدبية في " البيان "، وهما مكملان لبابي: " النهر التراثي " و " النهر المترجم " وقد ظهرت فيهما مفاهيم الأصالة والمعاصرة في كتابات وإبداعات كتّاب مجلة " البيان " . فقد تناولت فيهما أعمالهم الأدبية المنشورة على صفحاتها من الشعر وأدب المقالة والكتب والمذكرات إضافة إلى النقد الذي احتل الحيز الأكبر في الفصل الثاني ، إذ إنّ باكورة الدراسات النقدية لأساتذة الجيل كانت على صفحات " البيان " .

وفي دراستي عن النقد حاولت أن أخرج قليلاً من الحديث عن " البيان " إلى أهم المفاهيم النقدية التي أتى بها أصحاب المذهب الجديد على صفحاتها .

الفصل الثالث بعنوان : "قضايا البيان" وقد تضمن أربعة موضوعات وهي : (البيان وأصداء الحرب) ، (البيان وأدب الطرفة والفكاهة)، (البيان وقضية المرأة)،(البيان ونقد الصحف والصحافة) . وقد أردت من هذه الموضوعات أن أثبت أن " البيان " كانت مجلة متعايشة مع ظروف عصرها ، وإن كانت صحيفة متخصصة في الأدب .

الخاتمة : وتشتمل على نتائج الدراسة .

أما مصادر الدراسة عن مجلة " البيان " : فأولها المجلة بجميع أعدادها ، فهي المصدر الرئيس ، ومادتها الأولى، بالإضافة إلى ذلك اطّلعتُ على الدراسات التي سبقتني عن الصحافة الأدبية ـ منها ما قام به أستاذي الدكتور محمود فياض من دراسة الصحافة الأدبية في مصر منذ ظهورها إلى الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م ، واطّلعتُ أيضاً على دراسة الأستاذ محمد عبد الغني حسن – رحمه الله – والدكتور عبد العزيز الدسوقي عن مجلة " روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية دراسة نقدية تحليلية " ، ودراسات الدكتور محمد سيد محمد عن صحيفة " السياسة الأسبوعية " ثم " الرسالة " وكتاب الدكتور عبد اللطيف حمزة ـ رحمه الله ـ عن " أدب المقالة الصحفية " . وقد أحببت أن تكون دراستي لمجلة " البيان " مختلفة عن تلك الدراسات السابقة ، بحيث أبرز مكانة " البيان " بين المجلات التي سبقتها والمعاصرة لها.

وإلى جانب تلك الدراسات اطّلعتُ على مجموعة من المراجع جرى ثبت أسمائها في قائمة المصادر والمراجع ، وقد جنيت منها بعض الفائدة لبحثي .

أما بعـد :

فلقد تعـاقب على إشراف هذه الرسـالة كل من سعادة الأسـتاذ الدكـتور محـمود فياض، وسعادة الأستاذ الدكتور صالح جمال بدوي .

وبهذا ، فـإني أتقدم لأسـتاذي الفـاضل الدكـتور فياض - الذي أشـرف على هذا البحث في بداية خطواتـه ، وسلك بي أشواطاً فيـه - بالشكر والتقدير على مـا بذله معي من توجيه وإرشاد ، وأقدّر له مشورته العلمـية باختيار مـجلة « البيان » موضـوعاً للرسالة فجزاه الله عني خير الجزاء .

وأتقـدم إلى أستـاذي الفاضل الدكـتور صـالح جمـال بدوي ، الذي أكمل مـعي مسيرة البـحث إلى أن استوى على سوقه واكتمل بنيـانه ، بكل الشكر الجزيل والتقدير ، على مـا أولانيه من رعـاية علمـية حـيث أفدت من توجـيهـاته وآرائه العلمـية السـديدة ، وخاصـة أني تعلمت منه الرؤية الموضوعيـة في دراسة الأدب الحديث ، وأسلوب معـالجة البحث العلمي، إلى جانب ما أعطانيه ـ لهذا العمل ـ من وقته الثمين يفوق الوقت المحدد، فجزاه الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء .

كمـا أتوجه بالشكر الجزيل والامتنان العـظيم إلى جامعة أم القـرى بمكة المكرمة لما منحتني إياه من فرصة لإكمال دراستي العلمية بين رحابها ، وإلى كلية اللغة العربية قسم الدراسات العليا.

وأولاً وأخيراً ، فإني أحمد الله الذي أعـانني على السير في هـذا البحث ، وأسألـه « عز وجـل » أن أكون قد وفـقت في إبراز الدور العظيم لمجلة « البـيان » في خـدمة اللـغة والأدب ، وما كان من أثر على أدبنا المعاصر ، فإن كان ذلك فلله الحمد والمنة في الأولى والآخرة ... وإن قصّرت فما أنا إلا بشر ، والكمال لله وحده ، وأسأله ألا يضيع لي أجراً هو مولاي فنعم المولى ونعم النصير .

الباحثة / فايزة أحمد الحربي

تمهيد

الصحافة : النشأة والتطور

توطئة

أولاً : الصحف الصادرة قبل « البيـان » :

ـ الصحـف الرَّسـمية .

ـ الصحـف الشـعبيـة :

أ ـ صحـف خبريـة

ب ـ صحف أدبية

ثانياً : مستويات أسلوب الكتابـة في الصحافـة قبل " البيـــان "

المستوى الأول : « الأسلوب البديعي » .

المستوى الثاني : « الأسلوب البيـاني » .

المستوى الثالث : « الأسلوب الصحفي » .

تـوطئـة :

الصحافة مرآة المجتمع ، وصورة تمدنه وحضارته ، تكون راقية برقي أمتها ، متى ما كانت خالصة النوايا لتحقيق غاياتها وأهمها خدمة الوطن الذي تنتسب إليه ، وتتدهور ساقطة إذا ما وقعت في براثن الجهل ، أو غلبت المصلحة المادية فيها على الفكر. فالصحافة أهم قناة من قنوات الاتصال الحضاري ، سواء كانت جرائد يومية أو مجلات دورية .

وهي وسلية وُجدت لتشبع فضول الإنسان المتطلع دوماً إلى معرفة مجريات الأمور من حوله ، بما فيها الحوادث المهمة داخل بلاده وخارجها . وهي المورد العذب الذي يستقي منه المثقفون العلوم المختلفة والآداب القومية والعالمية .

كما تعتبر الصحافة أداة مؤثرة فيمن حولها ، ومتأثرة بمعطيات الحضارة وحركات التطور الاجتماعي ؛ لذلك فقد استطاعت عبر السنين أن تكون مالكة زمام السلطة في توجيه الرأي العام حسب ما تنتجه على صفحاتها ، فإما أن تساعد في بناء العقل الإنساني المفكر والمتطلع نحو مجتمع أفضل ؛ أو تجعل هذا العقل يهيم في تفاهات الأمور ؛ ويظهر ذلك جلياً في مستوى الصحف وما تحمله من المبادئ التي قامت عليها(١) .

وتتنوع الصحف من حيث الموضوع إلى :

١ ـ صحف (جامعة) تصدر يومياً أو أسبوعياً ، ومحط اهتمامها عادة الشؤون السياسية الخارجية أو الداخلية ، والأخبار المتنوعة ، واعتمادها في النشر يكون على الخبر الصحفي ، الذي يبحث دائماً عن الجدة والأهمية والإفادة والإثارة والموضوعية في نقل

---

(١) عن دور الصحافة انظر : دي طرازي ، الفيكونت فيليب : « تاريخ الصحافة العربية » ج ١ ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩١٣م ، ص ٩ ، ٢٠ ، د . محمد ، محمد سيد : « الصحافة سلطة رابعة كيف ؟ » مطبوعات الشعب ، القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ١١ .

الخبر ، والتحقق من المعلومات التي سيتم نشرها ، ولا يُنظَر أبداً إلى الناحية الأدبية سواء كان في أسلوب الكتابة أو في استجلاء الكاتب لمشاعره وآرائه المستقلة(١) .

٢ - صحف (اختصاصية) وهي مجلات دورية تظهر أسبوعية ، أو نصف شهرية ، أو شهرية ، أو فصلية ، وقد تكون سنوية ، وتختص بنوع معين من العلوم كعلم النفس ، أو الزراعة ، أو التجارة ، أو أي علم آخر . أو تختص بمجال الفن والأدب والثقافة . وأكثر الصحف الاختصاصية بروزاً ونشاطاً المجلات الأدبية ، التي تجعل من الأدب وقضاياه مصب اهتمامها ، ولابد أن تحمل بين طياتها رسالة تسعى لتوصيلها إلى القراء .

ويعتمد هذا النوع من المجلات على وسيلة الإقناع لإثبات أن لها فكراً وهدفاً ، وأن لوجودها ضرورة وحتمية لإظهار أهمية دورها في المشاركة في تطوير الحياة الثقافية والفكرية والأدبية .

لذا فيمكن اعتبارها صحيفة المتخصصين لأنها تتخاطب مع فئة معينة من الناس تتميز بفكر خاص(٢) . ويرى فاروق خورشيد أن المجلة الأدبية تعد من أبعد الأشياء عن الصحافة ، فهي وإن لجأت إلى وسائلها من الناحية الشكلية ، لكنها بعيدة عنها من الناحية الموضوعية ، فما هي إلا مطبوعات دورية لفئات معينة من الناس ، هذه الفئات يحددها اتجاه المجلة ورسالتها الأدبية ، وموقفها من الحياة والفكر والثقافة(٣).

والصحافة بعد ذلك إما أن تكون رسميّة وهي التي تنشئها الدولة وتنفق عليها ، وإما شعبية (أهلية) يصدرها الأفراد أو الجماعات .

---

(١) خورشيد ، فاروق : « بين الأدب والصحافة » ط ٤ ، دار اقرأ ، بيروت ١٩٨٠م ، ص ٧٨ - ٧٩ ، مروة ، أديب : « الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها » ط ١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م ، ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) مروة (السابق) ص ٢٧ ، خورشيد (السابق) ص ٣٤ ، ٤٧ .

(٣) « بين الأدب والصحافة » ص ٤٨ - ٤٩ .

وقد ظهرت الصحافة المتخصصة في مصر إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان ظهورها نتيجة حتمية وطبيعية للبركان الثقافي المتأجج داخل عقول رجال الفكر ، وأكثرهم من الذين قاموا برحلات علمية ، فاستوعبت بذلك عقولهم النيّرة عدة ثقافات إضافة إلى تمكنهم من العربية وآدابها ، فأمست الصحافة الشعبية أرضاً لهم ، ولتلاميذهم من بعدهم ، وفيها نشروا أدبهم ومشاهداتهم ، أمثال : محمد إبراهيم المويلحي (ت ١٩٣٠م) الذي وصف رحلاته إلى أوروبا في آخر سنة لمجلته " مصباح الشرق " ١٨٩٨ - ١٩٠٠م ، ومحمد فريد (ت ١٩١٩م) الذي كتب مشاهداته خارج وطنه ونشرها في جريدة " العلم " ١٩١٠م ، ثم أتى بعدهم أدباء آخرون أمثال : أحمد لطفي السيد (ت ١٩٣٦م) ، مدير " الجريدة " ١٩٠٧م ، ومحمد حسين هيكل (ت ١٩٥٦م) صاحب " السياسة الأسبوعية " ١٩٢٦م ، وطه حسين (ت١٩٧٣م) ، وتوفيق الحكيم ... وغيرهم كثير من أعلام الأدب العربي الحديث[1] .

وكانت هذه المجلات على تعدد أنواعها ومستوياتها أقوى أثراً من الجرائد في تطور العقل العربي ، ونشر الفكر المتنوع الذي تميز بالثبات على مر الزمن ، وبما تهدف إليه من تنمية لهذا الوعي الفكري . ولابد من ثمَّ أن تحمل كل صحيفة سمة تميزها عن رصيفاتها في الفكر والروح ، وتعمل دائبة على تقويم ذوق القراء ، وتلبي احتياجاتهم المعرفية ، كما تعمل على سدّ حاجة من حاجات الفترة الحضارية التي تسهم المجلة في تحديد قسماتها وفق منهجها وأسلوبها[2].

وقد ساعدت كثرة المجلات الأدبية في مصر إبان القرن الماضي والنصف الأول من هذا القرن على التعددية في أساليب الفكر ، سواء كانت العلمية منها أو الأدبية ، مما

---

(١) انظر : د . سابا يارد ، نازك : « الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة » ط ٢ ، مؤسسة نوفل ، بيروت ١٩٧٩م ، ص ١٦١ - ٤ .

(٢) الدسوقي ، عبدالعزيز : (البيان الأسبوعي ومعارك حادة) ، مجلة « الثقافة » ع ٣٢ ، س ٣ ، ١٩٧٦م ، ص ٥٦ .

جعل لها قدراً من الهيمنة والأهمية ، يقول إسماعيل مظهر : ((إن تطور الفكر العلمي في مصر كان أكثر تأثراً بالمجلات منه بالجرائد السياسية ، فالمجلات ذوات الخطر الأول فيما نحس من تقدم لدعوة نهضة العلم والأدب))(١) إذ كان لكل مجلة منهجها الخاص بها ، كمجلة " الهلال " ١٨٩٢م التي كانت تبحث في التاريخ العربي والإسلامي ، و" البيان " لليازجي ١٨٩٧م ، التي جعلت مصب اهتمامها إحياء اللغة العربية ، و" البيان " للبرقوقي ١٩١١م إذ اتخذت من نفسها وسيطاً بين الأدبين العربي والأجنبي المترجم ؛ ليستلهم القارئ ثقافته من ينابيع مختلفة ، كما سيتضح لاحقاً .

وقد ابتدأت الصحافة رسميّة في عهد حكومة محمد علي باشا ، الذي أراد أن ينهض ببلاده نهضة علمية وحضارية يضاهي بها بلاد أوروبا(٢) . فكانت أول صحيفة في عهده : " جرنال الخديوي " ١٨٢٢م ، ثم تبعتها " الوقائع المصرية " ١٨٢٨م . ثم تطورت إلى صحافة شعبية غير رسمية ، حيث ابتدأت مشوارها منجمة في عهد إسماعيل (ت ١٨٩٥م) ، عندما أخذ الأدباء والمفكرون في إصدار صحف ومجلات إخبارية متنوعة ومتخصصة في مجالات معينة ، كجريدة " وادي النيل " ١٨٦٦م ، و" نزهة الأفكار " ١٨٦٩م ، ومجلة " المنظوم " ١٨٩٢م لأحمد نجيب والتي اختصت بالشعر فقط ، و" المجلة المصرية " ١٩٠٠م ، التي جعل منها صاحبها خليل مطران (ت ١٩٤٩م) داعية للأدب الحديث .

---

(١) د . فياض ، محمود : « الصحافة الأدبية بمصر ١٩١٤ - ١٩٣٩» ج ٣ ، ا الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعلمية ، مصر ١٩٨١ - ١٩٨٢م ، ص ٣٥ .

(٢) تولى محمد علي باشا الحكم في مصر عام ١٨٠٥ ، وتوفي عام ١٨٤٩ .

عوامل ازدهار الصحافة :

لقد ساعدت عوامل عدة على ازدهار الحركة الصحفية الشعبية العربية في القطر المصري ؛ منها :

أولاً : ظهور إسماعيل باشا على ساحة الحكم سنة ١٨٦٣م ، والذي كان يطمح إلى نهضة مصر علمياً وأدبياً ، فأعاد فتح المدارس التي أغلقت زمناً بعد وفاة جده محمد علي ، كما قام ببناء مدارس جديدة ، لا يُنكر دورها في نهضة الأدب والصحافة ، منها مدرسة دار العلوم ، والذي أشار عليه بفتحها علي مبارك (ت ١٨٩٣م) ؛ لتكون حلقة وصل بين الثقافتين الدينية العربية في الأزهر والعلوم الحديثة الوافدة[١] . وقد كان لهذه المدرسة أكبر الفضل في نهضة الأدب واللغة ، وذلك لسياسة الاختيار الصحيح ؛ من حيث الطلاب أو المعلمين الذين كانوا من أبرز علماء الأزهر أمثال : الشيخ حسين المرصفي (ت ١٨٨٩م) صاحب " الوسيلة الأدبية " ، وقد انبثقت عن هذه المدرسة مجلة " روضة المدارس " ١٨٧٠م ؛ لنشر العلوم والمعارف بين التلاميذ[٢].

ثانياً : زخر زمن إسماعيل باشا برجالٍ نالوا من المعرفة نصيباً وافراً ، وحظوا برحلاتٍ علمية اتسعت بها آفاقهم الفكرية ، فشعروا بالواجب المقدس يدعوهم لنشر العلم بين إخوانهم وأبنائهم في الوطن العربي طلباً للعزة والكرامة التي فقدوها في عصور التأخر ، فأرادوا سلاحاً قوياً ينبه الشعب من رقدته التي طال أمدها ، فكانت الصحافة هذا السلاح . تقول في ذلك الدكتورة نازك سابا يارد : ((فقد أحس رحالونا جميعاً

---

(١) علي مبارك من أكبر أركان النهضة في مصر ، له عدة مؤلفات منها الخطط التوفيقية ، و «علم الدين» انظر : زيدان ، جرجي : « تاريخ آداب اللغة العربية » ج ٤ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٩٢م ، ص ٦٢٦ .

(٢) انظر : حسن ، محمد عبد الغني ، و د . الدسوقي، عبدالعزيز : « روضة المدارس : نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م ، ص ٢١ ، ٣٠ ، وانظر : الدسوقي عمر : « في الأدب الحديث » ج ١ ، ط ٨ ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٣م ، ص ٨٩ - ٩١ .

بحاجة الشرقيين الماسة إلى هذا السلاح الفكري الذي يعمل على تنبيه الشعب من غفلته بقدر ما يساعد على تقويم الدولة والحكام ، ومن ملاحظات رحالينا على حرية الصحافة الغربية وقيمتها وفائدتها ، انطلقت حركة الصحافة العربية فيما بعد))[1]. ومن هؤلاء : الشيخ رفاعة الطهطاوي (ت ١٨٧٣م) ، الذي رأس تحرير " الوقائع المصرية " و" روضة المدارس " ، والشيخ عبد الله أبو السعود (ت ١٨٧٨م) صاحب أول جريدة غير رسمية وهي " وادي النيل " ١٨٦٦م ، وإبراهيم المويلحي (ت ١٩٠٦م) ، صاحب صحيفتي " نزهة الأفكار " ١٨٦٩م ، و " مصباح الشرق " ١٨٩٨م .

ثالثاً : هجرة بعض مثقفي الشام إلى مصر بعد فتنة الجبل التي حدثت في الشام عام ١٨٦٠م ، وكانت هجرتهم هذه عاملاً مهماً في بلوغ الصحافة شأواً عظيماً ، إذ وجدوا لهم في مصر وطناً آخر لما اتسمت به سياسة إسماعيل باشا من التسامح ، وأخذه بجميع أسباب النهضة الحديثة ، ويرجع ذلك إلى تكوينه الثقافي الفرنسي ، واهتماماته الجليلة بالصحافة ، وتطوير المجتمع .

وقد حمل أدباء الشام معهم بشائر النهضة الفكرية والأدبية التي كانت تعيشها بلادهم ، لولا الأحداث السياسية التي أوقفت نشاطها بعد ذلك . ومن أشهر أدبائهم ومفكريهم المهاجرين : أديب إسحاق (ت ١٨٨٥م) الذي أصدر جريدتي " التجارة " و " مصر " عام ١٨٧٧م ، والأخوان سليم تقلا (ت ١٨٩٢م) وبشارة (ت ١٩٠١م) اللذان أصدرا سوياً جريدة " الأهرام " ١٨٧٦م ، والشيخ إبراهيم اليازجي (ت١٩٠٦م) والدكتور بشارة زلزل (ت ١٩٠٥م) اللذان أنشآ مجلة " البيان " ١٨٩٧م ، وغيرهم كثير[2].

(١) « الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة » ص ١٣٠ .

(٢) زيدان ، (السابق) ج ٤ ، ص ٥٦٤ ، ٦٠٣ ، ٦١٢ - ٣ .

واستطاع هؤلاء بعد مجيئهم إلى مصر أن يهيئوا جواً مليئاً بالنشاط والحركة الفكرية في المجلات الأدبية والعلمية ، والصحف الخبرية لتمكن الكثير منهم من اللغة العربية وحذقهم للغتين الفرنسية والإنجليزية فتآلفوا مع المصريين في إشباع البيئة المتعطشة المتلهفة لأنواع المعرفة والعلوم(١) .

رابعاً : هجرة الداعية السياسي والمصلح الديني جمال الدين الأفغاني (ت١٨٩٧م) ، الذي قدم إلى مصر عام ١٨٧١م ، وصار فيها أحد عمد النهضة الفكرية ، إذ وجد أن الصحافة من أنجح الوسائل وأبقاها أثراً في نشر آرائه الإصلاحية ، فأوحى بإنشاء الصحف إلى تلامذته أمثال : أديب إسحاق ، ويعقوب صنّوع . وقد أشار على الأخير بإنشاء جريدة "أبو نظارة" ١٨٨١م . كما شارك الأفغاني مع تلميذه محمد عبده (ت ١٩٠٥م) في إنشاء جريدة "العروة الوثقى" ١٨٨٤م(٢) .

وقد ساعدت الأحداث ؛ المذكورة آنفاً على تلاقح الأفكار والآراء ، ومن ثمّ أثرت على الصحافة الشعبية من مجلات وجرائد ، فكثر تعدادها وزاد رواجها ، وكان لهذا الأمر إيجابياته وسلبياته ، فأهم ما أدته من خدمة للدارس والقارئ العربي أنها سدّت الفراغ الثقافي الذي أحدثه الاحتلال حين أغلق المؤسسات التعليمية العالية ، كما خدمت اللغة العربية بالحفاظ عليها وصيانتها ؛ بعدما ألغى الاحتلال البريطاني تدريسها في المدارس الحكومية ، فأصبحت هذه المجلات منهلاً يستقي منه كل ظامئٍ للثقافة . أما سلبياتها فظهرت فيما أبدته بعض المجلات من ولاء مطلق للحضارة الغربية دون روية واختيار لما يوافق المجتمع العربي المسلم ، أوينسجم مع ثقافته الخاصة واحتياجاته ، إضافة

(١) د . هيكل ، أحمد : « تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى » ط ٦ ، دار المعارف ، مصر ١٩٩٤م ، ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) د . هيكل (السابق) ص ٥٠ ، الدسوقي ، عمر : « نشأة النثر الحديث وتطوره » دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص ٦١ ، ٦٣ .

إلى ذلك اتسامها بالعجلة ، وعدم النظر والحساب للنتائج التي أضرت بمجتمع كان لديه غيرة وإحساس متيقظ لكل ما هو غريب ، أو مخالف لدينه وموروثاته .

وكان من أهم سمات المجلات الشعبية ، اتساع مفهوم التخصص لديها الذي لم يقتصر على الآداب فقط ، بل شمل اهتمامها العلوم والفنون الأخرى ، ورغم أنه لم يكن لدى أكثرها خطة عمل موحدة الأهداف تسير على نهجها ، فقد كان لكل مجلة بصمتها الخاصة التي عُرفت بها بين قارئيها ودارسيها - كما سيتضح لاحقاً عن مجلة " البيـــان " - فبعضها مال إلى العلوم التطبيقية أو إلى الثقافة الإنسانية ، واتجه البعض الآخر نحو النوازع الفلسفية ، وهذا يعود إلى الموارد الثقافية والاكتشافات العلمية التي انفتح عليها الغرب وأدهشت العقول(١).

وسيرد في الصفحات القادمة نماذج من الصحف الرسمية والشعبية ، والخبرية ، والأدبية ، التي ظهرت قبل " البيـــان " .

(١) د . فياض : (السابق) ج ٣ ، ص ١١ - ١٣ .

الصحف الصادرة قبل البيان

١ ـ الصحف الرسمية :

١ ـ « جرنال الخديوي » ١٨٢٢ م :

أول صحيفة مصرية عربية أصدرها محمد علي باشا ؛ لتطلعه على الأخبار الحكومية ، إضافة إلى أخبار المؤسسات والمصانع التي أنشأها ، كما كانت تنشر بعض القصص من كتاب ألف ليلة وليلة ، وقد نشرت كتاباتها باللغتين العربية والتركية ، ثم جعلت خاصة بمحمد علي باشا وحده بعد ظهور الوقائع المصرية(١) .

٢ ـ « الوقائع المصرية » ١٨٢٨ م :

أنشأها محمد علي باشا ، وكان شديد العناية بها ، صدرت أولاً باللغتين العربية والتركية ، ثم اقتصرت في النشر على اللغة العربية ، أشرف على تحريرها – في عهده – شيخ الأزهر حسن العطار (ت ١٨٣٤م) ، وظلت طوال عهد محمد علي باشا قائمة بمفردها ، تعنى بالأخبار الرسمية للدولة(٢) .

ثم انتقلت إلى أزهى أطوارها في عهد إسماعيل باشا ، فأصبحت تصدر بانتظام مع العناية بتطويرها وإخراجها في صورة مشرقة ، وتعد الوقائع في هذه الفترة وثيقة تاريخية ، تحكي صراحةً عن بدايات تطور الأدب الحديث(٣) .

وكان الإمام محمد عبده من الذين تولوا تحريرها ، فعمل على تطوير أساليبها وتخليصها من السجع ، والمفردات الأجنبية ، التي كانت تحد من حرية نشر الخبر ، كما

---

(١) الدسوقي ، عمر : (في الأدب الحديث) ج ١ ، ص ٥٤ ـ ٥٥ .

(٢) الدسوقي ، عمر : (السابق) ج ١ ، ص ٥٥ ـ ٥٦ ، زيدان (السابق) ج ٤ ، ص ٤١٢ .

(٣) د . فياض محمود : « الصحافة الأدبية بمصر وأثرها في تطوير الأدب الحديث إلى قيام الحرب العالمية الأولى » رسالة ماجستير ، كلية دارالعلوم ، القاهرة ١٩٦٠م ، ص ٩٥ .

جعلها إحدى مصادر الثقافة الحديثة ، بما كانت تنشره من موضوعات علمية وثقافية . بيد أنها لم تستمر على هذا المنوال ، إذ عادت إلى سابق عهدها في الاقتصار على نشر الأخبار الرسمية ، إبان دخول الإنجليز مصر سنة : ١٨٨٢م(١).

٣ - « يعسوب الطب » ١٨٦٥ م :

أنشأها الطبيبان محمد علي البقلي (ت ١٨٧٦م) ، وإبراهيم الدسوقي (ت١٨٨٣م)، وتحتل المرتبة الثانية في الصحافة من حيث القدم بعد " الوقائع المصرية " ، وكانت تطبع في مطبعة بولاق الأميرية على نفقة الحكومة المصرية . وهي أول مجلة عربية تعرف معنى التخصص ، كما أنها أول مجلة طبية تصدر باللغة العربية ، ومن هنا يعرف الدارس قيمة الجهد الذي كانت تقدمه الصحافة وقتئذ في خدمة اللغة العربية من تذليل للمصطلحات العربية ، والتوسع في التعريب والاشتقاق(٢). ومن المؤسف أنها لم تُعَمّر طويلاً ، ولكنها استطاعت أن تنجح في ترسيخ فكرة المجلات المتخصصة على مر الأعوام(٣).

٤ - « روضة المدارس » ١٨٧٠م :

صحيفة رسمية أصدرتها الحكومة بوحي من علي مبارك ، وقد أنفقت عليها بسخاء ، ولم تولِ الأمور السياسية أي اهتمام ؛ لأن الحاجة دعت وقتئذ إلى إيجاد وسيلة لإحياء اللغة العربية والعلوم والمعارف بين أبناء المدارس ، وتنشيط الحركة العلمية . وقد عهد إسماعيل باشا إلى الشيخ رفاعة الطهطاوي رئاسة قلم الترجمة ، وإلى ابنه فهمي رفاعة مباشرة تحريرها ، وتناوب رئاستها بعد ذلك نخبة من العلماء ومشاهير الأدباء

---

(١) د . فياض : « الصحافة الأدبية بمصر وأثرها في تطوير الأدب الحديث » ص ٩٦ ، ١٠٢ .

(٢) الدسوقي ، عمر : « في الأدب الحديث » ج١ ، ص ١١٢ . دي طرازي : (السابق) ج١ ، ص٦٧ .

(٣) د . محمد ،محمد سيد : « هيكل والسياسة الأسبوعية » دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م ، ص ١٣ .

والكتاب أمثال عبد الله فكري ، ومحمد قدري ، وإسماعيل الفلكي ، وصالح مجدي ، والشيخ حمزة فتح الله ، والشاعر إسماعيل صبري .

وقد تنوعت موضوعاتها فشملت الجغرافيا والتاريخ والاجتماع والرياضة والأدب والتربية والزراعة ، ونشرت الألغاز والفكاهات لتسلية القراء(1) .

٢ـ الصحف الشعبية :

ستتعرض هنا لذكر نوعين من الصحافة :

أ ـ الخبرية .　　　　ب ـ الأدبية .

أ – الصحف الخبرية :

في النصف الأخير من القرن التاسع عشر اقتضت الحاجة وجود صحف تحكي حال الأمة ، وتنطق بلسانها ، وتصبح سلاحها، ضد الجهل والفقر والأمية، والاستعمار ، وخاصة بعدما اطّلع العلماء والمفكرون على الحضارة الأوربية ، فصارت الصحف تخرج بأيدٍ فردية وتمولها اقتصادياً ، وتسيّرها حسب المنهج الذي تريده ، بعد ما كانت الصحف تصدر رسمية في رعاية الحكومة المصرية وقتئذ .

وابتدأت الصحافة الشعبية خبرية لا أدبية مع اعتنائها بنشر شيء من شؤون الأدب والفكر ، وكان لأدباء الشام قصب السبق في ذلك ، فصدرت عنهم « مرآة الأحوال » في الآستانة ١٨٥٥م لرزق الله حسون (ت ١٨٨٠م) ، و" حديقة الأخبار " عام ١٨٥٨م لصاحبها خليل الخوري (ت ١٩٠٧م) ، و " الجوائب " ١٨٦٠م لأحمد فارس الشدياق (ت ١٨٨٧م) ، ثم برزت الصحافة الخبرية في مصر عام ١٨٦٦م(2)، وكانت أولها :

---

(١) حسن ، محمد عبد الغني ، ود. الدسوقي ، عبد العزيز : (السابق) ص ٣٢ ـ ٣٣ ، الدسوقي، عمر : «في الأدب الحديث » ج ١ ، ص ١١٢ ، ١١٤ .

(٢) مروة: (السابق) ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ، ١٦٦ ، دي طرازي : (السابق) ج ١، ص ٥٥ ، ٦١.

١ ـ « وادي النيل » ١٨٦٦ ـ ١٨٧٨م :

وهي أول صحيـفة شعبية مـصرية ، أصدرها الأديب المصري عبـد الله أبو السعود (ت ١٨٧٨م) ، وقد اهتمت بالسياسة أكثر من الأدب والتاريخ والترجمة ، وكانت من الصحف المخلـصة لسيـاسة إسمـاعيل باشـا وعرض أفكاره ، وامـتازت بانتقـائها للعـبارة الصحيحة ، والأفكار الراقية والذوق السليم(١) .

٢ ـ « نزهة الأفكار » ١٨٦٩م :

أصدرها الأديبان إبراهيم المويلحي، ومحمد عثمان جلال (ت ١٨٩٨م) ، وكان الأول جريئاً في إبداء آرائه مما عجّل برحيلها ، ولم يخرج منها إلا عددان في نصف شهر فقط ورغم حياتها القصـيرة فقد ترك فـيها محـمد عثمـان جلال عدة أعمـال له منها : السياحة الخديوية ، وترجمته رواية " بول وفرجيني " الفرنسية(٢) .

٣ ـ « الأهرام » ١٨٧٦م :

أصدرها الشـقيـقان اللبنانيـان سليم وبشارة تقـلا في الإسكندرية ، ثم استـقل بها بشـارة فقط بعـد وفاة سليم ونقل إدارتـها للقـاهرة عام ١٨٩٨م ، واسـتطاعـت في فتـرة قصيرة من الزمن أن تبلغ مدىً واسعاً في التقـدم والانتشار ، وقد صدرت أولاً أسبوعية ، ثم صارت يومية ، ومازالت تصدر إلى يومنا هذا ، واشتهـرت بأنها صحيفة إخبارية ؛ لا صحيفة رأي وفكر ، وتميزت بدقة الأخبار وصدق الأنباء، وتحريها للحقيقة فيما تكتب . وقد اتخذ صاحبـاها طريقة جديدة للكتابة فيها ، تلائم طبيعـة العمل الصحفي السريع ، ليقرأها الجميع على مختلف طبقاتهم التعليمية .

---

(١) دي طرازي : (السابق) ج ١ ، ص ٦٩ ، زيدان : (السابق) ج ٤ ، ص ٤١٥ .

(٢) دي طرازي : (السـابق) ج١ ، ص ٧٨ ، حـسـن ، محـمـد عـبـد الغـني ، و د . الدسـوقي ، عبدالعزيز : (السابق) ص ٣٢ ـ ٣٣ .

وتُعد الأهرام وثيقة تاريخية مهمة، فقد قيل عنها إنها " مدرسة للصحفيين "(١) ، وأم الصحف اليومية في المشرق العربي ، بل كانت ديواناً للحياة المصرية خاصة والعربية عامة ، لأنها عاصرت أحداثها الجسام ، وأرّخت أيامها التي عانتها من خطوب الاستعمار والحروب المختلفة(٢) .

٤ - « مصر » ١٨٧٧- ١٨٨٠ م :

أنشأها الشاب الطموح أديب إسحاق في القاهرة ، ثم نقل إدارتها بعد عام إلى الإسكندرية ، وشاركه في تحريرها صديقه سليم نقاش (ت ١٨٨٤م) ، ثم اشتركا في إصدار جريدة " التجارة ".

ولم تستمر صحيفة مصر طويلاً ، فقد كانت معرضاً للأفكار الثائرة ، ومن ذلك بسطها آراء الشيخ جمال الدين الأفغاني(٣) . وعلى الرغم من أنها كانت صحيفة سياسية ، لكنها استطاعت أن تخدم الأدب كالصحيفة الأدبية الخالصة ؛ لما تميز به صاحبها من ملكة كتابية ، قلما ملكها أديبٌ آخر ، حيث مزج بين ذهنية الأديب وأوضاع الحياة السياسية ، ومشكلاتها ، ففتح للفكر الأدبي أبواباً ، وأضاف إليه ثروة وأي ثروة(٤) .

كذلك عني فيها بالترجمة ، واختيار الأخبار التي ترفع الهمة ، وتدعو إلى التعاون والتآزر ؛ لتقوية الروابط الإنسانية بين أهل اللغة العربية على اختلاف مشاربهم ، إلى جانب اهتمامه بتقوية اللغة العربية وتهذيب عباراتها(٥) .

---

(١) دي طرازي (السابق) ج٣ ، ص ٥٠ .

(٢) د . فياض ، « الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب الحديث إلى قيام الحرب العالمية الأولى » ص ١٥٥ - ٧ .

(٣) د . حمزة ، عبد اللطيف « أدب المقالة الصحفية » ج٢ ، الهيئة المصرية العاة للكتاب ١٩٩٥م، ص ٢٥٦ .

(٤) د . فياض « الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب الحديث » ص ١٧٦ .

(٥) د . فياض : « الصحافة الأدبية بمصر وأثرها في تطوير الأدب الحديث » ص ١٧٧ - ٨ .

٥ ـ « المؤيد » ١٨٨٩ ـ ١٩١٥م :

أصـدرها الشيخ علي يوسـف (ت ١٩١٢م) ، والشـيخ علي مـاضي ، ومـا لبث الأول أن استـقل بها ، إذ وجـد تشجيـعاً من أعـيان المصـريين وأثريائهم وكبـار الكتاب لمناوأة الاحتلال الإنجليزي في مصر ، فصارت ميداناً للدفاع عن المسلمين ، وساحة يعبر فـيهـا عن أمانـي الوطنيين ، وكتب فـيـها كـبار الـعلماء والكتـاب والسـياسيين والأدباء المصريين ، فـأجالوا أقـلامهم بكل قـولٍ سديد ، ومن أبرز هؤلاء : مـحمد عـبده ، سعد زغلول ، إبراهيم المويـلحي ، والمنفلوطي ، ومـحـمد كـرد علي ، والشـيخ مـحب الدين الخطيب ، والشيخ عبد الرحمن البرقوقي .

وقد سن صاحبها فيها أسلوباً سهلاً واضحاً ، مع متانة الرصف ، وقوة الكلام ، لا عهد للناس به من قبل[١] .

٦ ـ « الجريدة » ١٩٠٧ ـ ١٩١٥م :

أصدرها الفيلسوف أحـمد لطفي السيد ، وقد جعل منهـا منبراً علت منه أصوات رجال الفكر والسيـاسة ضد الاستعـمار البريطاني ، وكـانت لسـان حزب الأمة ، مما أدى إلى التـفاف عـدد كبير من الكتـاب حولهـا . إلا أنهـا عقـدت صداقـة وثيقـة مع الفكر الأوروبي[٢]، وكان لصـاحبها مـواقف من اللغة العربيـة فقد دعا فـيها إلى تمصيـر اللغة ، كما سيأتي لاحقاً[٣] .

---

(١) دي طرازي : (السـابق) : ج٣ ، ص ٣٧ ـ ٤٠ ، الإسكندرية ، أحـمـد ، وآخرون « المفصل في تاريخ الأدب العـربي في العصـور القـديمة والوسـيطة والحـديثة » تقـديم وضبط وتعليق : الدكـتور حسّان حلاق ، دار إحياء العلوم ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٤٤ م ، ص ٥٤٢ ، ٥٩٣ .

(٢) مرّوة : (السـابق) ص ٢٠٠ .

(٣) انظر : الفصل الخاص بـ (موقف « البيان » من الدعوة إلى العامية) .

ب ـ الصحـــف الأدبيـــة :

١ ـ « المقتطف » ١٨٧٦ ـ ١٩٥٢م :

وهي تمثل الصورة الحقيـقة للصحافة العربية وللمواطن العـربي ، الذي كان شغوفاً بالمعرفة . وقـد صدرت باديء الأمر في بيروت ، ولكن في عام ١٨٧٨م نقلها صـاحباها يعقوب صـروف (ت ١٩٢٣م) ، وفارس نمر إلى مصر ، حيث ظلت تصدر بانتظام كل شهر ، وأسماها جرجي زيدان " شيخ المجلات العربية "(١) .

واهتـمت بنشر العلـوم على اختـلافهـا من صناعـة ، وزراعة ، وطب ، ورياضـة ، واقتصاد ، وعنيت بنقل أحدث الاختراعـات في الغرب والآراء العلمية ، وخاضت أيضاً في المسائل العصرية من أدبية وفلسفية وطبيعية . كما اتسعت صفحاتها لأقلام الكتاب ، والأخذ بآراء القراء ، فكانت دائماً في تطور ونماء .

ولقد دبَّ في المقتطف روحٌ جديدة عندما تولى الإشـراف عليها فؤاد صروف في عام ١٩٢٧م خلفاً لعمه ، فبدأت تخفف من سمـاتها العلمية الصارمة ، وتتجه إلى نشر الأدب ، وما يتـعلق به من الدراسات الأدبية التي تمثل روح التـجديد . وظهر في بعضـها الميل إلى النزعـة العلميـة الواقعـية وذلك في الانتـفاع بمناهج النقّـاد الغربيين في الـدراسة والتعليل . واستطاعت المقتطف أن تؤدي خدمـة عظيمة لأبناء الوطن العربي في مـجال الترجـمة ؛ فـأغنت اللغة العربيـة بالكثيـر من المفردات والمصطلحـات والتراكيـب اللغوية والمشتقات العلمية(٢).

٢ ـ « الهلال » ١٨٩٢م :

أنشـأها جـورجـي زيدان (ت ١٩١٤م) وطال بهـا العـمـر إلى يـومنا هذا ، وهي تبحث في التاريخ والأدب والاجتماع ، وتهتم بذكر أحدث الاكتشافات والاختراعات

(١) « تاريخ آداب اللغة العربية » ج٤ ، ٤٢٢ .

(٢) دي طرازي : (السـابق) ج٢ ، ص ٥٢ ـ ٥٤ ، د . فيـاض : « الصـحـافـة الأدبيـة بمصـر ١٩١٤-١٩٣٩م ج٣ ، ص ٦٤ ، ٢٠٤ .

العلمية ، بيد أنها ركزت على الجانب التاريخي والفلسفي والاجتماعي ، فقامت بنشر الأبحاث الاجتماعية والملحقات التاريخية في آخر المجلة . ومن موضوعاتها المختلفة التي كانت بقلم صاحبها : تاريخ التمدّن الإسلامي ، وتاريخ العرب قبل الإسلام ، وتاريخ آداب اللغة العربية .

واتخذت " الهلال " لها أسلوباً واضحاً في الكتابة يتميز بالعبارات السهلة الخالية من التعقيد . أضف إلى ذلك أنها كانت ومازالت ميداناً فسيحاً يستقطب أقلام كتاب وأدباء العرب من كل قطر . ولذا تعتبر " الهلال " من أهم المصادر الأدبية للباحثين(١) .

٣ - « البيان » لليازجي ١٨٩٧ - ١٨٩٨م :

ثم « الضياء » ١٨٩٨ - ١٩٠٦م :

أنشأها العالم اللغوي الفذ إبراهيم اليازجي ، بالاشتراك مع بشارة زلزل ، وجعلا شعارها (مجلة علمية ، أدبية اجتماعية) تصدر كل شهر ، وقد انصبّ أكثر اهتمامها على نشر مبتكرات العصر ، ومآثر الأمة العربية العلمية والأدبية مع ((إعمال الجهد في إحياء لغتها التي هي أفصح ما اختلج به لسان ، وتدارك ما طرأ عليها من النقص ، بما اعتور أوضاعها من الإهمال والنسيان ، أو ما خلت عنه من الأوضاع العصرية ، التي زادت بزيادة مدارك العلم ومطالب العمران ..))(٢)

وقد كتب اليازجي فيها سلسلة مقالات بعنوان (اللغة والعصر) ، أظهر فيها مواقفه صراحة إزاء قضية تجديد اللغة ، وأسباب ضعفها ، فذكر أن الهرم الذي أصاب اللغة ، إنما يرجع إلى تأخر الأمة عن مواكبة روح العصر لا من عجز في اللغة نفسها عن التطور .

---

(١) زيدان : (السابق) ج ٤ ، ص ٤٢٢ .

(٢) افتتاحية « البيان » ، العدد ١ ، السنة ١ ، ١٨٩٧ م ، ص ١ - ٤ .

وفتحت " البيان " باباً للنقد الأدبي اشتمل الروايات المعاصرة لها منها رواية " الثورة العرابية " لعبد الفتاح رفعت ، و " عذراء الهند " لأحمد شوقي ، وقد غلب على أسلوبها في النقد الاتجاه اللغوي ، والحرص على صحة العبارة والتركيب ، مما أظهر مدى عناية اتجاه " البيان " فيما ينبغي أن تكون عليه لغة العصر .

وقد اضطر اليازجي بعد ذلك إلى إغلاقها في نفس العام الذي صدرت فيه(١) .

ولم يتوقف اليازجي عند ذلك ، بل أصدر منفرداً " الضياء " وحدد هدفها لتكمل خطة " البيان " ، وتكون امتداداً لها ، وقال في ذلك : ((وهذا صنوه " الضياء " نبرزه من بعده متحلياً بآماله ، ... نتابع العمل فيه على وجهه من انتقاء المباحث العلمية والأدبية والتنقيب عن المكتشفات العصرية))(٢).

وكان كتّابها من كبار أدباء العرب أمثال : مصطفى الرافعي ، أحمد تيمور ، نقولا حداد ، شبلي شُمَيِّل ، أمين الحداد ، لبيبة هاشم . وغيرهم كثير .

٤ ـ « المجلة المصرية » ١٩٠٠ ـ ١٩٠٣م :

أصدرها الشاعر خليل مطران ، وجعل من أهم مبادئها الدعوة إلى أدب حديث ، ونشر كل ما يتعلق بالأدب مع اجتناب البحث في السياسة والدين ، والتنزه عن المطاعن وكل مبتذل من القول ، ورسم لمجلته عشرة أبواب رئيسة مقسمة إلى فصول وهي : الأدبيات ، المتفرقات ، التاريخ والعاديات ، القضاء ، الزراعة ، الاقتصاد ، المباحث الفلسفية ، باب حفظ الصحة ، باب التلخيص ، الأنباء العلمية .

وقد اتسمت المجلة المصرية بالنظام والإتقان ، والمستوى الرفيع في مادتها وأسلوبها، وكان الشعر من أكثر الفنون التي لاقت اهتماماً لديها بحكم صاحبها الشاعر خليل مطران الذي جعل منها داعية لتجديد الشعر ، ومعرضاً لأقلام الشعراء وإن

---

(١) د . فياض: « الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب الحديث» . ص ٣٩٤ ـ ٣٩٨ وما بعدها.
(٢) افتتاحية الضياء ، ع ١ ، س ١ ، ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩ م ، ص ٣ .

اختلفت اتجاهاتهم . ومن أبرز شعرائها أحمد شوقي ، وكانت تصفه بـ " الطائر المحكي " أو " طائر مصر المغرد " ومن شعرائها أيضاً : حافظ إبراهيم ، وإسماعيل صبري ، وأحمد محرم ، وعلي الجارم ، وملك ناصف ، وكثير غيرهم(١) .

٥ ـ « سركيس » ١٩٠٥ ـ ١٩٢٦ م :

مجلة إخبارية أدبية ، لصاحبها سليم سركيس (ت ١٩٢٦م) ، سجّل على غلافها أنها عبارة عن مجموعة آداب وفكاهة ، وقد اصطبغت بروح صاحبها المرحة وشخصيته الفكهة الطريفة ، ولم تهتم بالأدب لذاته بل بأخباره ، وأخبار أدبائه في مصر والشام والمهجر . وتميزت عن رصيفاتها في الموضوع والعرض والطريقة ، ويظهر ذلك في أسماء أبوابها الطريفة ، ومنها : مطبخ العقول ، حديث القهوات ، جعبة المحرر ، حديث العصفورة ، يغيظني ولا يعجبني ، حسنات الشعراء ، الشيء بالشيء يذكر ، من كل شجرة ثمرة .

أما لغتها فكانت مزيجاً بين العامية والفصحى ، ولعل صاحبها لم يقصد بذلك الترويج للعامية ، وإنما روح المجلة اقتضت ذلك منه . وعندما اتهم إبراهيم اليازجي سليم سركيس بأنه لا يزال طفلاً في اللغة العربية بالنسبة له، احتج الأخير بأن صحيفته فكاهية، ليس لها هدف آخر سوى إمتاع القارئ مع الفائدة ؛ لأنه يكتب لأبناء القرن العشرين ، وليس كاليازجي الذي يكتب لأبناء القرن الرابع عشر .

ولسركيس مثالبها التي لا تخفى ، منها : نشر القصة المترجمة الرخيصة ، فقد نزلت بلغة المجلة إلى مستوى قريب من العامية ؛ إرضاءً لميول بعض جوانب المجتمع الشعبي(٢).

---

(١) د. فياض « الصحافة الأدبية بمصر وأثرها في تطوير الأدب الحديث» ص ٤٠٦، ٤٠٨ ومابعدها.

(٢) د . فياض « الصحافة الأدبية بمصر وأثرها في تطوير الأدب الحديث » ص ٤٤٣ ، ٤٤٨ ، د . محمد ، محمد سيد : « هيكل والسياسة الأسبوعية » ص ١٧ ـ١٨ .

٦ - « الزهور » ١٩١٠ - ١٩١٤م :

أنشأها أنطون الجميّل (ت ١٩٤٨م) ، وأشرك معه في إدارتها أمين تقي الدين ، وظلت تصدر شهرية بانتظام إلى أن احتجبت . وقد كتب على غلافها " مجلة أدبية فنية علمية " وكان هدفها الجمع بين زهور الحركة الأدبية والفكرية المتبعثرة في الوطن العربي في حديقة واحدة وهي مجلة " الزهور " لتكون حلقة وصل بين أبناء الوطن العربي في المجال الفكري والأدبي ؛ لأن كلاً منهم يجري في مضماره دون أن يعرف شيئاً عن الآخر حتى القليل(١). وقد عملت الزهور جاهدة لتحقيق أهدافها ، فعقدت الأواصر بين كتّاب وشعراء الوطن العربي ، ونشرت المراسلات الشعرية بين شعراء الشام ومصر . وكانت أكثر الصحف اتصالاً بالأدب وفنونه ، والتزمت في كل أعدادها بمواضيع ثابته في أبوابها ، وهي : في رياض الشعر ، في جنائن الغرب ، في حدائق العرب ، أشواك وأزهار ، حديقة الأخبار ، ثمرات المطبوعات ، الروايات .

وكان كتابها من مشاهير الوطن العربي ، وخاصة مصر والشام ، أمثال : أحمد شوقي ، إلياس فياض ، أحمد محرم ، أمين الريحاني ، إسماعيل صبري ، محمد السباعي ، فليكس فارس(٢).

٧ - « البيان » للبرقوقي ١٩١١ - ١٩٢١م :

برز أول أعداد " البيان " للشيخ عبد الرحمن البرقوقي على الساحة الأدبية في شعبان ١٣٢٩هـ / ٢٤ أغسطس ١٩١١م ، لتهل على خواص الأمة من الأدباء والمفكرين ، وتضطلع بخدمة الأدب الحديث لكونها إحدى الصحف التي علا صوتها ، وتميز دورها . وقد آثر صاحبها أن يصدر أول أعدادها بكلمة من أستاذه الإمام محمد عبده في محاورة دارت بينهما .

---

(١) الجميّل . أنطون: (ما هي هذه المجلة) ، مجلة « الزهور » القاهرة : ع١ ، س ١ ، مارس ١٩١٠م، ص ٥ .

(٢) (السابق) ص ١ - ٨ .

وتُعتبر " البيـان " وقتها فتحاً جديداً في عالم الصحـافة ، ومدرسة يلقى منها أدباء وعشـاق الفن الرفيع كل ممتع ومـفيـد من الفكر المتنوع ، إذ زخرت بفـيض من الثقـافات المختلفـة ، وجلّة من عبقـريات التفكير المتـباينة ، سواء مما أنتـجته عقـول أدباء الغرب ، أو عصارة أفكار الشرق ، كما كانت ميداناً رحيباً لكل الأقلام العربية المتميزة فيها(1).

أصدرها البرقـوقي أولاً شهرية ؛ ثم نصف شهرية في سنتـها الرابعة ١٩١٥م ، ثم أراد صاحـبها أن يطورها ؛ فـجعلها أسـبوعيـة ، وأطلق عليهـا " البيان الجـديد " في عام ١٩١٧م ، وعندما لـم يتـسنَ له ذلك ، أخرجهـا نصف شهرية ، ثم أُوقـفَت عن الصدور لفترة قصيرة في شهر يـونيه من العام ذاته ؛ بسبب الحرب التي أثّرت على أسعار الورق ، إلا أن " البيان " استطاعت أن تعـود كما كانت ؛ فاستأنفت الصدور شهـرياً في ديسمبر ١٩١٧م ، واستمرت فترة على هذا النظام ، ثم عادت نصف شهرية في عام ١٩٢١م ، إلى أن آل بها الحال إلى التوقف عن الصدور في نوفمبر من العام نفسه(2) .

وقد افـتقد ت مـجلة " البيـان " من حيث الشكل ، حسن التنظيم ، والإخراج ، فجـعلت جلّ اهتمـامها بالمـادة المنشورة ، فكانت أبوابهـا غير ثابتـة ، ولـم تولِ الفهـرسة اهتمامـاً يذكر ، مستـغنية بذلك عن الفهرس ؛ وهو مـفتاح دخول القـارئ لأي موضوع سيقرأه ، بيد أنها كانت تورد أحياناً كثـيرة قائمة بما أسمته " موضوعات هذا العد د " أو " موضوعات العدد القادم " قائلة : ((ومن بين مـوضوعات العدد الأول من السنة الثالثة مقدمـة العلم ، وباب تاريخ الإسلام ، وفصل في التـعليم من كتاب روح التربيـة للعلامة جوستـاف لوبون ... وغير ذلك من الموضوعـات الجليلة الشائقة ، وهذا ماعـدا التصوير وكشكول البـيان والمطبوعـات الجديدة))(3). ثم وضعت فـهرسـة علمية لأعـداد السنة الثالثة ١٩١٤م ، والعدد الأول من السنة السادسة ١٩١٧-١٩١٨م فقط .

---

(١) انظر : البرقـوقي ، عبـد الرحمن : « دولة النساء ، مـعجم ثقافي اجتـمـاعي ، لغوي عن المرأة » ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٥م ، المقدمة ، ص (هـ) .

(٢) انظر : ما ورد عن « البيان الأسبوعي » في الباب الأول ، الفصل الثاني .

(٣) ع ١٠ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ٦٤٧ .

ولم تلتزم أيضاً بإخراج الموضوعات كـاملة ، علاوة على ذلك التبـاعد الزمني في نشر حلقات المواضيع المتتابعة ، ومن ذلك ما نشرته من ترجمة جزئية لحياة ابن حمديس في العدد الثاني من السنة الأولى ؛ ولم تتمه إلا في العدد العاشر من السنة ذاتها . وكثيراً ما كانت تجمع بين عددين أو ثلاثة وتنشرها في وقت واحد ، وإن خالف ذلك خطتها ، واتبعت أيضاً الترقيم المستقل للكتب والروايات ؛ تيسيراً منها للقراء إن أرادوا فصلها عن المجلة ؛ وجعلها في مجلد خاص .

والتنظيم الإخـراجي الذي لم تعطه المجلة اهتـمـامـاً ، لـم يؤثر على مـكانتهـا ، فقـد عاشت زمناً مديداً ، استطاعت فيه أن تؤثر بقـوة على مسيرة الأدب الحديث وذلك لعدة امتيازات اختصت بها :

أولاً : التزمت الحـفاظ على الهدف العـام المخطط لها ، وهو خدمـة الأدب العربي الحديث عن طريق النهل من معين تراث الأدب العربي ؛ والقطف من ثمار الثقافة الغربية وأدبها . بل تجاوزته إلى نشـر المترجم من الآداب الشرقيـة كالفارسية واليـابانية ، وكانت بذلك جـسراً قوياً عـبرت من خـلاله الآداب العالميـة إلى البلاد العـربية ، فكان لهـا أثرها الفعّال في تنشيط الحركة الثقافية .

ثانيـاً : اعـتناؤهـا بالأسلوب البـيـاني حـيث بلغـت فـيـه الذروة والأوج من القـوة والإشراق والنصاعة ، وحرصها على التمسك بهذا الأسلوب ، الذي يتطلب إبراز المعنى في إطار فني .

ثالثاً : كانت مدرسة للشبيبة الأدبية تتلمـذ عليها ناشئة الأدباء وقتئذ ؛ أمثال : طه حسين ، ومحمـد حسين هيكل ، وعباس محمود العـقاد ، وإبراهيم المازني ، ومصطفى صادق الرافعي ، وأمراء الترجمة ، وتزعمهم محمد السباعي الذي ظل مع مجلة " البيان " حتى انزوت عن الأنظار ، ثم عباس حافظ ، ومحمد لطفي جمعة ، وعلي أدهم .

وقد استطاعت تلك الأسماء البارزة مع غـيرها من الكتاب الآخرين تكوين خلية من العمل الأدبـي الجاد في مجلة " البـيـان " بالتـعاون مع صاحـبها الشـيخ عبـد الرحمن

البـرقوقي ؛ لتـصبح نسيـجـاً وحدها بين المجـلات الأدبيـة التي خدمـت الأدب الحـديث بصدق ؛ حرصاً على رقي الأمة عقلياً وروحياً .

وإفساح صفحات " البيان " لكل الأقلام البارزة ، جعلها معقلاً قوياً لهم ، ليقودوا بعـد ذلك الحركـة الفكرية في مصـر والوطن العربي ، يـقول الأسـتاذ إسمـاعيـل محـمد حسنين[1]: ((... وأصبحت " البيان " ميداناً رحيبـاً فيه فسحة للكاتبين والمتأدبين ، فلا بدع أن اجتذبت إليـها رجالات الأدب وقادة التفكيـر في مصر ، الذين نصبـوا نفوسهم إلى جـوٍ حرٍ خـالصٍ من العقم والإسـفاف والذيـن يترقـبون في لهـفة مـوجهـاً يوجهـهم الوجهة الصحيحة ، ويأخذ بيدهم إلى التفكير السليم ، والذين يتطلعون إلى بيئة نقية من الشوائب ينطلـقون فيهـا شادين صادحين يـستلهمـون من عالمها الكتـابة الحية الناصـعة ، ويستوحون من واديها الأدب الصافي الجميل))[2].

ولذا فالبيان جديرة بالبحث والدراسة بما ملكت من خصوصية ؛ ميزتها عن غيرها من الصحف الأدبيـة ؛ سواء كان ذلك في المنهج أو الأسلوب ، أو مـوقفها من التـعريب والدعوات إلى عامية اللغة ؛ ناهيك أنه بعدما أفلَّ نجمها في ١٥ يوليو ١٩٢١م - بسبب الحرب وظروفها التي نالت من تماسكها وقوتها - بقـيت بمنهجها الثابت نبراساً تأثرت به المجلات اللاحـقة كـالزهراء ، والسيـاسة الأسـبوعيـة ، والبلاغ الأسـبوعي ، والعـصور ، والمعرفة ، والرسالة ، والثقافة ، كما سيتضح لاحقاً في ثنايا البحث .

وقبل الشروع في الحـديث عن مداخل " البيان " ومنهجهـا ، فإنه من الأفضل أن ينتـهي التمـهيـد بعرض لمستويات أسلـوب الكتابة الصـحفي ، وسيتطرق الحـديث عن الأسلوب البياني ؛ لما له من عـلاقة بأسلوب مجلة " البيان " وطريقتـها في الكتابة ، ومن ثم يتم عرض الباب الأول الذي سـيتقدم فيه سيـرة البرقوقي وأثرها في منهج المجلة ؛ لأنه كثيراً ما يتأثر منهج المجلات الأدبية بشخصية أصحابها واتجاهاتهم الفكرية .

---

(١) هو زوج ابنة صاحب المجلة ، من كلمـة له في تأبين البرقوقي ، نشـرت في مقدمة كـتاب « دولة النسـاء » .

(٢) البرقوقي : (السـابق) المقدمة ، ص (هـ - و) .

مستويات أسلوب الكتابة في الصحافة قبل " البيـان "

نهضت الصحافة بالعبء الأكبر في تحرير الأسلوب الأدبي من كثير من ألوان الزخرف البديعي منذ ظهورها في القرن التاسع عشر ، وقد ذكر الدكتور محمد الكتاني أنها كانت العامل الأساس في إخراج الكتابة العربية من طور الجمود وتجاوز ذلك التقليد(١). إذ بلغت الكتابة النثرية في معظم حالاتها درجة من الانحطاط والضعف في أواخر العصر العثماني فكانت لا تخرج عن إطارين :

١ ـ إما التصنع المثقل بالبديع والزخرف اللفظي ، وكثرة إيراد السجع والطباق ، فضلاً عما كان يطرأ على تركيب الجمل من ضعف وتهافت الفكرة ، وركاكة المعاني ، إذ صار كل ممن له حظ بسيط في الأدب يجتر قوالب السابقين من غير أي مقدرة على الابتكار ، ولا تظهر موهبته إلا في أطر محدودة ، فيما يكتبه من (الرسائل الاخوانية) ، سواء كانت تهنئة أو عتاباً أو تعزية أو مهاداة .

٢ ـ الإسفاف إلى درك العامية ، وكثيراً ما لجأ إليها كتّاب (الدواوين) والمؤرخون كابن إياس والجبرتي ، فأتى وصف الوقائع والأحداث مزيجاً من الفصحى التي كانت تعوقهم ، والعامية الدارجة التي تسعفهم ، كما تسرب إلى عباراتهم كثير من الألفاظ الأعجمية(٢).

ثم أخذ الأسلوب يتطور بعد ذلك تدريجياً فتعددت مستوياته عن طريق الصحافة وشخصياتها البارزة فيها فكرياً ، وقد عملت جاهدة على تطوير أسلوب الكتابة كما سيأتي . وكانت " البيان " إحدى أهم الصحف التي كان لها دور كبير في ترقية

---

(١) انظر : « الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث « ج ١ ، ط ١ ، دارالثقافة ، الدار البيضاء ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م ، ص ٢٧٥ .

(٢) المقدسي : أنيس : « تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي » ط ٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢م ، ص ٢٣٢ ، د . ضيف ، شوقي : « الفن ومذاهبه في النثر العربي » ط٦ ، دار المعارف ، مصر ١٩٧١م ، ص ٣٨٧ ـ ٨ .

الأسلوب العربي . وحتى نطّلع على مدى هـذا الدور الذي أدته إلى اللغة العربية ، لابد من الإلمام بشيء عن مستويات الكتابة قبل ظهور " البيان " وأمثالها من الصحف المتميزة على الساحة الأدبية .

المستوى الأول : الأسلوب البديعي :

سعى كتاب الصحافة في البدايات الأولى من عصر النهضة إلى تطوير أساليب الكتابة في محاولة للعناية بالمعاني ؛ والتخلص من الصناعة والزخرفة اللفظية ، بعدما اطّلعوا على أسباب الحضارة الأوروبية . بيد أن الكتابة أخذت تتأرجح بين الترسل مرة ، والارتداد مرات أخرى إلى الأسلوب البديعي، الذي هو لغة فن المقامة المرهق بالصنعة البيانية والزخرف اللفظي. وقد استمرت سيطرة السجع والجناس وزادت مكانتهما في الكتابة الصحفية ، فجريدة " الوقائع المصرية " في زمن تحرير رفاعة الطهطاوي لها لم تخلص أخبارها من البديع والألفاظ العامية والأعجمية في كثير من كتاباتها[١] . كذلك ظلت الأساليب المقامية مسيطرة على الكتابات الأدبية والمقالات التي أصدرها عبد الله فكري (ت ١٨٨٩) ، وصالح مجدي (ت ١٨٨٠ م)[٢]. وقد تجاوز ذلك إلى عناوين المقالات والقصص فكانت مصبوغة بالسجع ، كالتي نشرت في مجلة " روضة المدارس " منها مقالة بعنوان : (مسألة إحصائية ، وفائدة استقصائية بعدد النفوس البشرية الموجودة على الكرة الأرضية) أو (المقالة السادسة في لص حليف إنصاف ، حميد أخلاق وأوصاف)[٣].

وقد أدرك الرواد الأوائل أمثال رفاعة الطهطاوي الفرق بين الأسلوب العلمي والأدبي ، وهو أحد من ارتبط أسلوبهم بتطور النثر . ففي كتاباته الأدبية لا يخرج عن

---

(١) الإسكندري ، وآخرون : « المفصل في تاريخ الأدب العربي » ص ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، د . حمزة : « أدب المقالة الصحفية » ج١ ، ص ٩٠ - ٩١ .

(٢) انظر : الدسوقي ، عمر : «نشأة النثر الحديث وتطوره » ص ٥٤ .

(٣) حسن ، محمد عبد الغني، د . الدسوقي ، عبدالعزيز : « روضة المدارس » ص ٥٩ .

إطار عصره في الحرص على الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم ، أو ما يناسب من الحديث الشريف ، أو ببعض المأثور من التراث مع مراعاة السجع . أما في كتاباته العلمية فكان ينطلق مترسلاً مهتماً بالمعاني ومحتفلاً بالألفاظ(١) . وله عدة مقالات علمية في " روضة المدارس " منها : (بركة الأزبكية) في عهد محمد علي ، فآثر الإعراض فيها عن استخدام البيانية والزخرف اللفظي قائلاً : ((وفي سنة ألف ومائتين واثنين وخمسين برز المرحوم محمد علي بطم البركة ، وغرسها بستاناً ، فكان الأمر كذلك فعمرت فيها السواقي والدواليب ، وذهبت عنها المياه الراكدة عقب فيضان النيل ، وكثرت فيها المباني المنتظمة على الأساليب الجديدة))(٢).

وأورث رفاعة هذه الطريقة بعض تلاميذه ممن حاولوا تتبع أسلوبه ، وهم من كتاب "روضة المدارس" أمثال : علي فهمي رفاعة ، وأحمد نجيب ، ومنصور أحمد ، وغيرهم(٣). في حين عجز بعض تلاميذه ممن أصدروا صحفاً أدبية بعد ذلك عن إدراك الفرق الواضح بين لغة الأدب ولغة العلم ، فأعادوا الأساليب البديعية المشحونة بالسجع والجناس المتكلف ، من هؤلاء عبد الله أبو السعود في جريدته " وادي النيل " ١٨٦٦م ، وكذلك ابنه محمد أنسي ، ومحمد عثمان جلال في " روضة الأخبار " ١٨٧٥م ، وقد ترجما القصة إلى العامية لعجزهما عن صياغتها بالعربية الفصحى(٤) .

ولابد في هذه المرحلة من الإشارة إلى الصحافة الشامية التي كانت رائدة وسباقة في تحرير اللغة من ربق السجع ، وتطويعها للكتابة في المجال الصحفي ، فاهتم رجالاتها بمراجعة قديم اللغة العربية لاستخراج الصيغ والمفردات التي تفي بالعلم الحديث والدراسات اللغوية . فبطرس البستاني (ت ١٨٨٣م) قام بنشر عشرات الكتب

---

(١) د . حمزة : (السابق) ج ١ ، ص ١٤٢ - ٣ .
(٢) حسن و د . الدسوقي : (السابق) ص ٢٣٨ .
(٣) حسن ، ود . الدسوقي : (السابق) ص ٦٣ .
(٤) د . حمزة : (السابق) ج ١ ، ص ١٤٤ ، ١٥٩ ، ١٨٨ .

والأبحاث اللغوية والقواميس ، وأشهرها " محيط المحيط " كما أصدر صحيفة " الجنة والجنان " ١٨٧٠م ، مع ابنه سليم (ت ١٨٨٤م) وقد عزفا فيها عن استخدام السجع ، وتحررا من البديع[١]. كما ظهرت صحيفة " الجوائب " ١٨٦٠م ، لأحمد فارس الشدياق ، وهو أحد رواد تطوير الأساليب الكتابية إلى الترسل في صحيفته الآنقة الذكر، فخلّص المقالات السياسية والاجتماعية من كل ألوان البديع[٢] .

المستوى الثاني : " الأسلوب البياني " :

اتبع أصحاب هذا الأسلوب الأسس التي وضعها الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) في مفهومه للبيان ، وقد سار عليها بعد ذلك علماء البلاغة من بعده ، ويرتكز البيان عند الجاحظ على الوضوح والإبانة والظهور في إبراز المعاني : ((فالبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، ...لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام))[٣]. ويدعو الجاحظ في الوقت ذاته إلى الاهتمام ببلاغة الألفاظ لأن " المعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة ، وألبست الأوصاف الرفيعة ، تحولت في العيون عن مقادير صورها ، وأربت على حقائق أقدارها"[٤].

ومصطفى لطفي المنفلوطي (ت ١٩٢٤م) من أعلام البيان في الأدب الحديث ، له مقالة بعنوان " البيان " يكرر فيها ما قاله الجاحظ ويدعو إليه قائلاً : ((ليس البيان إلا الإبانة عن المعنى القائم في النفس ، وتصويره في نظر القارئ ، أو مسمع السامع تصويراً

---

(١) انظر : د . الكتاني : (السابق) ج ١ ، ص ٢٧٨ ، د . حمزة : (السابق) ج١ ، ص ١٢٥ ، ٢١٦ ـ ٧ ، مروة : (السابق) ص ١٦١ .

(٢) د . حمزة : (السابق) ج ١ ، ص ٢٠٦ ـ ٧ .

(٣) أبو عثمان ، عمرو بن بحر : « البيان والتبيين » ج ١ ، دار الفكر للجميع ، بيروت ، ١٩٦٨م ، ص ١١ .

(٤) « البيان والتبيين » ج ١ ، ص ١٧٢ .

صحيحاً لا يتجاوزه ولايقصر عنه، فإن علقت به آفة [من] الآفتين فهي العي والحصر))(١).

والأسلوب البياني – نسبة إلى علم البيان – يبحث عن الجمال ، وإبراز الصورة الفنية الرائعة ، ويتلمس وجوه التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية ، ، وإن كان لعنصر الصناعة اللفظية دور كبير في هذا الأسلوب ، فعلى الكاتب أن يصطفي ألفاظه بعناية ، وأن يكون ملماً بوفر من مفردات اللغة مع الخبرة بمواقعها الكريمة.

وأصحاب هذا المستوى يدعون إلى استلهام الروح العربية وقراءة الكتب النثرية العربية في زمن قوتها أمثال كتب الجاحظ والصابي والهمذاني والخوارزمي ، والاطلاع على أساليب العرب في أوصافهم وتصوراتهم ومحاوراتهم ومساجلاتهم ، ولكنهم في الوقت ذاته يرفضون التقليد ومحاولة إظهار القدرة على البراعة في مادة اللغة ومفرداتها وتراكيبها ، بل هم يطالبون بأن يكون لكل كاتب من ذوقه الخاص ؛ ورهافة الحس ؛ ما يجعل له بصمته الأسلوبية الخاصة به . فيُعرف بها من غير الإشارة إلى اسمه ، بما يملكه من طريقة في توضيح المعنى من خلال الصورة الفنية(٢)، وتصوير ((المعنى القائم في النفس تصويراً صادقاً يمثله في ذهن السامع، كأنه يراه ويلمسه لايزيد على ذلك شيئاً))(٣).

ممايعني أنهم يسعون دائماً إلى تحقيق قيم جمالية تؤدي بهم إلى التميز والابتكار الذي يتأتى من خلال الأداء التعبيري السليم الراقي المعتمد على القواعد الصحيحة للتعبير. وأحياناًيأتي التميز في إبراز الصورة الجمالية التعبيرية عن طريق الصنعة البيانية عندبعض كتابه وذلك باضافة العنصر الذهني الذي يصاحبه الكد والجهد واستدعاء الأقيسة العقلية وتوليد الصور والتغلغل في أعماقها كما هو الحال عند الرافعي.(٤)

(١) « مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة « الموضوعة » القسم الأول : النظرات ، دار الجيل، بيروت ، ص ٢٥٢ .

(٢) المنفلوطي (السابق) ص ٢٥٣ ـ ٥ ، الإسكندري ، وآخرون : (السابق) ص ٥٨٩ .

(٣) المنفلوطي : (السابق) ص ٥٠٩ .

(٤) انظر : د . القاعود ، حلمي محمود : « مدرسة البيان في النثر الحديث » دار الاعتصام ، القاهرة ١٩٨٦م ، وانظر الباب الرابع موضوع (أساليب الكتابة) ص ٢١٦ .

وقد اتخذ البرقوقي ــ رحمه الله ـ لمجلته اسم " البيان " من منطلق مفهومه الصحيح، وحرصه عل أن تمثل مجلته الأسلوب البياني المرموق . وكون هذه المجلة ظهرت في العصر الحديث ، ودعت إلى تطوير الأساليب في مجال الكتابة ، فلا بد من فهم الملابسات التي أدت إلى إحياء هذا الأسلوب ؛ لأن مجلة " البيان " ظهرت لتلبي حاجة اجتماعية معينة . ولا يمكن ألبتة فصل الاتجاهات الأدبية عن الظواهر الاجتماعية والتطورات التاريخية ، فهذه المرحلة من الأسلوب البياني ذات صلة عميقة بالاتجاه الأدبي ، الذي ظهر في عصر النهضة ، وقد عني فيه أبناؤه بطلب الآداب العربية ، فأحيوا كتب السابقين بالتحقيق والنسخ والطبع ، وأقبلوا بشغف على قراءة كتب الأدب العربي في عهد قوته ، ونهلوا من صيغه وبلاغته ، وأفادوا من المأثور الذي تركه أعلام الأدب العربي من شعر وخطب وأمثال(١).

ولقد وجد ذلك الجيل بعد إطلاعه الواسع على تراث أدب الأمة أن أساليب البيان العربي أصيبت بالجمود حتى انزلقت إلى درك العامية ، كما عانت الكتابة العربية من آفة التصنع ، والغموض والرموز والأحاجي ، التي اكتنفت الألفاظ والمعاني مما أدى إلى سوء الفهم لما يقصده الكاتب .

لذا قامت الدعوات إلى إصلاح أسلوب الكتابة عن طريق العودة إلى تراث الأمة وأدبها والسير على نهج الأساليب الرفيعة للقدماء . فالتحرر الأسلوبي له صلة عميقة بالحياة الأدبية في عصر النهضة ، التي استجابت للوعي الديني في محاولة إحياء الماضي وفهم الدين على طريقة سلف الأمة ، فالاتجاه البياني يقع في الإطار العام الذي حددته حركة إحياء الأدب ، ومنبعه حركة الإحياء الديني(٢) .

وقد دعا الإمام محمد عبده ، وهو أحد رواد هذه المرحلة إلى إصلاح أساليب اللغة العربية عندما تولى تحرير " الوقائع المصرية " ، فقال : ((ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين :

---

(١) الإسكندري ، آخرون : (السابق) ص ٥٨٦ ، د . الكتاني : (السابق) ج ١ ، ص ٣٧٦ .
(٢) الدسوقي، عمر: « نشأة النثر الحديث وتطوره»٧١ ، د . الكتاني : (السابق) ج١ ، ص٣٧٦ .

الأمر الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى ...

والأمر الثاني : إصلاح أساليب اللغة العربية في التحرير ، سواء كان في المخاطبات الرسمية ، أو في المراسلات بين الناس . وكانت أساليب الكتابة في مصر تنحصر في نوعين ؛ كلاهما يمجه الذوق ؛ وتنكره لغة العرب :

النوع الأول : ما كان مستعملاً في مصالح الحكومة وما يشبهها ، وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات رث خبيث غير مفهوم ، ولا يمكن رده إلى لغة من لغات العالم لا في صورته ولا في مادته .

والنوع الثاني : ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر ، وهو ما كان يراعى فيه السجع ، وإن كان بارداً ، وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس ، وإن كان رديئاً في الذوق ، بعيداً عن الفهم ، ثقيلاً على السمع ، غير مؤد المعنى المقصود))[١].

والإمام محمد عبده أحد أعلام الفكر العربي الحديث في اللغة والأدب ، وأحد الداعين إلى إصلاح أحوال هذه الأمة لتساير ركب الحضارة والتقدم ، والعودة إلى عهدها السابق من المجد ، ولن يتم لها ذلك إلا بأهم مقوماتها وهي اللغة وصحة أساليبه.

ثم اضطلعت بالبيانية طبقة من الأدباء والمفكرين العرب ممن تثقفوا ثقافة أجنبية إما بلغاتها الأصلية أو مترجمة إلى العربية ، وذلك دفاعاً عن الفصحى ، ومقاومة دعاة العامية الذين رموا الفصحى بالقصور عن تلبية حاجات العصر الحديث .

من هؤلاء الرواد أديب إسحاق ؛ الذي استطاع أن يحقق نقلة كبيرة في عالم الكتابة الصحفية ، حيث نقلها من الركاكة إلى الرشاقة والقوة والطلاقة ؛ بما ملكه من أسلوب خلاب متين خال من التصنع البديعي ؛ فافتن في انتقاء ألفاظه وتدبيج أسلوبه وأصبح مثالاً يُقتدى به[٢] .

---

(١) د . حمزة : (السابق) ج ٢ ، ص ٣٠٤ .

(٢) الدسوقي ، عمر : « في الأدب الحديث » ج ١ ، ص ١٢٤ .

وكانت له دعوات في سبيل إصلاح اللغة العربية ، منها مقالته الافتتاحية في جريدة " مصر " بعنوان " سنة مصر " فدعا فيها إلى : ((تهذيب العبارة ، وتقريب الإشارة ما أمكن الحد وتنقيح الكلام ، وتقرير المعنى في الأفهام ، وإطراح ما يتجافى من اللفظ عن مضاجع الرّقة))(١) .

أما عبد الله النديم (ت ١٨٩٦م) ، وهو أحد زواد الأسلوب البياني ؛ فقد دعا إلى التوسط في أمر الفكر ، ومن ثم الأسلوب ، فالأديب ما هو إلا جزء من المجتمع ، والمجتمع يضم زمرة من صفوة المثقفين وزرافات من الناس ، فليس من الداعي أن يعلو الأديب بلغته ويتسامى بأفكاره ؛ بل المهارة الفنية تكمن لديه عندما يعدل عن الاستعلاء والابتذال معاً ، موظفاً إحساسه الشفاف ، وعاطفته الجياشة وثقافته الواسعة من أجل المجتمع والوطن(٢) . وعندما أصدر النديم صحيفته " التنكيت والتبكيت " ١٨٨١م ، أعلن فيها هجره لألوان التصنع البديعي قائلاً : ((هجوها تنكيت ، ومدحها تبكيت ، وليست منمقة بمجاز ولا استعارات ، ولا مزخرفة بتورية واستخدام ... ولكنها أحاديث تعودنا عليها ، ولغة ألفنا المسامرة بها))(٣) .

والبيانية وإن كانت أسلوباً أدبياً راقياً يبحث كاتبه فيه دائماًعن التميز وخلق الصور المبتكرة ،إلا أنها مثلت فى العصر الحديث اتجاهاً وسطياً فمن جهة ترفض بحدة الترخص والابتذال وتنأى عن التقليد والجمود في الكتابة والأساليب،فهي نموذج متطور اعتنى أصحابهافيها بالخصائص اللغوية الموروثة وأوضاعها وحافظوا عليها وعلى أساليبها واستفادوا من المميزات الفريدة في اللغات الأجنبية.ومن جهة أخرى تشترط أن تمثل اللغة روح العصر وتقوم على تصوير الحياة وواقعها(٤).

---

(١) د . فياض : « الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب الحديث » ص ١٧٧ .

(٢) د . فياض : « السابق » ص ٢٠٧ .

(٣) د . حمزة : (السابق) ص ٣٧٣ .

(٤) د . القاعود : (السابق) ص ٩٢ ، ٩٤ .

ومن الأعلام البارزة التي مثلت الاتجاه البياني إبراهيم اليازجي صاحب مجلة " البيان " ومصطفى صادق الرافعي (ت ١٩٣٧م) ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، والشيخ عبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة " البيان " الذي جعل من اسمها دليلاً عليها وموضحاً لأسلوبها ، فبلغت فيه القمة من النصاعة والجمال والتماسك بين العبارات ، فما " البيانية " إلا رسالة وجهتها مجلة " البيان " ضد الدعاة إلى العامية ، وضد التصنع اللفظي ، تتحدى بها كل من يتهم العربية بالقصور والعجز ، كما أنها بهذا الأسلوب مثلت الاتجاه السلفي في الأدب ، الذي يسعى إلى إيقاظ الفكر العربي على أسس سليمة. وقد برزت " البيان " رائدة لهذا الأسلوب من بين المجلات الأدبية ، لأنها قصدته ، فعملت على ترسيخ منهجها من خلال ما نشرته على صفحاتها في أسلوب متميز له تأثيره الهادف ، وكل ذلك سيتضح في الحديث عن منهج " البيان " (١)

المستوى الثالث : " الأسلوب الصحفي " :

لقد أدرك صحفيوا القرن التاسع عشر أن هناك تبايناً بين أسلوب الكتابة للأدب وأسلوب الكتابة للصحافة الخبرية المهتمة بالشؤون السياسية خاصةً، فحاولوا التفريق بين الأسلوبين في كتاباتهم للجرائد ،إيماناً منهم بأن الأسلوب لابد أن ينعم بقسط من الحرية مع المحافظة على بلاغة اللغة وبيانها .

والحقيقة أن طبيعة الأدب لم تكن تفارق الأسلوب الصحفي آنذاك ، فصحفيوا تلك المرحلة كانوا أدباءً أفذاذاً وأشهرهم :أديب إسحاق ومحمد عبده وعبدالله النديم ، ممن كانت لديهم المقدرة على إنشاء المقال الصحفي بلغة يمكن أن تصلح لكتابة الأدب أكثر من صلاحها لكتابة الصحف الخبرية(٢).

---

(١) عالجت « البيان » قضية أساليب الكتابة وأبرزت الآراء المتباينة بين كتابها حول الأسلوب الأمثل الذي يجب أن تأخذ به المجلة من بين الأساليب الأخرى ، انظر ص ٢٣٢ .

(٢) د . حمزة : (السابق) ج ٢ ، ص ٤٤٠ .

ثم شاع الأسلوب الصحفي في أوائل القرن العشرين ، وقدكان لهذا الأسلوب إرهاصات مهدت له،وتمثلت في أدباء وكتاب أهل الشام خاصةًعلى نحو ماذكر[١] .

وقداعتمدت الصحف الخبرية هذا النوع من الأسلوب الذي يمتاز بالوضوح والسهولة بحيث يكون معناه في ظاهر لفظه، فصاحبه يتعمد التعبير عن المعنى بأقرب الألفاظ وأوضحها إذ لايهمه إلا التعبير عمايجوب بخاطره، مبتعداًكليةً عن الزخرف اللفظي وتخير الألفاظ وتأنق العبارة ، فوضوح الرؤية الفكرية وأبعادها اهتمامه الأول ؛ لأنّ خطابه موجه لجميع الطبقات التعليمية، فلامكان للارتفاع بالعبارات والتعمق في المعاني بما قد يلزم القارىء من كد الذهن والتعمق فيما يقرأ، وكان لظهور هذا الأسلوب عدة أسباب[٢] :

١ ـ الظروف السياسية التي أحاطت بالصحافة مما أوجب لغة خاصةً ومناسبة لبث روح المقاومة في النفوس ضد الاحتلال ،لأنها صحف تخاطب الجماهير والذين في شوق دائم للجديد من الأحداث ،فالكاتب عليه ألايحتفي بالأسلوب أويجنح للخيال بل يعمد إلى التصوير السريع.

٢ ـ استجابة الصحافة لروح التطور في الحياة والانسجام مع إيقاعها السريع فأضحت تصدر يومية ، وهذا الإيقاع يميل عادةً إلى السرعة والتدفق والانطلاق ،فليس لديها الوقت الكافي للتنميق والإجادة ، فسرعة الحدث تقتضي سرعة الكتابة .

ومن أبرز تلك الصحف التي استجابت لروح التجديد(المؤيد) لعلي يوسف ، و(اللواء)لمصطفى كامل ،و(الجريدة) لأحمد لطفي السيد[٣] .

٣ ـ وجود الكتّاب الذين جالت أقلامهم في ميدان الصحافة الشعبيةالخبرية اليومية، فقدموا لقرائهم نموذجاً جديداً من الكتابة فيها الكثير من التطور والتجديد

(١) انظر : ما تقدم ، ص ٤٢ .

(٢) الدسوقي ، عمر : « نشزة النثر الحديث وتطوره » ص١٠٣ ، مروّة (السابق) ص ٤٣٢ .

(٣) الدسوقي ، عمر : (السابق) ص ١٠٣ ـ ١٠٤ . د. القاعود : (السابق) ص ٦٧ .

والاهتمام ،خاصة بالجانب الفكري والموضوعي في كل مايطرح ،مع الجنوح إلى الدقة والترسل الكامل فالشيخ علي يوسف يعد زعيماً للمدرسة الصحفية الحديثة، وصاحب طريقة جديدة في الكتابة الصحفية. مازالت تجري عليها الأقلام الصحفية في مصر .إلى جانب ظهور عدد من الكتاب الذين درسوا في الغرب فأصبحت اللغة لديهم عبارة عن محتوى يحمل شحنة من الثقافة والفكر الغربي، وخير من يمثله أحمد لطفي السيد والذي امتاز أسلوبه بالدقة والأناقة والرصانة القريبة إلى الأذهان(١).

غير أن مزيداً من التطور لحق هذا الأسلوب الصحفي بعد ذلك فاتجه إلى مايسمّى باللغة الوسطى أو أسلوب الصحافة والإعلام، وذلك عندما أصبحت الصحافة اليومية مضطرةً بأن تملأ صفحاتها بكل لون من الأخبار والمعلومات لتقدم للقارىء في الوقت المحدد، فنتج عن ذلك عدم اهتمام كثير من الصحفيين بتنقيح وتهذيب وتشذيب ما يكتبون،وأصبح هناك نوع من التساهل والتسامح في الصياغة ، والترخص أحياناً عند بعض الكتاب بإدخال الألفاظ العامية وكل ذلك من اجل تحقيق متطلبات الصحيفة(٢).

وبهذا ظهرت العلاقة وثيقة بين أساليب الكتابة والصحف ، فتطورت من خلالها عن طريق امتزاج الفكر العربي بالفكر الأجنبي بعد عهود عاشها الأسلوب العربي مكبلاً بآفة التصنع البديعي ، فتدرج الأسلوب من بديعي إلى بياني ثم صحفي . والأسلوب البياني – كما مرّ معنا – مثلته صحيفة " البيان " وبلغت فيه الذروة ، وكانت الغاية منه ترقية الآداب من خلال الأعمال المتميزة التي نشرت على صفحاتها .

وقبل أن يتطرق الحديث عن الدور الذي أدته " البيان " من خدمة للأدب الحديث من خلال ما سيعرض في الأبواب القادمة ، يحبذ أن يتم تخصيص الفصل الأول من الباب الأول لسيرة صاحب المجلة عبد الرحمن البرقوقي ، وفاءً لهذا الرجل الذي أعطى سني عمره ، وارتخص كل غالٍ لديه من أجل المشاركة في تطوير فكر أبناء الوطن العربي في زمن عانوا فيه ويلات الاستعمار .

(١) د . هيكل ، أحمد : « تطور الأدب الحديث في مصر » ص ٧٠ - ٧٣ ، ١٧٢ .
(٢) د . القاعود : (السابق) ص ١١٣ .

الباب الأول

البرقوقي ، ونهج « البيان »

الفصل الأول

عبد الرحمن البرقوقي (١٨٧٥ ـ ١٩٤٤ م)

سيرته ومكانته العلمية

الفصل الثاني

« البيـــان »

الفصل الأول

عبد الرحمن البرقوقي (١٨٧٥ ـ ١٩٤٤ م)

سيرته ومكانته العلمية

١ ـ مولده وتعليمه .

٢ ـ أخلاقـــــه .

٣ ـ أسلوبـــــه .

٤ ـ علاقته بالإمام محمد عبـده .

٥ ـ تضحياته في سبيل « البيان » .

٦ ـ وفاتـــــه .

٧ ـ آثاره المحققة والمؤلفة :

أ ـ شروحه وتحقيقه للتراث .

ب ـ مؤلفاتـه .

جـ ـ مقالاتـه .

د ـ مشاركته في التصحيح .

عبد الرحمن البرقوقي هو أحد الرجال الذين مثلوا ركناً مهماً في نهضة الأدب الحديث ، ومَعْلَماً من معالم البيان ، وممن عملوا بضمير حي في مجال الصحافة الأدبية ، لترقى الأمة العربية والإسلامية فكراً وروحاً ، فأنشأ مجلة " البيان " عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م . وبذل من جهده ونفسه ما جعل بينه وبينها رابطة كرابطة النسب(١) .

ومن المؤسف أن رجلاً مثل البرقوقي لم ينل حقه من الدراسة والعناية بأدبه إلا بعد زمن متأخر على الرغم من كثرة تلامذته ومريديه ؛ من الذين تحلقوا بأقلامهم حول بيانه أمثال العقاد ، والمازني ، وشكري ، ومحمد حسين هيكل وغيرهم من أدباء وكتّاب النهضة المعاصرة ، والذين مازالت أسماؤهم تعلو في سماء الفكر والثقافة الحديثة إلى يومنا هذا(٢).

بيد أن القصور في معرفة قدره قد لازمه أيضاً طيلة حياته الأدبية ، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة الرجل فلم يكن يبحث عن الشهرة بقدر اهتمامه بالعلم وتحصيله ونشره، وقد شهد له المازني بذلك عندما نعاه بقوله : ((رحم الله البرقوقي ! قضى نحبه في جيل أكبر الظن أنه لا يعرفه معرفته ، وكان في زمانه من أعيان البيان وأقطابه وأعلامه ، بل كان يمثل عهداً من عهود الأدب))(٣).

١ ـ مولده وتعليمه :

عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد أحمد بن سالم البرقوقي ، ولد في (منية جناج) بمركز دسوق بالغربية في مصر سنة ١٨٧٥م . وتلقى تعليمه في الأزهر ، وأخذ العلم من شيوخه الكبار ، أمثال الشيخ محمد محمود الشنقيطي (ت ١٩٠٤م) ،

---

(١) كثيراً ما يربط بين اسم البرقوقي ومجلته ، سواء على غلاف كتبه المحققة أو المنشأة ، أو عندما يرد ذكره في معاجم الأعلام ، بقولهم : « عبدالرحمن البرقوقي ، منشئ مجلة البيان » .

(٢) سبقني باحث في كلية اللغة العربية بجامعة الزهر ، واسمه « بدر الدين عبدالحميد نصر موسى » بالكتابة عن البرقوقي لنيل درجة الماجستير في عام ١٤١٠هـ ، بعنوان « عبدالرحمن البرقوقي أديباً وناقداً » .

(٣) البرقوقي ، عبد الرحمن : « دولة النساء » المقدمة ، ص (م) .

وحسين المرصفي صاحب الوسيلة الأدبية . واستفاد من دروس الإمام محمد عبده الذي تلقى عنه علوم البلاغة ، إذ قرأ عليه كتابي : " أسرار البلاغة " و" دلائل الإعجاز " لإمام البلاغة الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)(١).

وقد كان - رحمه الله - محباً للعلم ، شغوفاً بالمعرفة ، جدّ واجتهد في التحصيل والدرس ، واطلع على أغلب ما تُرجم في زمنه ، مما أثرى فكره ووسع آفاقه المعرفية ، قال عنه المازني : ((كان البرقوقي واسع الاطلاع على الأدب العربي ، حسن الفهم له ، .... ولكن الأدب العربي كان يخايله ، فيودّ لو تيسر له أن يطلع عليه ، ولا يجد إلا ما نقل عنه إلى اللغة العربية - وما أقل ذلك - وكان يعرف للمذهب الجديد في الأدب العربي بمصر حقه وفضله ، ويكبره ولا يغمطه))(٢).

٢ - أخلاقه :

عرف البرقوقي بين أهل الفضل والأدب ، بتواضعه الجم ، وأدبه العالي ، وحلاوة حديثه ، وأنس مجلسه ، وسعة صدره ، وصحة إدراكه للأمور ، وتقديره لكل ما هو فاضل وما يستحق الإشادة والتقدير من ذوي العلم والمعرفة . كما كان يملك نفساً صافية وشريفة ، وأخلاقاً علت عن سفاسف الأمور ، ومثّل أيضاً الشخصية المسالمة التي لا تعرف التعصب أو المكابرة ، وكثيراً ما كان يمازحه صديقه محمد السباعي ويسميه (الشيخ شرف) وهو مزح مبطن بجد(٣).

٣ - أسلوبه :

اشتهر البرقوقي بأسلوبه البياني ، وعُرف به ، فقد ملك طابعاً فنياً ذا خصائص أسلوبية امتاز بها عن بقية الكتاب ؛ بحيث يستطيع الدارس أن يتعرف على أسلوبه دونما

---

(١) البرقوقي : (السابق) ، ص (هـ) ، الزركلي ، خير الدين : « الأعلام » ج ٣ ، ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م ، ص ٣٠٩ .

(٢) البرقوقي : (السابق) المقدمة ، ص (ن) .

(٣) البرقوقي : (السابق) المقدمة ص (ز ، س ، ف) .

توقيع منه ، ولقد صح قلمه ، واستوى على الطريقة البيانية ، وتجلى طابعه الفني ، وأصبحت له بصمة خاصة يعرف بها بعد أن مر بمراحل :

أولاً : كان يميل إلى نهج مدرسة عبد الله فكري[1] ، التي تؤثر الأسلوب المقامي، وتتعمد اصطناع المنحى الفني له في الكتابات الأدبية .

ثانياً : بدأ أسلوبه يتحرر من قيود البديع ؛ حينما اتصل بشيخه الإمام محمد عبده حيث ظهر بالأسلوب الجزل المرسل ، الذي حددته له أمور الصحافة اليومية ، والتي كانت تدعو إلى النهوض الفكري بانتهاج أسلوب يلائم المواقف ، فليس لدى كتابها الوقت الكافي للتنميق بين المعاني والألفاظ ، كما كان معهوداً في كتابة الصحف الأسبوعية أو الشهرية آنذاك .

ثالثاً : ظهور مجلة " البيان " وقد انضم إليها عدد من كتاب النهضة الحديثة فمنهم من كان ذا بيان أمثال الرافعي والسباعي ، والآخرون حذوا الأسلوب الخلدوني وهو الذي غلب على كتاب " البيان " فكانوا يكتبون مترسلين دونما قيد . وقد سار البرقوقي مع هذا الركب بيد أنه امتاز عنهم فاهتم اهتماماً شديداً بالبيان الجاحظي ؛ من حيث الرصانة المتماسكة ، وجودة العبارة ، وجزالة الأسلوب[2] . فكان له أسلوبه الذي انفرد به ، والذي وصفه المازني بقوله : ((ولا يقلد فيه كاتباً بعينه وإنما يدخل في باب التقليد ؛ لأنه يجري فيه على النهج القديم في الاستعارة والمجاز وقوالب التعبير الموروثة على العموم من العصر الذي صار فيه تأليف الكلام صناعة))[3].

---

(١) من نوابغ المصريين في الأدب والشعر ، وله عدة مؤلفات منها كتاب تعليمي ، واسمه « الفصول الفكرية للمكتبات المصرية » توفي سنة ١٣٠٧هـ /١٩٨٩م . انظر : زيدان « تاريخ آداب اللغة العربية » ج٤ ، ص ٥٨٣ ، الزركلي : « الأعلام » ج ١٤ ، ص ١١٣ .

(٢) د . البيومي ، محمد رجب : (من أعلام الأزهر : عبدالرحمن البرقوقي) مجلة الأزهر « ج ١٠، ص ٦١ ، شوال ١٤٠٩هـ ، ص ١٤٤ ـ ٥ .

(٣) البرقوقي : (السابق) المقدمة ، ص (ف) .

٤ ـ علاقته بالإمام محمد عبده :

كانت علاقة البرقوقي بشيخه الإمام محمد عبده علاقة ذات صبغة خاصة ، وروح متميزة ، هذه الروح تشعر بها ، وتسمع أنفاسها ، من خلال استنطاق ألفاظ البرقوقي ، التي خرج حبرها من روحه السامية العلمية المهذبة الوطنية المتدينة ؛ لا من قلمه ، وأقول هذا لأن البرقوقي كان ثمرة صالحة طيبة من ثمرات الإمام ؛ بل غرسة استقام عودها ، وأينعت أوراقها ، وأثمرت بذورها ، فامتد ظلها إلى أبعد مدى ، فكانت " البيان " التي أرادها صاحبها مشروعاً يستثمر فيه هدى الإمام في الإصلاح والتهذيب ، والتربية الروحية والعلمية ، استمر جهاد أستاذه فيه شطراً من الزمن ، فتلقى على يديه دروساً في عظمة الأخلاق ، وتألق النفس العالية ، وصفاء الروح العظيمة ، فكانت اللغة والأدب سبيل البرقوقي وسلاحه الوحيد والأقوى على مدار السنين الذي استعمله من خلال مجلة " البيان " التي فعل من أجلها الكثير ، كما سيعرف لاحقاً ، إذ يقول : ((فعلت كل ذلك لأنه مبدأ نشأت عليه في صحبتي للأستاذ الإمام حكيم الشرق وأكبر المصلحين فيه المرحوم الشيخ محمد عبده ، فقد صحبته وأخذت عنه تسع سنوات كاملة بعد أن قطعت عمراً قبلها في الأزهر وكنت من الذين يدرسون أخلاق الأستاذ ونفسيته العالية ويستمدون من روحه العظيمة ويقدرون مستقبلهم على ما يرون من حاضره . ولو أنه – رحمه الله – تفرغ لإنشاء مجلة لكان له منها أعظم الربح ، أو أعظم الخسارة لأنه لا يبالي بكليهما ولا يسعى لأحدهما ، وإنما يكون الأمر صورة لذمم القراء ..

ولما استأثرت رحمة الله بالأستاذ جعلت همي أن أستثمر أدبه فيّ ، فانصرفت نفسي إلى منزع من الإصلاح أتأتى إليه بعمل ينفع الناس ، ولم أرَ إلا الأدب واللغة والرقائق النفسية ففرغت للامتلاء من آثار الأولين والآخرين ومازلت أرصد في مراقب الأيام حتى خرجت من صحف الغيب في أوائل سنة ١٩١١م صحيفة البيان))[١].

---

(١) (حفل تكريم البيان) ؛ مجلة « البيان »، ع٥ و٦ ، س٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٩١ .

وقد صور البرقوقي حاله قبل معرفته بالإمام حينما كان طالباً في الأزهر ، حيث شبه جهاد الإمام مع طلابه بعمل الأنبياء ، إذ وجدهم يتعسفون الطريق ، ولا يهتدون إلى العلم النافع ، فأقامهم على المناهج النيّرة ، وأفاض عليهم من علمه وأدبه ، فأخرجهم بذلك من ظلمات الجهل إلى دروب النور(١).

واستطاع الإمام أن يستحوذ على نفس البرقوقي أيضاً ، ويشذب أطرافها ، ويرهف حواسها ، بعدما قضى صاحب هذه النفس مدة يسير فيها على غير هدى وبلا هدف ، يقول : ((وكنت لا أعرف للعلم معنى إلا أنه في الكتب ؛ ولا أفقه له غاية إلا بنقل ما في هذه الكتب من الخزائن الخشبية إلى الخزائن العظمية (الرؤوس)))(٢) .

وقد عرف البرقوقي من خلال تلك الصحبة المباركة لشيخه ؛ قدره الذي يستحق ؛ فقال عن شخص الإمام : إنه مدرسة لمن يحسن أن يدرس شمائله وصفاته ويقرأ صحائف أعماله بتفحص وتبصر(٣) .

وكان اعتزاز البرقوقي بشيخه إشارة تستحق الذكر والتأمل الطويلين ؛ فمثل هذا النوع من العلاقات تبقى على مر الزمن ؛ لأن الروح هي التي تسيطر عليها لا المادة ، والبناء الصالح للفرد الواحد من أجل إحياء أمة بكاملها هو الهدف الذي بناه الإمام في تلميذه ، فلا نجد عملاً للبرقوقي إلا وفيه تقريظ من الإمام لكتاب تلميذه ـ كما سيرى ـ في كتابه « شرح التلخيص في علوم البلاغة » للإمام القزويني ؛ أو إهداء له من تلميذه، فقد أهدى البرقوقي شيخه كتاب « حضارة العرب في الأندلس » ومن خلال هذا الإهداء يتلمس القارىء مكانة الشيخ السامية عند تلميذه الذي يقول فيه : ((إلى روح أستاذي الإمام الشيخ محمد عبده ـ إلى الرجل العظيم الذي لم تقع عيني على مثله ؛ رجاحة عقل وعبقرية ذهن وسمو نفس وعظمة روح وهمة تناطح النجوم .... إلى

---

(١) انظر : « حضارة العرب في الأندلس » المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م ، المقدمة ، ص (ب) .

(٢) افتتاحية السنة الأولى ، مجلة « البيان » ، ع١ ، ١٩١١م ، ص ٢ ـ ٣ .

(٣) مجلة « البيان » : (السابق) ص ٣ .

الرجل الذي يحب معالي الأمور ، ولا يحب سفاسفها .... إلى روح أستاذي الذي علمني وربّاني وأدبني فأحسن بحمد الله تأديبي - فكنت خرّيجه ولا فخر ، وكنت غرس يديه ونَعمة عَين))(١).

٥ ـ تضحياته في سبيل البيـان :

عشق البرقوقي " البيان " وآثرها على نفسه وماله وولده ، ليسمو بها إلى مراقي العلا بين لداتها من الصحف في زمن صعبت فيه أمور الحياة بسبب الحرب(٢). ورغم ذلك بقيت على مدى أحد عشر عاماً تصارع الصعاب ، فأصبح صاحب " البيان " - كما يصف نفسه - كتلك الذبالة التي تضيء للناس وهي تحترق ، فثابر وواظب ، وارتخص ماله ، وامتهن جسده وروحه في سبيل هذه المجلة . فلقد نشأ على حب العمل، وفطر على حب العلم والأدب ، وفي هذا السبيل قضى أحلى أيام عمره وزهرة شبابه بين الدراسة والقراءة والترجمة والتأليف(٣).

ومن أجل " البيان " باع البرقوقي أرضه الزراعية - على سعتها - وبعض العقار المنزلي ليفي بالأمانة لأمته ، ويتوالى عطاء المجلة - من غير توقف - دون أن يستند إلى معونة من الحكومة ، أو رفد من أهل الثراء ، أو جاه يرتكز عليه ليمده بالمال . قال واصفاً حاله عندما لم يجد ما يعينه على إخراج أعداد جديدة إلا مال أبنائه : ((لم تر أمامنا للحصول على مبلغ من المال نداركِ به حاله [أي البيان] سوى ذلك الذماء الباقي لأولادنا ، فما كان منا إلا أن أزعجناهم إزعاجاً ، كأنا بهم لا ينسون أبد الدهر حرقته ، وذلك بأنا أخذنا منهم أخذ عنيد نهم ، ثمن قطنهم ، واشترينا به ورقاً يكفي البيان عاماً كاملاً))(٤) .

---

(١) « حضارة العرب في الأندلس » المقدمة ، ص (أ ـ ب) .

(٢) الحرب العالمية الأولى .

(٣) انظر : البرقوقي ، عبدالرحمن: (شكوى واعتذار) ؛ مجلة « البيان » ، ع٩ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٥٢٣ . وكلمة ناجي البرقوقي : (حفل تكريم البيان) ؛ مجلة « البيان » ع٥ و٦ ، س٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٩٤ .

(٤) (الحق الصراح) ؛ مجلة « البيان » : ع١، س ٨ ، ١٩٢٠ م ، ص ٦٦ .

وصرَّح البرقوقي عند أول صدور البيان بأنه كان يحلم بها أحلاماً وآمالاً كثيرة واسعة ، ولكنه وجد الواقع غير ذلك ، فكانت صدمته فيها منذ السنة الأولى ، صدمة زلزلت أركان ثروته زلزالاً شديداً ، إذ خُيِّل إليه أن أعداد البيان تطير في الآفاق على أجنحة الملائكة ، ولكنه رأى أن الرياح لم تعد عليه بشيء ، ولم يحصل منها حتى على قيمة الاشتراك ، وهكذا فإن معظم مشاكل الناس سببها النية الصالحة لديهم عندما يحسنون الظن بالآخرين ويضعون ثقتهم في غير أهلها(١) .

ثم توالت العقبات الكؤود بسبب مطل القراء في دفع الاشتراك ، فكان يحاول أن يُسرِّي عن نفسه المشاكل التي سببها له هؤلاء حتى بعدما أغلق المجلة ؛ لأن ما من صاحب مجلة إلا أصابته الهموم من المئات بل الألوف من القراء الذين لا وفاء لهم ولا عهد ، فهو ينفق من نفسه ، وهم يمحقونه حقه " ولا يزال ذلك شأنهم وشأنه ، لا هو يتركهم وعليهم حقه ، ولاهم يدعونه في غير هذه الحالة ، وبذلك يذهبون بفلسفته وعلمه وأدبه مذاهب العقم ويبلونه بالاغتمام "(٢).

وبقدر ما عانى من القراء عانى أيضاً من وكلاء المجلة ، الذين سرقوا مال مجلته ، مما اضطره أحياناً إلى إرجاء بعض أعدادها ، حتى يعوض ما سرق منه ، ناهيك عما يصيبها من حسادها وأعدائها الذين كادوا لها وتقوّلوا عليها باختلاق الوشايات والنمائم(٣).

ولم تك هذه الصعاب لتوقفه عن عمله الجبار ؛ فقد كانت إرادته أقوى من كل صخرة تعترض طريقه ، فأنفق عليها أكثر مما استفاد من القراء ، وقد تعاطف معه رصيفه الأديب سليم سركيس الذي شهد له بهذه التضحية ، قائلاً : " إنهم يعطونه فضلات أموالهم بشيء من التردد والتسويف، وهو يعطيهم وقته كاملاً واجتهاده وأكثر ماله "(٤).

---

(١) البرقوقي ، عبد الرحمن : (حفل تكريم البيان) ؛ (السابق) ص ١٩٤ .

(٢) « حضارة العرب في الأندلس » المقدمة ، ص (و - ز) .

(٣) البرقوقي ، عبد الرحمن : (شكوى واعتذار) ، (السابق) ص ٥٢٣ .

(٤) (فاكهة الفاكهة) ، مجلة « البيان » ع٥، ٦ ، س٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٦٨ .

كما أنه لم يكن ينظر أبداً إلى العائد المادي ، ولو كان ذلك هدفه لأغلق " البيان " منذ سنتها الأولى ، بل ما لبثت في حياتها تقاتل الموت ، فالحرب أغلقت كثيراً من المجلات بسبب ارتفاع الأسعار الذي شمل الورق مع ندرته ؛ لأنه رأى من نفسه مناضلاً مجاهداً ، أو كما يقول في ذلك : ((أنَّ النفس المادية لا تستطيع أن تتصل حق الاتصال بالمجموعة الروحانية التي تتألف منها جمهرة القراء وبالتالي فهي لا تستطيع أن تنبسط على هذه المجموعة شعاعاً ولا أن تخطر عليها نسيماً ولا أن تترقرق فيها ندى فإن غذاء الأرواح كغذاء الأزهار ـ بالنيرِّ النيرِّ الرقيق الرقيق . ولهذا كان أهل الإصلاح من الأنبياء فمن دونهم لا يبالون بالمال ولا بالغنى لمكان الاتصال منهم بتلك المجموعة ومكان الإفاضة عليها . ولهذا أيضاً قنعت قناعة الزهاد ، ووقفت نفسي على قدر لها من الجهاد وأبيت أن يكون اتصالي بالقراء من هذا النوع السوقي الذي يشبه اتصال البائع بالمشتري. وأنا أعلم يقيناً أن هذا غرض تتزلزل النفس من دونه ولا يثبت عليه إلا من كان حجراً تحت ضرس الدهر لا يقضمه ولا يهضمه))[1].

ومن السهل تقبل مثل هذه التضحية من رجل صاحب أهداف سامية ، هي فوق كل اعتبارات البشر ، حتى الحرب نفسها فإذا كانت الحرب تقوم لتبدد البشر وطاقاتهم، فالبيان تحارب لتبدد نفس صاحبها وماله لتحيا العقول البشرية بغذائها ، ففي الحرب موت الحياة لطمع مشعليها ، وهنا موت فرد لحياة العلم الذي به تستيقظ الأمة .

٦ ـ وفاتــه :

بعد احتجاب مجلة " البيان " ١٩٢١م ، كُرِّم البرقوقي من قبل سعد زغلول فعينه موظفاً في مجلس الشيوخ سنة ١٩٢٤م ، ثم رئيساً لقلم المراجعة سنة ١٩٣١م في مجلس النواب ، تقديراً لشخصه ولمكانته الأدبية ، وظلّ في وظيفته إلى أن أحيل عنها ، ثم داهمه الموت عام ١٩٤٤م ، تاركاً وراءه سيرة عطرة[2] .

---

(١) (حفل تكريم البيان) ، (السابق) ص ١٩١ .

(٢) البرقوقي : « دولة النساء » المقدمة ص (و ـ ز) .

وقد نعته مجلة " الرسالة " تقديراً من الزيات (ت ١٩٦٨م) لمكانته العلمية قائلة :

((في الأسبوع الماضي انتقل إلى جوار الله شيخ من شيوخ الأدب ، وعلم من أعلام الصحافة ، وهو الأستاذ " عبد الرحمن البرقوقي " منشيء مجلة " البيان " ، وصاحب المؤلفات القيمة في الأدب والتاريخ ، فجاءته المنية وهو مشغول بإعداد الجزء الثالث من كتابه (الذخائر) ، فأسكنت قلباً كان ينبض بأنواع المعرفة ، وأسكنت قلماً يجري بمعاني الجمال ، جزاه الله على اجتهاده وجهاده خير الجزاء ، وعوض أمته وأسرته عن فقده خير العوض))(١) .

وخلد البرقوقي آثاراً عظيمة في مجال التحقيق والتأليف ، وقد خرج بعضها للقراء، وما بقي ينتظر الظهور ، وسوف أعرّج على ذكرها في الصفحات التالية .

٧ ـ آثاره المحققة والمؤلفة :

تعددت مواهب الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ـ رحمه الله ـ وتنوعت آثاره ، فقد عُرف قبل " البيان " وبعده بأنه كاتب مرموق ، كتب في الصحف وحقق التراث ، وأنشأ الكتب الأدبية وشارك في تصحيح بعض مؤلفات معاصريه .

أ ـ شروحه وتحقيقه للتراث :

يعد البرقوقي من أوائل المحققين للتراث العربي في أوائل القرن العشرين ، بيد أنه للأسف الشديد لم يُشر إليه بالبنان ، ولم يُذكر دوره العظيم بين المحققين ، مع أنه قام بتحقيق مجموعة من دواوين الشعراء منها (ديوان البحتري) ، وقد نقله من نسخة مخطوطة لم تطبع سابقاً . ناهيك عن الجهد الذي لاقاه من مخطوط متآكل لديوان كبير كديوان البحتري ، وقد قام بنشره في جزأين كبيرين ، وأتى بعده من شرح الديوان ، ولكنه لم يضف إليه جديداً اللهم إلا الأستاذ حسن كامل الصيرفي الذي أبدع في إخراج الديوان ، ولم ينكر جهد البرقوقي ؛ بل أشار إلى صنيعه المضني(٢).

---

(١) ع ٥٦٨ ، س ١٢ ، ٢٩ جمادى الأولى ١٣٦٣هـ / ٢٢ يونيو ١٩٤٤م ، ص ٤٩٨ .

(٢) د . البيومي ، محمد رجب : (من أعلام الأزهر ، عبد الرحمن البرقوقي) ؛ (السابق) ج ١٠ ، ص ١١٤٧ .

ثم تلاه شرح وتحقيق (ديوان حسان بن ثابت)[١] حيث حظي البرقوقي بالأولية في تقديم هذا العمل العظيم ، الذي لم يشرح سلفاً ، وقد ذكر أنه وجد الأمرَّين في شرحه لديوان حسان رضي الله عنه ؛ واعترف بهذا العناء والمكابدة اللتين لقيهما ، أكثر مما عاناه من إخراجه لديوان المتنبي[٢] .

وقد وضع البرقوقي في مقدمة (ديوان حسان) دراسة مختصرة عن الشعر الجاهلي ، نقلها من كتابه حضارة العرب في الأندلس ، ثم أردف هذه المقدمة بالحديث عن نسب حسان ونشأته ، ورأي نقاد العرب في شعره ، وعراقة آل حسان في قول الشعر . ثم أعقبه بحديث عن شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأثر الإسلام في شعرهم ، ثم الشعر في رأي المصطفى عليه الصلاة والسلام ؛ وكيف كان يحنو على الشعراء . وهي مقدمة مفيدة وممتعة معاً لدارسي الأدب[٣] .

وقد امتاز عمله بالأمانة العلمية ، وشرحه بالدقة واستيفاء المعنى ، وإن احتاج الموقف للاستشهاد ببيت شعر ذكره كما كان يذيل الشرح بذكر الأيام التاريخية ، إن استدعى الموقف ذلك ، مثل إيراد ذكر يوم (سميحة) في بيت لحسان ، حتى لا يترك القارىء في جهالة من أمره ، ويريحه من نصب البحث في بطون كتب التاريخ [٤] .

وعاب الدكتور محمد رجب البيومي عليه هذا الاستطراد العلمي ، ولكنه التمس له العذر بأن البرقوقي « أراد أن يحاكي صنيع المرزوقي والتبريزي والعكبري من شرّاح الدواوين ، فيعالج شؤوناً من اللغة والنحو والبيان ، تضيء مناحي الإبداع الفني »[٥].

(١) أخرج البرقوقي ديوان حسان بن ثابت « رضي الله عنه » عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩ م .

(٢) انظر : البرقوقي : « شرح ديوان المتنبي » ج١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، ص ٣ - ٤ .

(٣) انظر : « شرح ديوان حسان بن ثابت « دار الكتابي العربي ، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص٧ وما بعدها .

(٤) والبيت هو : وجَدّي خطيبُ النّاس يوم سميحة وَعمّي ابن هندٍ مُطْعِمُ الطّير خَالِدُ
البرقوقي : « شرح ديوان حسان بن ثابت » ص ١٦٨ -٧٠ .

(٥) (السابق) ج ١٠ ، ص ١١٤٧.

ثم أعقبه بإخراج (شرح ديوان المتنبي)(١) ؛ وقد وضع البرقوقي في مقدمة الديوان سؤالاً تحسباً أن يسأله القارئ ؛ وهو : لماذا أقدم على شرح ديوان المتنبي على الرغم أنه حظي بشروح عدة ؟ ثم ذكر المتداول منها في عهده .. وهو شرح العكبري والواحدي واليازجيين . ثم أجاب على سؤاله هذا : أما الواحدي فقد طبع شرحه في الهند ، وهذا مما يصعب تداوله بين الناطقين بالضاد لندرته وغلاء ثمنه ، ثم ذكر أن شرح الواحدي والعكبري لا يتفق وروح العصر فكلاهما يتفقان في بعثرة الأبيات وإثبات البيت ثم شرحه ، فضلاً على ذلك ما ألم بشرحيهما من داء التحريف ، وهفوات وقصور ألمَّ بساحته ، وزاد الواحدي على العكبري عدم عنايته بتفسير المفردات والإعراب في كثير من الأبيات - أما اليازجيان - الشيخ ناصيف (ت ١٨٧١م) وابنه الشيخ إبراهيم - فقد أخذ على الثاني طنطنته حول شرح الديوان بأنه طَبَّق المفصل وأصاب مقطع الحق وأوفى على الغاية . إلا أنهما قصّرا على - حد قول البرقوقي - فالقسم الذي تولى شرحه الشيخ ناصيف ، تعرض فيه لشرح المفردات دون المعاني ، هذا إلى أنهما أغفلا كثيراً من الأبيات التي تستحق الشرح ، ولم يتعرضا لسرقات المتنبي وذكر الأشباه والنظائر .

وذكر البرقوقي أن اطلاعه لم يقتصر على الشروح السابقة ، بل تتبع كل من تعرض للمتنبي بالشرح أو النقد كابن فورّجه والعروضي والتبريزي وابن وكيع وابن القطاع وابن الأفليلي ، وهؤلاء على الرغم من أن شروحهم جيدة ، إلا أن بجانب حسناتهم سيئات ، وسَدَادهم زلات وهفوات(٢).

ومزية شرحه لديوان المتنبي - كما ذكر - أنه تلاقت فيه كل الشروح بعد التهذيب والتنقيح والتحوير ، فتوافر له ما لم يتوافر لأي شرح من الشروح ، حتى صار يغني عن سائرها(٣).

---

(١) أخرج الديوان عام ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م .

(٢) انظر : « شرح ديوان المتنبي » ج ١ ، ص ٤ - ٩ .

(٣) « شرح ديوان المتنبي » ج ١ ص ١٦ .

هذا ، ويعد شرح البرقوقي لديواني حسان والمتنبي من أرقى الشروح الأدبية ، التي وصلت إلى درجة عالية من التحقيق العلمي ، وقد وجدا حظهما من النشر والتداول بين أيدي الدارسين .

وللبرقوقي أيضاً شروح أخرى منها (البهجة البرقوقية) وهي شرح قصيدة لعليّ الرّضا[١]. كذلك لا ينكر جهده في شرحه لكتاب " التلخيص في علوم البلاغة " للخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) ، وكان لهذا العمل هدف سامٍ حمل مشعله في جميع أعماله ، ومنها مجلة " البيان " وهو الدفاع عن لغة القرآن الكريم ؛ لأن البلاغة هي السبيل لإدراك إعجاز القرآن ؛ والوقوف على أسراره ؛ كما أراد إلى جانب ذلك أن يتجه نحو كتاب بلاغي آخر ، يكون عمدة لطلاب البلاغة في هذا العصر ، سهل التناول بينهم ، مختلفاً عن " دلائل الإعجاز " و " الأسرار " للجرجاني ؛ وخاصة أن مؤلف التلخيص اتبع الاختصار في قواعد هذا العلم[٢]. وقد حظي الشرح بتقريظ من الإمام محمد عبده ، قال فيه : ((شرحه [أي التلخيص] كثير من الناظرين عن الفن ، وتعلق الأغلب بلفظه ، ولم ينظروا الغاية من وضعه ، فصرفوا الوقت فيه ، وفاتتهم البلاغة نفسها بجميع مقاصدها ....] و [شرحه الشيخ عبد الرحمن البرقوقي ، واطلعت على نموذج من شرحه ، فوجدته كافياً في تبيين معنى ما في الكتاب ، موجهاً النظر فيه إلى ما قصد منه : ولاحاجة بالسائر إلى الغاية من الفن إلى ما هو أكثر مما جاء فيه ، وإنما الواجب عليه تحصيل الملكة بالعمل ، ومزاولة كلام البلغاء ، وكسب أساليب الفصحاء ، .... وأسأل الله أن ينتفع بهذا الشرح مطالعه ، ويستفيد منه مراجعه ...))[٣] .

---

(١) ربما يكون أبو الحسن ، علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، ثامن الأئمة الأثنى عشر عند الإمامية ، ومن أجلاء السادة أهل البيت وفضلائهم ، وصاحب المأمون (ت ٢٠٣هـ انظر : الزركلي « الأعلام : ج ٥ ، ص ٢٦ .

(٢) انظر : القزويني الخطيب ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن : « التلخيص في علوم البلاغة «ضبط وشرح:عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٠هـ/١٩٣٢م، ص ١٠.

(٣) « التلخيص في علوم البلاغة » ص ١٩ - ٢٠ ، افتتاحية السنة الأولى ، مجلة « البيان » ع ١ ، ١٩١١ م ، ص ٥ - ٦ .

ولبى البرقوقي أمر أستاذه إبراهيم اليازجي بشرح " رسالة الغفران " للمعري (ت ٤٤٩هـ) وكانت مليئة بالأخطاء الكتابية ، والتصحيف والتحريف ، ولم يكن لدى اليازجي وقت ليعيدها إلى أصلها الصحيح ، فكان البرقوقي موضع ثقة أستاذه ، فقضى معها وقتاً كؤوداً ، ليخرج منها بما يفيد الدارس ، وللأسف جاء من بعده من حقق " رسالة الغفران " دونما الإشارة إلى جهده فيها ، وبأنه من مهد الطريق لهم(١) .

وقام – أيضاً – بشرح مؤلفات ليس لها علاقة باللغة والأدب مثل : كتاب (الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية) وكان شَرْحه لهذا الكتاب يدل على سعة ثقافته وإيمانه بأن طالب العلم عليه ألا يحصر نفسه في مجال بعينه ويتسع فيه ، دون أن تكون له معرفة بالعلوم الأخرى ، وله كلمة في مقدمة الكتاب أشار فيها إلى فقر العرب في علم الحكمة ، قائلاً : ((أصاب علوم الحكمة رس من الضعف الذي ألمَّ بسائر العلوم ، فوقع لها ما وقع من الحشو والغموض ، والزيادة والنقص واختفاء المتون تحت كثافة الشروح والحواشي وغير ذلك ، مما يصعب معه جني ثمرها اليانع ، وتناول لبابها النافع ، ومما لم يبق معه إلا حثالة من الحكمة ، يطمح إليها الأغبياء ، ويتقزز عنها طبع الأذكياء ، نعم وهل لدينا منها إلا علم المنطق ، الذي هو لها أشبه شيء بالنحو للغة . ولكن أين علم الأخلاق الذي هو معدن السعادة ؟! ... وأين علم السياسة الذي لولاه لفسد النظام ؟! ... وأين علم تدبير المنزل وبه هناء الأسر ونعيم الأقرباء ؟! ... وأين علوم الطبيعة وبها نفقه أسرار الكون ؟! ... إنّ اليراع لينمق هذه الكلمات وبيت الشاعر يجيش في الفؤاد.

قَومِي هُمُ قَتَلوا أُمَيْمَ أَخي ... فإذا رَمَيتُ أَصَابَني سَهْمِي "(٢)

وله – رحمه الله – أيضا شرح كتاب في الفقه ، ألفه محمد البشار بعنوان : " أسهل المسالك في فقه الإمام مالك))(٣).

---

(١) د . البيومي : (من أعلام الأزهر عبدالرحمن البرقوقي) . (السابق) ج ١٠ ، ص ١١٤٦ .

(٢) الخير آبادي ، الماتريدي العمري ، مولوي محمد فضل الحق : « الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية» شرح: عبدالرحمن البرقوقي، مطبعة مجلة المنار الإسلامية ، القاهرة١٣٢٢هـ ص٢٢.

(٣) نقلاً عن كتاب البرقوقي : « دولة النساء » صفحة (مؤلفات المؤلف) .

ب ـ مؤلفاته :

قام البرقوقي بتأليف قصة أسماها " سياحة في الفردوس " كتبها على غرار "رسالة الغفران للمعري " فأراد أن يحاكيه ولكن لم يصل إلى درجة الإتقان الفني الذي وصل إليه المعري في رسالته . وقد فعل فعله فمثلما تحدث أبو العلاء عن الذين سبقوه من أدباء العربية ، كذلك البرقوقي تحدث في فردوسه عن أعلام النهضة الأدبية والسياسية من معاصريه الذين سبقوه إلى دار البقاء(١) .

وقد أعلن البرقوقي عن كتابه في مجلة " البيان " ووصف نفسه بأنه (أديب روحاني) من غير أن يذكر اسمه صراحة ، قائلاً : ((قد استزار أحد كبار الروحانيين الأدباء الذين عنوا في عصرنا هذا باستحضار الأرواح ، وأصابوا في هذا الأمر الخطر أقصى غايات النجاح ، هذا الروح الكريم ، فزاره زيارات عدة في ليالٍ متتابعة ، وكتب له هذه الرسائل التي وصف فيها سياحة له في الفردوس ، قابل فيها كثيراً من عظماء المشرق ورجالاته من علماء وفلاسفة وأدباء وشعراء ، ممن ظهروا تحت أديم سمائه قديماً وحديثاً ، وجرى بينه وبينهم أحاديث شتى في موضوعات مختلفة هامة))(٢) .

وقد عدّ الدكتور البيومي صنيع البرقوقي في هذا العمل الفني القصصي مرجعاً أساسياً لأخبار بعض الشعراء وأعلام الفكر والأدب(٣) .

وللبرقوقي أيضاً تآليف عدة وهي : " ديوان الأدب " و " الذاكرة والنسيان " و " الذخائر والعبقريات " ، وقد نشر جزأين من كتابه الأخير ، ولهما أخٌ ثالث قدمه للطبع ، إلا أن المنية عاجلته ، ولم ينشر إلى الآن ، وربما عبثت به أيدي الإهمال(٤) .

---

(١) د . البيومي (السابق) ج ١٠ ، ص ١١٤٩ .
(٢) (إلى قرائنا) ؛ مجلة « البيان » ع ٨ ، س ٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٤٦٥ ـ ٦ .
(٣) انظر : مقالة « من أعلام الأزهر ، عبد الرحمن البرقوقي » ؛ (السابق) ج ١٠ ، ١١٤٩ .
(٤) الزركلي : (السابق) ج ٣ ، ٣٠٩ ، وانظر : البرقوقي ، عبدالرحمن : « الذخائر والعبقريات » ج١ ـ ٢ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة .

كما ألف البرقوقي كتاباً كبيراً خاصاً متميزاً بعنوان " دولة النساء " جمع فيه كل ما يخص المرأة ، مما وجده في كتب التاريخ والأدب ، من وصف أخلاقها وأعمالها وأدبها ونوادرها وأزيائها . وقد اكتفى المؤلف فيه - كسابقه من الكتب - بالجمع والتنسيق لأحسن ما قيل وأثر في شتى ألوان المعاني دون النقد والتحليل ، إذ كان همه أن يقدم للقراء والدارسين الصورة الحقيقية والمتميزة عن المرأة العربية(١) .

وشارك البرقوقي الأستاذ نقولا الحداد (ت ١٩٥٤م) بطرح الآراء النقدية عن : (الغموض في شعر المتنبي هل كان المتنبي يتعمده) وقد ذهب كل منهما مذهباً في هذا الموضوع ، فالبرقوقي يرى أن الغموض في شعر المتنبي له ألوان ومظاهر شتى ؛ فهناك غموض في الألفاظ وغموض في المعاني . وعندما تحدث عن أسباب الغموض في شعر المتنبي ، ذكر أن للغموض ألواناً تعد من محاسن الكلام ، ولا يعاب بها الشاعر إذ هي من بنية الشعر العربي ومقوماته(٢). وقد أنهى رأيه بقوله : ((وإذا ما عرفت هذا وتفطنت إليه ، تبين لك أن ليس هنالك ما يصح أن يسمى تعمداً للغموض . وإنما هو الاحتفال والاحتشاد واستنباط القريحة لحوافز نفسية وانفعالات طارئة ، ... وإنما هو المثل الأعلى من المعاني الدقاق ، لا يلهمه إلا مثل المتنبي في شاعريته وعبقريته وتوليده العجيب . ذلك التوليد الذي هو سر من أسرار شاعريته))(٣) .

وله أيضاً مجموعة رسائل بعنوان " حضارة العرب في الأندلس " نشرها تباعاً في مجلة " البيان " ، ثم أودعها في كتاب مستقل عام ١٩٢٣م . والكتاب تدور أحداثه على لسان رحالة مصري ، رحل من الإسكندرية إلى الأندلس في منتصف القرن الرابع الهجري في مركب لعبد الرحمن الناصر . وقد سجّل في هذه الرسالة الخيالية علم الأندلس كله في إطار رائع من البلاغة والبيان والأسلوب المونق المشرق(٤).

(١) انظر : « دولة النساء » المقدمة ، ص (أ - ج) .
(٢) انظر : « أبو الطيب المتنبي : حياته وشعره » المكتبة الحديثة ، بيروت ، ص ٩٩ - ١٠١ .
(٣) (السابق) ص ١٠٢ .
(٤) انظر : « حضارة العرب في الأندلس » المقدمة ، ص (ح) .

ج ـ مقالاته :

لم تتوقف أعمال البرقوقي عند التحقيق وتأليف الكتب ، بل أسهم في كتابة المقالة في صحيفتي " اللواء " ١٩٠٠م و" المؤيد " ١٨٨٩م ، ثم في مجلة " البيان " فشارك فيها بالعديد من كتاباته دونما توقيع منه أمثال مقالة (النساء في الأندلس) [١] .

وبعد احتجاب « البيان » أخذ يكتب في « البلاغ الأسبوعي » ١٩٢٦م و«الرسالة » ١٩٣٣م ، وفي الأخيرة كتب مجموعة أبحاث عن أعلام الأندلس الكبار باسم (أندلسيات) فنشر فيها عن : (قصة الفتح بن خاقان) صاحب قلائد العقيان ، وعن (ابن بسام صاحب الذخيرة ، والشاعر أبو مروان الطُّبني) . وغيرهم[٢] .

د ـ مشاركته في التصحيح :

شارك البرقوقي في تصحيح المؤلفات التي ترجمها أحمد فتحي زغلول (ت١٩١٤م) من الفرنسية إلى العربية .. وهي : « سر تقدم الإنكليز السكسونيين » ، و « الإسلام خواطر وسوانح »[٣] .

وبعد : فمن هذه الشخصية الزاخرة بالمعارف والفنون ، المتمتعة بذخائر من المواهب ، ومن الأخلاق الفذة في الصبر والمثابرة والوطنية الصادقة والحب العميق الواعي للدين واللغة ... من هذه الشخصية استمدت " البيان " قوتها وحيويتها وغزارتها وجدتها ، حتى صارت مَعْلَماً بارزاً في تاريخ الصحافة الأدبية ، ومنبراً من أرفع المنابر في تاريخ الثقافة والأدب الحديث .

عظم الله أجر البرقوقي ، وجعل " البيان " في ميزان حسناته إلى يوم الدين .

---

(١) انظر : ع٦ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٣٤١ .

(٢) انظر : مجلة « الرسالة » ع١٢٥ ، س ١٩٣٥م ، ص ١٨٩٧ - ١٩٠٠ وع ١٣٨ ، س ١٩٣٦م ، ص ٢٤٩ - ٥ .

(٣) انظر : ديمولان ، أدمون : « سر تقدم الإنجليز السكسونيين » المكتبة التجارية الكبرى ، مصر . انظر : دي كاستري ، هنري : « الإسلام خواطر وسوانح » المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .

الفصل الثاني

البيـــان

١ ـ صحف « البيـــان » .

٢ ـ منهج « البيان » وأهدافها :

أ ـ إصلاح خطأ الاصطلاح .

ب ـ وصل الحاضر بالماضي .

ج ـ مفهوم البيان لمعنى (الأدب) .

٣ ـ قرّاء « البيـــان » .

٤ ـ تنظيم « البيان » .

أ ـ أبواب مجلة « البيان » .

ب ـ البيان الأسبوعي .

جـ ـ التقديم للموضوعات .

٥ ـ مكانة « البيان » الأدبية .

٦ ـ تأثير منهج « البيان » في المجلات اللاحقـة .

١ ـ صحف " البيان " :

لم تكن " بيان " البرقوقي أول صحيفة تحمل هذا الاسم في تاريخ الصحافة العربية ، بل كان لها أكثر من سميّ ، فأصدر في مصر كل من : يوسف شيث وميخائيل جورجس عورا عام ١٨٨٤م ، جريدة " البيان " وهي : سياسية علمية أدبية تجارية تاريخية فكاهية ، غايتها وطنية ، ونشر ما يعزز عرش الخديوي في مصر ، وقد احتجبت عام ١٨٨٦م(١) .

ثم ظهرت صحيفة " البيان " للشيخ محمد باشا المخزومي في القسطنطينية عام ١٨٩٣م(٢) ، وحظيت بانتشار واسع في الأقطار الإسلامية ، ولكنها لم تعمر طويلاً ، بسبب الحكام الأتراك الذين أمروا بتعطيلها خوفاً من أن تنعش روح النهضة والاستقلال في قلوب أبناء الأمة العربية(٣) .

وتلاها " بيان " الشيخ إبراهيم اليازجي العالم اللغوي ورفيقه بشارة زلزل عام ١٨٩٧م ، وقد جعلا منها ميداناً لدرء مخاطر العامية ، التي تسربت إلى لغة الصحف والتأليف ، فأفسدت الأذواق والألسن(٤).

كما صدرت في الهند عام ١٩٠٢م مجلة عربية باسم " البيان " لعبد الله العمادي ، وبعدها بزغت شمس " بيان " الشيخ عبد الرحمن البرقوقي عام ١٩١١م ؛ لتمد العالم العربي بما يحتاجه من علوم وآداب ، كما سيأتي .

---

(١) دي طرازي : " تاريخ الصحافة العربية " ج٣ ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) محمد " باشا " حسن المخزومي ، كاتب من أعيان بيروت ، تعلم بها ثم بمصر ، أنشأ في القاهرة مجلة " الرياض المصرية " وله كتاب بعنوان " خاطرات جمال الدين الأفغاني " جمع فيه طائفة حسنة من آراء السيد جمال الدين وأقواله ، توفي في بيروت سنة ١٩٣٠م بعد تعيينه مفتشاً للأوقاف . انظر : الزركلي : "الأعلام" ج٦ ، ص ٩٥ .

(٣) دي طرازي : (السابق) ج٣ ، ص ٣٦٠ - ١ .

(٤) انظر ما تقدم في التمهيد ص ٣٢ .

وفي العام ذاته ظهرت صحيفتان تحملان الاسم نفسه ، الأولى بطرابلس لبنان لمصطفى البارودي وجمال عدره ، والأخرى للمهاجرين العرب بأمريكا في مدينة نيويورك لسليمان بدور وعباس أبو شقرا[1] .

٢ ـ منهج " البيان " وأهدافها .

أ ـ إصلاح خطأ الاصطلاح :

قبل شروع البرقوقي في إظهار " البيان " للمجتمع الأدبي ، بدأ بوضع الأساس القويم لها ؛ فكان (إصلاح خطأ الاصطلاح) ؛ وفهمه لهذا المعنى ؛ هو أول السبيل على طريق المنهج الصحيح ؛ لأنه جرى العرف في الوطن العربي زمن البرقوقي إطلاق أسماء على غير مسمياتها ، وهذه التجاوزات كانت تحدث إما نتيجة لعدم اهتمام المتخصصين بأمر اللغة في تحديد وضع المصطلح ، أو كما قال الإمام محمد عبده : ((بأن مجرى العرف في أمة من الأمم لا يكون إلا بحسب ما في مجموعها العقلي من القوة أو الضعف))[2] .

فمن ذلك : فإنه يطلق لفظ عالم تساهلاً على كل من حفظ كتاباً أو قرأ درساً أو جادت قريحة أحدهم بتقرير مسألة . أو إطلاق كلمة أديب على كل من حفظ قطعة من الأدب سواء كانت نظماً أو نثراً ، أو حتى تجاوز إلى السرقة الأدبية.

وقد أراد البرقوقي ـ رحمه الله ـ أن يحدد المعنى الحقيقي لمصطلح كلمة (صحيفة) قبل أن يصدر « البيان » لأن الناس تواضعوا في زمنه على التجاوز في إطلاق كلمة (صحفي) على كل من ينشيء صحيفة وإن لم يباشر تحريرها بنفسه ، أو لم يكن لها حتى قرّاء يقرأونها إلا هو وصحبه ، بل تجاوز بعضهم حدود مبادئ الصحافة ، عندما

---

(١) دي طرازي : (السابق) ج٣ ، ص ١١٨ ، ١٥٤ ، ٤١٢ .

(٢) افتتاحية السنة الأولى ، ع١ ، ١٩١١م ، ص ٤ .

حسبوها حرفة هينة ، فأصبح كل من يقرأ صحيفة يظن أنّ له الحق بأن ينشيء جريدة أو مجلة[1].

ولذا لجأ البرقوقي إلى شيخه الإمام محمد عبده ، ليشير عليه بمستوى الأسلوب الكتابي الذي سيتخذه لصحيفته ، هل يتخذ لها الأسلوب الصحفي ؟ أم يجمع بين لغة العلم والأدب والصحافة ؟ وقد طرح سؤالاً عليه غاب عنه مقطع الحق فيه[2] ، وهو: ((كيف يكتب العالم ؟ وكيف يكتب الصحفي ؟ وكيف يكتب الأديب ؟ وما هي مفاصل الحدود بين الثلاثة ؟))[3] .

ويعكس سؤال البرقوقي هذا جنوحه إلى التخصص وقتئذٍ ، وتطلعه إلى معرفة الحدود والفروق بين تلك الميادين ، ويبدو أن هذا الميل بدأ يلوح في أذهان كتّاب ذلك الجيل ، بعدما توسعت ثقافتهم واطلاعهم على علوم الغرب .

وكانت إجابة الإمام محمد عبده على النحو التالي :

أولاً : إنه أنكر وجود الحدود والفواصل بين تلك التخصصات ، معللاً بأن ((الحقائق النفسية مطلقة لا قيد لها ، والحد لا يثبت على الحقيقة بتمامها ، وهو معنى الكمال ، إلا إذا كان للكمال المطلق حدٌّ محدود ، وإنما تؤتى هذه الحقائق من جهة العرف ، وتنتقص في مواضعات الناس))[4]. والإمام – رحمه الله – بما طرحه من رأي يوافق في ذلك أحدث المعايير النقدية ؛ لأن المسافة بين لغة العلم ولغة الأدب ؛ تضيق وتتسع تبعاً لسلم الحضارات . ففي ظل الحضارة الراقية والشعور المفعم بالحياة والفكر

---

(١) (نفسه) .

(٢) الحوار منقول من مفكرة للبرقوقي دوّن فيها طرفاً من حوار دار بينه وبين أستاذه الإمام محمد عبده عام ١٩٠٤م ، ثم نشرها في افتتاحية السنة الأولى من بيانه .

(٣) (السابق) ص ٣ .

(٤) (السابق) ص٣-٤ .

الذي تتشعب روافده الثقافية ؛ تزول بينهما المسافة ، بينما تتسع مع عقم الوجدان والعقل ، وينضب حينئذٍ معين العلم . ولن يفهم كل مسؤول موقعه ودوره إلا عندما تضيق المسافة بين لغة العلم والأدب ، فيكتب حينئذ العالم بلغة سليمة صافية فيها حس ، ويكتب الأديب بلغة فيها اعتدال وإدراك ، وإن بقيت بعد ذلك فروق بين الأساليب والموضوعات المختلفة(١).

ثانياً : أجاب بأن مدلول المصطلحات في عرف الأمم الحية لا يعرف الحدود والفواصل ، وقد نصح تلميذه أنه عندما يُخرج صحيفته للناس مستقبلاً عليه ألا يفرق بين الحدود الثلاثة – التي سأل عنها – وأن يجمع بينها في صحيفته ؛ لأن الصحافة في مصر ليست بحاجة إلى الحقيقة الصحفية بل إلى حقيقة العلم وإلى حقيقة الأدب ؛ فإن أراد البرقوقي أن يصحح معنى العرف ، ويصلح خطأ الاصطلاح ؛ ورغب أن يكون بحق أحد الثلاثة فليكن الثلاثة جميعاً(٢).

وهكذا يكون الإمام هو الذي وضع للبيان خطتها في الصحافة ، ومنهجها . واعترف البرقوقي بذلك في افتتاحية السنة الأولى لها : ((تلك نشأة " البيان " ، وضع الإمام في الصحافة خطته ، ونهج لي في العلم والأدب طريقته ، والنية فيه إن شاء الله أن يكون كما قال " تصحيحاً لمعنى العرف ، وإصلاحاً لخطأ الاصطلاح " فلا يبتذل العلم في الأساليب السوقية ، ولا يمضي من الأدب على ما يُخيّل الجامدون من مُتَلَصّصي الكتّاب والشعراء ، ولا يكون من وكد صاحبه إلا أن يجعله للأمة لقباً من أرفع ألقاب

---

(١) انظر : لمقال إبراهيم اليازجي (اللغة والعصر) ؛ " مختارات المنفلوطي " ط١ ، مطبعة كرم ومكتبتها ، دمشق ١٩١٢م ، ص ٥٤ . و د. فياض : " الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب الحديث " ص ,٤٧٥

(٢) مجلة " البيان " ع١ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٤ – ٥ .

التاريخ ، فهو محك لمعدن الكلام ، وميزان لجواهر الأقلام ، ومعرض لصور الأفكار ، ومتحف لروائع الآثار))(١) .

واستطاع البرقوقي أن يحقق نصح شيخه بصدق ، سواء كان ذلك في المنهج المتوازن الذي اتخذه لمجلته في اقتطافها من ثمار الأسلاف وتراثهم الأدبي ؛ ثم من آداب الغرب ، أو من حيث اتجاهها الأدبي ، بأنها (مجلة أدبية) ، حدودها لم تضق في دائرة الشعر والنثر ، بل اتسعت لتشمل كل الفنون والعلوم ، وهذا ما سيتضح لاحقاً في المباحث القادمة بإذن الله .

ب ـ وصل الحاضر بالماضي :

قامت " البيان " على هدف سامٍ كانت تنشده وتركز عليه ، ألا وهو النهوض بالأمة الإسلامية وتاريخها ، وكثيراً ما أكد البرقوقي أنه لم ينشيء " البيان " إلا لهذا الغرض ؛ فلعله يحيي بالبيان مجداً تليداً طال أمده ، وسبيله في ذلك الأدب واللغة ، اللذان تعيّن عليه الوفاء بحقهما ؛ وذلك لأن البرقوقي عاصر جيلاً تنازعته مفهومات مختلفة لفئتين متطرفتين(٢) :

أحداهما : انبهرت بالغرب واتبعته من غير روية أو اختيار ، وهؤلاء قلة عمياء ظنوا في أنفسهم الصواب ، وأما الفئة الأخرى : فجُبلت على القديم ، ورفضت التطوير في موروثها الأدبي . يقول الشيخ عبد الرحمن : ((وبعد : فقد علم القراء أننا فيما انتهجنا من خطة البيان إنما نرمي إلى غرض من تربية الأمة ليس لنا في البلوغ إليه أوثق من اللغة وآدابها فقد أصبنا الأمة المتحللة من تاريخها منفصلة بحاضرها عن ماضيها ، ذاهبة في غير طريقها ... ورأينا من نشئنا من سَدِرَت أبصارهم ، وسحر أعينهم زخرف الغرب ... وهم يرون أننا نحن بينهم وأنهم هم الأمة على قلتهم وتصدّعهم ، ويعلم الله أنهم في ثوب الأمة رقع تُترك فلا تروق ، وتُنزع فلا تكشف إلا عن خروق .

---

(١) (السابق) ص٦ .

(٢) انظر : افتتاحية السنة الثانية للبيان ، ع١ ، ١٩١٢م ، ص ٢ .

هؤلاء يحسبون أن بناء الأمم هندسة نظرية ، فكل ما قامت عليه مدنية الغرب ؛ فهو بعينه الذي يتسق به أمر الشرق ... ثم هم يرون أنه كما ينسلخ أحدهم من جلدته في الأمة ؛ تستطيع الأمة أن تنسلخ من جلدتها في التاريخ . ورأينا بإزاء نشئنا قوما جمدوا على القديم فكانوا أقدم منه ، واستمسكوا بكل ما لنا من تاريخ ومدنية وعادات، حتى كأنهم بعض ما هجر من ذلك فلا يرون أن تأخذ الأمة شيئاً إلا ما لا حَفْل به مما لا ينوع تاريخها ، ولا يبسط في لغتها ولا ينكرّ من أمرها كأنها مادة جامدة في الفضاء))[1] .

ثم يصدر حكمه على الفريقين بأنهما أتيا من جهة واحدة ، وهو سوء التقدير فيما ينفع وما يضر ، فكلاهما ليس قادراً على استبطان الأمر وإدراك حقيقته إذ غرّهم ظاهره، ولهذا ضرره العظيم الذي أصاب رأس الأمة فلم تنتفع بكليهما وهما يتساويان في كفة ميزان واحدة وذلك ((لأن أحدهما يجهل أمرها على علم بما ينفع غيرها من الأمم ، والآخر يعلم أمرها على جهل))[2] .

ومن هنا أعد البرقوقي عدته ، ونظر للأمور بعين الخبير المسؤول عن أمر الأمة بحكم ثقافته وعلمه ، وأحد الداعين لإصلاح اللغة ، والمعنيين بتطور الأدب ، ألا يقف من الأمور موقفاً سلبياً ، فأظهر صحيفته " البيان " لترأب الصدع ، وتسد الخلل ، وتجمع بين الفئتين المتنافرتين في ساحة واحدة ، ولهذا جعل منهجها والأساس الذي بنيت عليه طيلة حياتها وصل الحاضر بالماضي ، وذلك باسترفاد التراث العربي ، وجديد الثقافة الأوروبية الوافدة على صفحاتها . فهذا المنهج بدوره ينفع الأمة ، حينما يشترك كلاهما في نشر ما ترك الزمن من أدب وحكمة الأجداد ، أو ترجمة ما استحدث من علم وأدب لدى الغرب ؛ حتى يتكون بذلك جيل يدعو للجديد في إطار القديم من غير تحيز لهذا أو لذاك .

---

(١) (السابق) ص ٣٣ - ٤ .

(٢) (السابق) ص ٤ .

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف حُددَت للبيان محاور وقضايا أساسية ، ترتبط ارتباطاً كلياً بالأدب الحديث ؛ لتسير على النهج الصحيح ؛ الذي رُسم لها ، والمكونة من أربعة أبواب : اللغة ، والتاريخ ، والنقل ، والتعريب . وكل قضية تمثل ركناً أساسياً في خطة " البيان " تناولها البرقوقي بالشرح والتفصيل ، في افتتاحية السنة الثانية ١٩١٢م ؛ وهي كما يلي(١) :

أولاً : ابتدأ باللغة ؛ لأنها عنوان تقدم الأمة ، فكثير من أبناء زمنه أعرضوا عنها إلى اللغات الأجنبية ظناً منهم أنّ اللغة العربية الفصحى قاصرة عن تأدية حاجات عصرهم الحديث ، يقول : ((وقد رأينا من فتياننا الذين لبست العجمة ألسنتهم ما إن قليله لسيتعظم في بلائه وشدته وسوء أثره في مدنيتنا الأدبية ؛ فهم لا يريدون أن يرجعوا بنا إلى الفصحى من العربية ، ولا أن يتناولوا من أساليبها ... بل ينحلون أنفسهم القدرة على خلق اللغات والمواضعة عليها ، وتيسير سبيلها في الاجتماع العربي ، ثم لا يتعدون هذا الطور من التأله الكاذب ... واستجمع كلانا الأقاويل والحجج وافترقنا في سبل الألفاظ كأننا أمتان في أمة واحدة))(٢).

وقد حَمَّلَ البرقوقي عاتق " البيان " حماية اللغة ، ودورها في هذا بَسْط الحديث عن صلة الفصحى بتاريخ الأمة العربية ودينها الإسلامي القويم الذي هو أوثق رابطة تجمع بين أبناء الأمة العربية ، فالتفريط في إنماء اللغة وإحيائها ؛ يعني حل هذه الرابطة ، وذلك يتضح في قوله : ((نحن سيرة بعد سيرة لا يمسكنا إلا لغة تجمعنا بأرقى ما في الدين من الكمال ، ودين يجمعنا بأرقى ما في الدنيا من معاني الاستقلال))(٣).

ثانياً : تاريخ الإسلام وفلسفته وما يداخله من علل الاجتماع ، ويتصل به من أسباب العمران وأحوال الأمم ، وكل ما يصور الحياة ، فالتاريخ لغة الحياة الصامتة التي

---

(١) (السابق) ص ٤ – ٥ .

(٢) (السابق) ص ٥ – ٦ .

(٣) (السابق) ص ٦ .

طوى الدهر أشخاصها ، ولذا فمن البديهي أن ما من أمة فرطت في لغتها إلا وفرطت في تاريخها(١) .

ثالثاً : النقل من مصادر التراث التماساً لغزارة اللغة والتاريخ معاً ، وقد قصر البرقوقي ذلك ((على الطرفة الممتعة من الأدب ؛ والأسلوب الرائع من الكلام ؛ والنادرة الفذة من التاريخ ؛ وما يكون من مثلها مما لا يدنو مثاله إلا لذي باع ؛ ولا يتحصل إلا بعد التوفر على الإطلاع))(٢) . والغرض الأكبر الذي يتذرع به من وراء هذا لأبناء أمته هو إحياء آثار العقول إلى إحياء العقول نفسها ، وذلك لأهمية نشر التراث في ترقية الأمة. فمن خلاله انتقل الأدب العربي من طور الجمود إلى طور النماء ، وكأني بالبرقوقي قد أخذ عهداً على نفسه أن يواصل عمل أسلافه من العلماء وأهل الإصلاح في زمنه ، الذين عنوا بنشر الكتب التراثية القيمة التي كانت دفينة الأرفف وزينة التكايا ، فاستطاع هؤلاء أن يتخطوا بالأدب من الطور الاصطلاحي – كما سمّاه البرقوقي – الذي وقف عنده تاريخ الأمة العربية في العهد العثماني ، فلولا إحياء التراث لبقوا حيث كانوا من قبل يستنفدون أيامهم في غير دَرَك ، وضيعوا أنفاس الحياة فيما لا حياة فيه(٣).

رابعاً : التعريب والترجمة ، مقتدياً في هذا بأسلافه في العصر العباسي الذين نقلوا من حضارات الأمم الأخرى من غير ضعف، وإتماماً لأعمالهم في هذا المجال الرحب، لكيما يستفيد العقل العربي وتتنوع بذلك مصادر ثقافته . وهو يتطلع من وراء هذه الانطلاقة الحرّة التي كانت للعرب قديماً إلى إعادة بناء الحضارة العربية ، فقد ذكر : أن الأمة العربية كبقية الأمم يجب أن تستمد من التاريخ الإنساني لتعمر مكانها من هذا التاريخ العالمي ، ولذا فهي في أشد الحاجة إلى مبدعات العقول ، حتى تشابه الأمم التي حولها في كل ما يجعلها أمة لها مكانتها ، وحتى تجانسها في تاريخ الاجتماع جناساً لا

---

(١) (السابق) ص ٧ .

(٢) (نفسه) .

(٣) (السابق) ص ٨ .

تاماً ولا مقلوباً فإن كليهما شر على استقلال الأمة من الآخر ، وإنما يريد لأمته الجناس المعنوي الذي يشبه عند الترجيح مكافأة قوة لقوة أخرى(١) .

ودعا في هذا المقام إلى التوسط في الأخذ من القديم ، والحذر من جانب التفريط فيما أنتجته العقول الغربية وذلك حسب قوله : ((لأننا نأخذ حينئذٍ لنمكن أنفسنا من القوة التي استعنا بها لا لنمكنها من أنفسنا))(٢) .

واستطاعت " البيان " أن تحافظ على منهجها الذي رسم لها طيلة عمرها ؛ وسارت عليه بخطى ثابتة ، بيد أنه أصاب أمر الترجمة تحول في مرحلة متأخرة ؛ فبعد أن كانت تقع في منهج المجلة وخطتها في المرتبة الأخيرة بعد لغة وتاريخ وأدب الأمة الإسلامية ؛ انتقلت إلى المرتبة الأولية في معظم صفحات المجلة ، وذلك لظروف عصر " البيان " الذي عرف بعصر الترجمة(٣) ، وأنه فترة مخاض كان يعاني منها الأدب للانتقال إلى حياة جديدة صحيحة ، وهذا لا يعني أنها أهملت الجوانب الأخرى من خطتها ، بل حافظت على النقل من التراث ، ودافعت عن اللغة الفصحى بحزم ، وكانت لها فلسفة خاصة عن الكيفية المثلى لكتابة التاريخ المعاصر ، بل وحافظت على التراث من خلال الأسلوب الذي قُدِّم في الترجمة لآثار الغرب . وكل ذلك سيُرى في الأبواب اللاحقة .

وقد دعت سيطرة الآداب المترجمة على صفحات " البيان " المازني أن يقول عن البرقوقي : ((كان يرجو أن يكون " بيانه " خلفاً لبيان اليازجي ، ولكنه أراد شيئاً ، وأراد الله خلافه ، فصارت مجلة " البيان " صحيفة لأهل المذهب الجديد في الأدب ــ العقاد وشكري والسباعي وهيكل ، وكاتب هذه السطور وغيرهم ــ ولم يكن ذلك التحول برغمه ، أو على غير هواه ، ولا كان بادي الزهادة فيه ، أو قليل الرضى عنه ، فما كان له مذهب خاص في الأدب يدعو إليه ، ولا كان له همّ إلا جودة العبارة وجزالة الأسلوب ،

(١) ، (٢) (نفسه).

(٣) انظر : د. فياض : " الصحافة الأدبية بمصر ١٩١٤-١٩٣٩م " ج٣ ، ص ١٤٢ - ٣ .

ومن حسن الاتفاق أن دعاة المذهب الجديد يعنون بأحكام الأداء ودقته ووفائه كعنايتهم بالإخلاص وصدق السريرة ، وصحة النظر واستقامة الفكر والتنزه عن التقليد والمحاكاة))[1].

ويبدو وكأن المازني يناقض ما ذكره سلفاً عن صاحب المجلة ، الذي قال عنه أنه ((من أعيان البيان وأقطابه وأعلامه ، بل كان يمثل عهداً من عهود الأدب))[2] . ثم عاد ليتهمه بأنه صاحب صنعة بلاغية فقط ، أفنى عمره من أجلها .

والمازني بهذا الاتهام نظر إلى الرجل من خلال اتجاهه هو التجديدي في الأدب ، والذي يدعو فيه إلى الابتكار والأخذ من المذاهب الغربية ، بينما لم ينظر إلى اتجاه البرقوقي الذي كان يمثل ذلك الجيل ، والذي دعا إلى الاتجاه السلفي في الأدب ، ومنهجهم فيه : احتذاء القديم ، وإصلاح الأساليب على غرار الأساليب العربية القديمة[3] .

من جهة أخرى أعاد المازني الفضل له ولأقرانه على تميز صحيفة " البيان " ، وما أدته من دور للأدب الحديث ، والحقيقة أنه في هذا قد غمط الرجل حقه ، وذلك لأن الصحف الأدبية وما تحمله من طابع خاص تمثل دائماً الاتجاه الفكري والأدبي لأصحابها، ولولا هذا لم تستطع " البيان " أن تؤدي دوراً في تطور الأدب الحديث ، فقد كان مذهب البرقوقي مذهباً وسطياً نابعاً من سلامة طويته ودينه القويم ، الذي لا يأخذ من الغرب إلا ما ينفع ويثري أدب الأمة العربية ، دونما تقليد أعمى ، كما ينهل من الأدب العربي القديم ؛ الذي يمثل عصور قوته وازدهاره ، فوصل الحاضر بالماضي دعوة إلى التمازج الفكري ، مما قد ينتج أجيالاً جديدة لها ذاتيتها المستقلة ، تبتدئ من حيث

(١) البرقوقي : " دولة النساء " المقدمة ، ص (س – ع)
(٢) البرقوقي : " دولة النساء " المقدمة ، ص (م) ، وانظر : الفصل الأول ص ٣٠ .
(٣) انظر : د. الكتاني " الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث " ج١ ، ص ٣٨٣ .

انتهى أسلافها ، علماً بأنه جعل من منهج المجلة تجنب التحيز والعصبية ، قائلاً : ((وهذه المجلة رعاكم الله لا تقوم بعصبية دينية ، ولا بعصبية قومية ... فليس لها إلا قوة مبدئها ومادتها ولغتها))(١).

ثم إن البرقوقي كان أحد أقلام كتّاب مجلة " البيان " المتنوعة والمتعددة ، التي مثلت الاتجاهات المختلفة في الأدب من محافظين ومجددين ، مما أعطاها روحاً ولوناً ميّزاها عن بقية رصيفاتها من الصحف الأدبية .

ج - مفهوم البيان لمعنى (الأدب) :

اتضحت ملامح " البيان " وصفاتها منذ صدور أول عدد لها ، وكان من أبرز سماتها - كما ذُكر - الوصل بين التراث الأدبي العربي والأدب المترجم ؛ لتكوّن بذلك أرضية خصبة للأدب الحديث ، يسير عليها الأدباء عبر العقود المقبلة ، فكانت بهذا امتداداً للمجلات الأدبية السابقة ، وقدوة تُحتذى للاحقة ، أضف إلى ذلك ما حملته من مفهوم خاص لمعنى كلمة (الأدب) ، استقته من الأوروبيين ، وقد صرحت بذلك عندما استبهم على بعض قرائها المقصود من تلك الكلمة في مجلة " البيان " ، ظناً منهم أن الأدب يقع في معناه الضيق من الكلام البليغ من المنظوم والمنثور ليس غير ، ولكنها بينت لهؤلاء نظرتها الحديثة لمفهوم كلمة (الأدب) بمعناه الواسع ، وما تعنيه من قولها بأنها مجلة أدبية : ((فإنا نعني بالأدب في قولنا (البيان مجلة أدبية) ما يعنيه الغربيون بقولهم (لتراتور) أي العلوم والفنون التي تخاطب القلوب وتناغي الوجدان وتبثّ روح الفضيلة بين أجزاء النفس ، وترقي بالإنسان إلى أوج الكمال ، مثل : الشعر(المنظوم منه والمنثور) والتاريخ (الأدبي والديني والسياسي) والأخلاق والاجتماع والتربية ، وما إلى ذلك من سائر العلوم التي تبين بمقابلتها بالعلوم المادية المحضة كالزراعة والطب والطبيعيات ، وما يداخل ذلك ، هذا هو ما نعنيه بقولنا (أدب) ، والبيان مجلة أدبية ،

---

(١) ع١٤ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٧ .

وما نصرف إليه همنا أكثر من غيره في هذه الصحيفة ، بيد أن ذلك لا يحول بيننا وبين التعرض للمباحث العلمية البحتة ، التي نراها قد تفيد قراء البيان))[1] .

ومما سبق يتضح أن المفهوم الحديث لكلمة الأدب في " البيان " أتى شاملاً لمعنى الثقافة والأخذ من كل فن بطرف ، لا بمعناه الخاص من الشعر والنثر فقط ، وهذه هي سمة بارزة في اتساع مفهوم التخصص لكثير من المجلات الأدبية ـ آنذاك[2].

ولعل لنصيحة الإمام محمد عبده للبرقوقي بأهمية ذوبان الحدود بين العلم والأدب والصحافة دوراً في اتخاذ هذا المفهوم والتمسك به طيلة سنوات " البيان " وذلك لأنها أرادت العلو بالأدب والأديب العربي من خلال توسيع دائرة ثقافته لتشمل كل العلوم والفنون ، فالعلم والأدب كلاهما يدعم الآخر ، وليس بينهما انفصال .

وهذه النظرة الشمولية لكلمة (الأدب) جعلت أدباء عصرها ينعتونها بـ (خزانة الأدب الحديث) وهذا ما أكده البرقوقي في سنتها الثالثة ، حينما ذكر أنها مُنحت هذا اللقب لعدة أسباب احتفت بها " البيان " . إذ ليس لهم ما يسدُّ مسدّها في معناها ، ثم دورها الخطير على طالبي الأدب ، والمتطلعين إلى تنمية مواهبهم ، فهي تقوّم من ألسنتهم وتُرهف أقلامهم ، وتُشحذ أذهانهم ، كما يُرزقون من خلالها بعد النظر ، واتساع آفاقهم الفكرية في مجال النقد ، بما تُعْرِض لهم من فنون الأدب ، وأنواع المعاني ، ومختلف الآراء المجلوة مما جادت بها قرائح الفلاسفة ، وخواطر الأدباء من مختلف العصور ، وجهات الأرض ، ناهيك عن الطرائف الممتعة التي تقدمها ؛ فيجمعون بذلك ألواناً من الأدب وأصنافاً من العلم ؛ ففيها الفائدة والسلوة والفكاهة ، فيخرجون من كل ذلك بالكثير الطيب والجيد البارع ، فميزت قراء " البيان " عن غيرهم ، فإذا بطريقتهم في الكتابة قد استقلت ، وأسلوبهم قد نضج والملكة استوت ، والرأي قد صح للظهور ،

---

(١) (حديث البيان مع قرائه الأفاضل) ع٢ و٣ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص١٢٧ .

(٢) وخاصة المجلات الشامية مثل : بيان اليازجي ، والمقتطف ، والهلال ، والمجلة المصرية . انظر : ماتقدم في التمهيد .

مما جعلها تدعم النهضة الأدبية الحديثة وتدعو إليها منذ صدورها ، فظهرت آثارها سريعة ومثمرة(١) .

هذا ، ومن الطبيعي أن يكون لأي مجلة أدبية مثل هذا المنهج أن توجه أهدافها إلى أهل الخاصة من أبناء الأمة العربية ، وقد نوهت بهذا كثيراً ، كما سيأتي .

٣ ـ قرّاء البيان :

إن المجلة الأدبية أياً كانت لا تحقق أهدافها إن لم تعرف من الذين تقصدهم بدعواها وإلى من توجه زادها الفكري والأدبي والثقافي ، وكذلك إن لم تستمل إليها أكبر قدر من القراء ، فإن لم تتجه إلى نوعية خاصة من المفكرين فمعنى هذا أنها لا تتجه إلى أحد(٢) . وقد استطاعت " البيان " أن تحقق لنفسها النجاح في زمن صعبت فيه أمور الحياة بسبب الحرب ، وهذا يعود إلى صاحبها الشيخ عبد الرحمن الذي حدد نوعية العقول التي تتجه إليها " البيان " وخاصة أنه تألق على شرفتها نجوم الأدب الحديث ، فكان قراؤها هم أهل الخاصة ، إذ يقول مفتخراً بهم : ((وإن أكثرهم [أي القراء] من ذوي الإحساس الشريف المتفضل ، فليس في مصر مجلة كبرى غير " البيان " وليس في العربية وآدابها مجلة تسد مسده ، ومن أجل ذلك لا يكون عجيباً أن نعد قراء البيان خلاصة الأمة ، بل يكون عجيباً أن لا نعدهم ، وما خلاصة الأمة إلا ذوو العقول والإحساس فيها))(٣) .

وقد خاطبت « البيان » أفراداً هم أهل الصفوة من العقول العربية المنيرة ، وبهذا استطاعت أن تحقق المراد من (المجلة الأدبية) ، لأنها ليست للجميع ، بل هي لفئة خاصة ، أفرادها لهم تكوين خاص من الثقافة والمزاج والتركيب العقلي ، فالبشر قد

---

(١) انظر : افتتاحية السنة الثالثة ، ع١ ، ١٩١٤م ، ص ٧ ـ ٨ وافتتاحية السنة الرابعة ، ع١ ، ١٩١٥م ، ص ٤ .

(٢) انظر : خورشيد ، فاروق : « بين الأدب والصحافة » ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٣) افتتاحية السنة الثالثة ، ع١ ، ١٩١٤م ، ص ٥ .

يتساوون في الغرائز بينما يتمايزون في العقول ، لهذا فالمجلة الأدبية حينما تخاطب قراءها، فهي تتجه فيهم إلى العقل الواعي المتميز الناقد الذي له حق المناقشة والرأي والاقتناع بما يُطرح عليه من آراء(١) .

وقد حاول البرقوقي - بعد ذلك - في البيان الأسبوعي أو الجديد ١٩١٧م أن يطورها ويخرجها لجميع القراء بمختلف طبقاتهم التعليمية ، وذلك " ليكون مجلة الأمة بعد أن كان مجلة الخاصة "(٢) ولكن هذه التجربة لم تنجح ، بل ولم تتجاوز ستة أشهر، لأن " البيان " أُسست منذ بدئها للخاصة من أهل العقول والألسنة إبانئذ ، ففيهم رأت الدعم والتأييد كله ، وبفضلهم استطاعت الاستمرار ؛ وأن تثمر ، وتمدهم بكل جديد من روائع الأدب العربي(٣).

وقد شكر البرقوقي تلك الفئة من القراء لأنها ساعدت على نهضة المجلة وتطورها بقوله : ((على أننا لا نزال نقول إن قراء " البيان " هم خاصة القوم وأدباؤهم ، وأهل العلم فيهم وذوو النُعَرَة الصحيحة منهم ، ونرى حقاً أن علينا أن نزلف لهم الشكر محضاً ، وأن نخصهم بالثناء كله ، فقد آزرونا ، وشدّوا منا ، وحملوا عنا أكثر المؤنة في هذه الصناعة ، ولولا ذلك منهم لما بقي البيان حيث هو ، ولا قريباً مما هو ؛ ولا استطعنا في هذه الضيقة أن نتسع فيه على حين أن كثيراً من المجلات الراقية إن شرقية وإن غربية قد دُفنت من جرّاء الحرب في غلافها))(٤) .

---

(١) انظر : خورشيد (السابق) ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢) ع١ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ١

(٣) افتتاحية السنة الثالثة ، ع١ ، ١٩١٤م ، ص ٧

(٤) افتتاحية السنة الرابعة ، ع ١ ، ١٩١٥، ص٢ .

٤ـ تنظيم " البيان " :

إن تنظيم أبواب المجلة الأدبية وموضوعاتها غير منفصل البتة عن منهجها ؛ طالما أنها تحمل فكراً وهدفاً ، وتريد أن تثبت به أن لوجودها ضرورة وحتمية أمام قرائها ؛ الذين يكونون عادة من أهل الخاصة ، وذلك من أجل تطوير الحياة الأدبية والثقافية في وطنها ، فبالتنظيم تستطيع أن تأخذ بيد القارىء إلى الوجهة التي تريدها ، بيد أن " البيان " افتقدت الطريقة المثلى في النظام الإخراجي للمجلة ، والذي تقدم ذكره في التمهيد(١) .

أما في هذا الموضع فسوف يأتي الحديث عن طريقتها في تنظيم وعرض الأبواب ، والبيان الأسبوعي ، إضافة إلى مقدمات المواضيع المنشورة .

١ ـ أبواب مجلة " البيان " :

يقول الدكتور محمد سيد محمد : إن الأبواب الثابتة في المجلة الأدبية كالغرف في البيوت لابد من وجود بعضها بجانب بعض بصفة دائمة ، أما ما يطرأ عليها من تغيير فهو يأتي تلبية للذوق والحاجة ؛ واضطراراً للظروف(٢) . لكن هل " البيان " التزمت هذا النظام ؟ فقد وُجد أن العدد الأول من السنة الأولى تميز بالدقة في تنظيم الأبواب حسب الرسم الذي اختطته " البيان " لمنهجها إذ أُفتتح العدد الأول بالمقدمة السنوية لصاحبها ، وهذه عادة سائرة في أغلب سنوات " البيان " ، واتبعت بمقالة عنوانها (الكتاب والآداب) ، ثم تليت بباب (تاريخ الإسلام) ، فشمل عدة مقدمات ، أبتدئ فيها بنشر (المقدمة الأولى) ، ثم وضع باب (الفكاهات والملح) ، ونشر تحته مقال بعنوان (التطفيل) لعبد الرحمن شكري ، ثم أُعقب بعد ذلك بظهور (الرسالة الأولى) من كتاب حضارة العرب في الأندلس للبرقوقي ، وهي من (الإسكندرية إلى المرية) .

وتلا ذلك باب (صحائف مهجورة) الذي نشر فيه البرقوقي مقدمة أبي هلال العسكري من كتابه (ديوان المعاني) ، ثم جاوره باب (صحائف الغرب) الذي ابتدأ

(١) انظر : ص ١٧ .

(٢) انظر : " هيكل والسياسة الأسبوعية " ص ٢٢٢ .

بقصيدة (دون جوان) للشاعر بيرون ، ثم أُتبع بباب (الروايات والقصص) وهذا الباب مكمل لصحائف الغرب ، ونشرت فيه " البيان " قصة قصيرة ، لوليم مكبث ثكاري " العاشق المخدوع " ثم ختم العدد الأول بباب (شذرات) ، نقل تحتها قطعة أدبية وصفية وهي معربة عن الإنجليزية ـ كما ذكرت المجلة(١) .

أما العدد الثاني من السنة الأولى للبيان فلم تحافظ فيه على التنظيم الصوري الذي وضعته لهيكلها وسارت عليه في العدد الأول من السنة ذاتها ، مخالفة في ذلك العديد من رصيفاتها كمجلة " الزهور " مثلاً ، التي حافظت على ثبات أبوابها طيلة سنواتها ، فكل موضوع يُنشر لابد من نسبته لبابه . بيد أن " البيان " حافظت على روح التنظيم لا شكله ، فكثيراً ما كانت تستهل الأعداد بالموضوعات مباشرة ، بل لقد نشرت في أعداد كاملة موضوعات متلاحقة من غير نسبتها لأبوابها ، كما هو في العدد الأول والثاني والثالث والرابع من السنة الثالثة ١٩١٤م .

كما اختلف تبويب " البيان " من عدد لآخر ، فكانت تخرج أبواباً جديدة سرعان ما تختفي عنواناً مع استمرار ظهور موضوعاتها ، علماً أن هذه الأبواب تعد أبواباً جزئية تندرج تحت أبوابها الرئيسة ، مثل (باب الأدب) الذي أعلنت عنه قائلة : ((ننشر في هذا الباب أطيب الرسائل والمقالات المنوعة في الأدب والأخلاق والاجتماع والتربية والفلسفة وحياة العظماء والقطع المختارة من الروايات النافعة المفيدة ، والشذرات الجميلة من شتى المنظوم والمنثور والنوادر المختلفة والفكاهات والملح . ونذيل ذلك كله بنقد الكتب العربية التي تظهر في الأسبوعين))(٢). وأعتقد أنه لم يكن ضرورياً وضع هذا الباب ، فكل ما نُشر في " البيان " يقع تحت (عالم الأدب) إذ أخرجت باب (الرسائل والمقالات) و (جوامع الكلم) ثم أظهرته باسم آخر وهو (كلمات العظماء)، وباب (الفكاهات والملح) و (طرف أدبية) و (صفحة من التاريخ) وهو تابع لباب

---

(١) انظر : مجلة " البيان " ع١ ، س١ ، ١٩١١م .

(٢) ع٦ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٤١١ .

(تاريخ الإسلام) ، وباب (النقد والتقريظ) وباب (أمالي البيان) ، و(روايات البيان) وهو خاص بنشر الروايات المترجمة ، ويقع ضمن باب (صحائف الغرب) .

كما أظهرت "البيان" - في وقت واحد - أبواباً متشابهة بأسماء مختلفة ، مثل باب (كشكول البيان) ، و (أخبار وحوادث) ، و (تفاريق شتى) ، و (متفرقات) ، وقد نشرت في هذه الأبواب تفاريق علمية وأدبية وفكاهية وتاريخية ، ونظرات في سير مشهوري العلماء والمخترعين ، وشذرات في أخبار العالم وأحداثه المعاصرة للبيان ، والتزمت أيضاً بنشر باب (العلم) في أغلب أعدادها ، والهدف منه نشر كل جديد من المباحث العلمية البحتة ، من طبيعة وفلك وزراعة وطب ، وغير ذلك لتتم الفائدة لقراء « البيان » .

أما باب (مطبوعات جديدة) فهو الوحيد الذي استمر عرضه على صفحاتها فعرضت فيه كثيراً من الكتب بشتى فروعها الأدبية والعلمية ، مع التقديم لكل كتاب منها ، حيث كان يتبعه عادةً شيءٌ من التعريف بصاحبه ، وموضوعه ، والتقريظ له ، والنقد العلمي البناء[1].

كما حافظت على تطوير نفسها ، فأخرجت أبواباً جديدة مثل باب (الحاوي) الذي ظهر عام ١٩٢٠م ؛ لتجمع فيه بين الحكمة والفكاهة في إطار واحد[2]. وأثبتت أيضاً من خلال الأبواب المتعلقة بالحرب تعايشها مع ظروف عصرها ، مثل باب (عالم الحرب) و (رجال الحرب) . فنشرت فيهم كل ما له صلة بالحرب من مؤلفات ومذكرات وأخبار وطرائف .

٢ - « البيان » الأسبوعي :

ظلت « البيان » تصدر شهرية ، ثم حولها صاحبها بعد أن قطعت شوطاً من عمرها تُقدم كماً ثقافياً ضخماً ، إلى أسبوعية ، وذلك في الخامس من يناير ١٩١٧م ؛

(١) كانت للبيان مطبعة خاصة بها لنشر الكتب ، أعلنت عنها في السنة الخامسة ١٩١٧م .

(٢) لم يظهر هذا الباب إلا مرة واحدة ، انظر : ع ٩ و ١٠ ، س٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٥٦٣ .

لتكون مجلة لعامة الناس لا لخاصتهم فقط ، مما اقتضى ظهور " البيان " في صورة جديدة مغايرة عما كانت عليه في إصدارها الشهري ؛ ليشمل هذا التغيير أبوابها ومقالاتها وأغراضها . وقد قال البرقوقي في افتتاحية العدد الأول من البيان الأسبوعي مبيناً خطته : (((أما بعد) فقد رأينا أن نجلو البيان في هذه الحُلّة الجديدة ... فإن ذلك فيما هدانا إليه الاختبار الطويل أدعى للتفنن في أغراضه ومقالاته ، وأوفى بحاجة القراء على اختلاف طبقاتهم ، وسيكون ذلك إن شاء الله باعثاً على اختيار ألذ الموضوعات وأنفعها وأجملها ، مما يستروح إليه ، ويفاد منه ، ويتفكه به إلى آخر ما سيراه القراء ، فإننا لم نكتب هذه الأسطر إلا تنبيهاً على أن خطة " البيان " الجديدة سيعلنها البيان نفسه ولا شهادة إلا ما شهد الحس ، ولا دليل إلا ما دل الواقع ، والله المستعان))(١) .

وامتاز هذا " البيان " باشتماله على جميع الأبواب الآتية : الأخلاق والاجتماع ، الأدب والتاريخ ، العلم والفلسفة ، الزراعة ، التجارة ، تدبير الصحة ، النقد ، تقويم العالم ، الملح والفكاهات ، القصص والروايات ، الأسئلة والأجوبة ، مطبوعات جديدة(٢) .

وهدف البرقوقي من إخراج " البيان " أسبوعياً ، أن يقدم للقراء ما يناسب أذواق عصرهم ، خاصة بعدما عانت مصر ظروفاً اجتماعية سيئة وكئيبة جرّاء الحرب العالمية الأولى ، أثرت على نفوس المفكرين والكتاب ، وأذواق الناس بصفة عامة ، وقد شعر البرقوقي أمام تلك الظروف بحاجة القراء إلى طريقة مغايرة في عرض الموضوعات ، عما كانت عليه في البيان الشهري ، إذ يقول : ((ما دامت أعصاب أهل هذا الجيل قلقة مضطربة ، بحيث لا تطيق المباحث الطوال والمقالات المستفيضة ، فسنبذل آخر مجهودنا في أن تكون جميع موضوعات البيان قصيرة منوعة كثيرة ، فضلاً أنها تكون زبدة

---

(١) « البيان الأسبوعي » ع١ ، س٥ ، ١٩١٧م ، ص١ .
(٢) (نفسه) .

المعارف ، وبحيث تربو موضوعات كل عدد أسبوعي على العشرين موضوعاً ، ينتقل فيها القارىء بين مبحث علمي ، وموضوع تاريخي ، ورأي اجتماعي ، وطرفة أدبية ، وملحة فكاهية ، ونظرة انتقادية ، وقصة قصيرة تامة تتلاقى فيها الفائدة باللذة والفكاهة))(١).

ورأى الدكتور عبد العزيز الدسوقي أن سبب ظهور (البيان الأسبوعي) يعود إلى انصراف القراء عن (البيان الشهري) ، لأنها لم تُبدِ اهتماماً بالموضوعات التي تخاطب عقول جمهور القراء ، إلى جانب الأزمة المالية التي سببتها الحرب العالمية الأولى ، وصعوبة الحصول على الورق ، وانصراف الناس عن القراءة نتيجة ظروفهم المادية ، فكانت من الأسباب الأولى في أزمة الصحافة بصفة عامة ، والصحافة الأدبية بصفة خاصة . فالبرقوقي تصوّر أن التنوع في نشر الموضوعات الخفيفة والمسلية ، وتنجيم ثمن (البيان الشهري) على أربعة أسابيع ، سيسهل على القراء شراءه والإقبال عليه . واستند الدكتور الدسوقي في ذلك على النداءات التي سجلها البرقوقي للمشتركين بدفع الاشتراكات(٢) . وربما كان محقاً في بعض جوانبه ، إلا أنه غاب عنه حقيقة أسباب ظهور " البيان " . فالبرقوقي كان يشكو وفي أغلب أعداد المجلة مماطلة المشتركين في الدفع . ثم أنه ما أراد من هذه " البيان " إلا مسايرتها لظروف العصر الجديد ، والخروج بتجربة جديدة وحية تعم فائدتها كل القراء بحسب مستوياتهم(٣). وعلى كلٍ فهي ظلت تحمل قسمات وملامح (البيان الشهري) ففي التراث الأدبي قدمت للقارئ (أمالي أدب) وفي الترجمة نشرت مختارات من أراء ليوباردي ونيتشة ، وكتاب (تربية الإرادة) ، وقصة (ماجدولين الجديدة) ، وقصيدة (اغتصاب الضفيرة) للشاعر

---

(١) ع ١٠ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ١٥٥ .

(٢) انظر : (البيان الأسبوعي ومعارك حادة) ؛ مجلة " الثقافة " ، ع ٣٢ ، س ٣ ، ١٩٧٦م ، ص٥٧ .

(٣) انظر : ماكتب عن البرقوقي في موضوع (تضحياته في سبيل البيان) ص ٣٣ .

اسكندر بوب ، وللمعاصرين عرضت سلسلة مقالات لعبده البرقوقي بعنوان (مركز المرأة الاجتماعي) ، وكتاب (المساكين) للرافعي ، وفي باب النقد نشرت موضوعاً بعنوان (أرسطو ولطفي السيد بك) إلى جانب كثير من الموضوعات الثقافية المتنوعة . وعلى أية حال فإن البيان الأسبوعي لم يصدر إلا مرتين في الشهر وتوقف عن الصدور في يونيه ١٩١٧م ، ثم استرد أنفاس الحياة في ديسمبر من العام نفسه ليعود كما كان شهرياً باسم البيان.

٢- التقديم للموضوعات :

أخذت « البيان » بفكرة وضع المقدمات للموضوعات وكتّابها ، فكانت عند عرضها لقصيدة أو مقالة أو قصة أو كتاب تحرص أن تقدم نبذة عن حياة الكاتب ، واسمه ، واتجاهه الفكري ، ونوع موضوعه ، وآراء نقاد زمانه فيه . وتُعد هذه الناحية من الأعمال الجليلة على صفحاتها ، فهي تعد سيرة مختصرة عن الكاتب ، تمنح الدارس والقارئ زاداً ثقافياً من الصعوبة الوصول إليه ، وخاصة للذين لا يستطيعون العودة إلى مصادرها الأصلية ، فكانت تعرّف بالكاتب أياً كان جنسه غربياً أو شرقياً ، كما تلقي الضوء على العمل المنشور ، وتعين القارئ على الإدراك والوعي لما يقرأ ؛ ولمن يقرأ . وكثيراً ما تخرج ذلك في قالب مقالي مستقل عن الموضوع المنشور . ولم تكن " البيان " أول من بادر إلى هذا العمل فقد سبقتها إلى ذلك " روضة المدارس " ١٨٧٠م ، التي لم تترك كل مقالة أو قصة أو قصيدة أن تقدم نفسها بنفسها ، واتسمت تقديماتها باللغة المسجوعة ، والإطراء إلى درجة المبالغة[١] . بينما امتازت " البيان " بالموضوعية في العرض واللغة الراقية في الأسلوب ، من ذلك ما قالته عن الشاعر بيرون وقصيدته " دون جوان " : ((بيرون أكبر شعراء القرن التاسع عشر، ولد بمدينة لندن لتسع بقين من شهر يناير ١٧٨٨م ، وتوفي ببلدة مسولونجي من أعمال اليونان لإحدى عشرة من إبريل

---

(١) حسن ، محمد عبد الغني ، و د. الدسوقي ، عبد العزيز : " روضة المدارس نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية " ص ٥٠ .

١٨٢٢م إثر حمى أصابته ... وكان بيرون نصير الحرية ولسانها ، قد ثار في وجه عصره إذ رآه مختلاً متشعثاً ، فأحب أن يسدّ خلله ، ويلم شعثه ، وشعره بوق يصدح بمطالب الثورة الفرنسوية ومبادئها ، وأكبر قصائده هي هذه التي سنقدم تعريبها لقراء " البيان " ، وهي في الحقيقة هجاء للمجتمع الإنساني كما كان في عصره ، وتقع في سبعة عشر ألفاً من الأبيات))(١).

وبعد أن تطرق الحديث عن منهج « البيان» وتنظيمها ، نتساءل هل أدت «البيان» الدور الذي سعت إليه كصحيفة أدبية ؟ وهل استطاعت أن تترك طابعاً ميزها عن غيرها؟ وأن تؤثر في منهج المجلات اللاحقة لها ؟ هذا ما سيتضح في الصفحات اللاحقة .

---

(١) ع ١ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٩ .

٥ ـ مكانة مجلة « البيان » الأدبية :

احتلت " البيان " الصدارة بين صفوف المجلات الأدبية منذ انطلاقها في ميدان الفكر والأدب ، بما استقطبته من الأقلام اللامعة ، وبما كتبه كبار الأدباء والمثقفين على صفحاتها ، وبما قدمته لقرائها من مواد ثقافية ، ومعارف علمية، وآداب رفيعة، حازت على رضاهم وحظيت بثنائهم . ومن ذلك أنه في السنة الثانية لها نشرت مقالة غفلاً من التوقيع بعنوان (مجلة البيان) ، أرسلها أحد كبار الكتاب في مصر ـ كما ذكرت المجلة ـ وكلها مدح وإطراء للبرقوقي وبيانه(٢). وتكمن أهميتها في رأي هذا الكاتب أنها ظهرت في زمن أسماه (التمدين الوحشي) الذي خلا من عصر البطولات والنجدة ، ولكن الأرض لا تخلو على الأقل من روح صلاح الدين وغيره من الأبطال ، أمثال (البرقوقي) ومجلته ، وقد أشاد بدورها العظيم في خدمة الأدب ، وأثرها على المدى البعيد ، قائلاً : ((وعندي أن مجلة البيان ومطبوعاتها فتوحات جديدة في تاريخ الأدب العربي ، وثروة حقيقية أضيفت إلى مادة ذلك الأدب))(٢) . وذلك لأنها اتبعت سياسة ناجحة لنهضة الأدب سواء في أسلوبها الفصيح ، أو انتقائها الصفوة من الكتاب ، وتخير الموضوعات ، وتعريب نخبة من آثار الغرب ، ناهيك عن الروح العظيمة لشخص البرقوقي الذي بذل المال في سبيلها ، وثابر وسعى من أجل رقي الروح العلمية ، ثم نوه هذا الأديب بأبوابها وموضوعاتها المطروحة ، والجديد الذي أظهرته على الساحة الأدبية . ومنها تطوير (النقد الأدبي) بأسلوب علمي جديد ، جمع بين الأسلوب العربي القديم والإفرنجي الحديث ، وأنها بهذه المميزات استطاعت أن تخلب الألباب وتأسر القلوب ، ولذا لاقت رواجاً عند القراء ، ومما قاله أيضاً : ((إن مجلة هذا شأنها كان فرضاً على كل قارىءمن المصريين أن يقتنيها مغتبطاً بها مقتنعاً أنه غانم رابح ، بل إنها أربح صفقة وأكبر غنيمة))(٣) .

---

(١) رأى البرقوقي أنه لايستأهل هذا الثناء ؛ لأنه لم يؤد لأمته الكريمة بعض الواجب الذي تستحقه.

(٢) ع ٥ ، ٦ ، ٧ ، س٢ ، ١٩١٢م – ١٩١٣م ، ص ٤٠٠ ـ ١ .

(٣) (السابق) ص ٤٠٢ .

كمـا شهد الأديبُ والصحفي المشهـــور « سليـم سركيس » صاحب مجلـة « سركيس » ١٩٠٥م المعـاصرة للبيان بامـتيازها : ((والذي أعلمه من مطالعـة البيان أن كل عدد مـن أعداده خاص ، حـافل بالموضوعـات الجليلة ، وأنه امتـاز بطرحه في الـنقد وأمانته في النقل ، وامتاز أيضاً بحسن انتقاء الموضوعات))(١) .

وأشاد بهـا أيضاً أحمد حـسن الزيات صاحب " الرسالة " ١٩٣٣م ، فـرأى أنها خير أعمال البرقوقي في عهد لم يكن فيه للأدب نفاق(٢) .

كذلك أشاد بمكانتها المرموقة الأستاذ ناجي البرقوقي(٣) في حفل تكريمهـا قائلاً : ((ظهر تحت سمـاء مصر منذ سبعـة أعوام على حين حاجة منا إلى ذلك مـجلة «البيان» مجلة قيّـمة ، امتازت بصفاء لغـتها ، وطلاوة موضوعاتهـا ، وعنيت كل العناية بنشر آثار سلفنا الصـالح ، وترجمة أطيب مـا أنتجـته عقـول الغربيين ، وبالجـملة سدت فـراغاً كنا كلنا نشكو منه ونألم له ، ولعل كثيراً من قراء البيان يعرفون مقدار الضحايا التي ضحّاها حضرة الأستـاذ في سبيل هذا البيان ... ولقـد كانت هذه العزيمة الثابتة القوية كـافية في أن تصبح مجلة " البيان " في مقدمة المجلات العربية نظاماً وأكثرها انتشاراً))(٤) .

كما أنها وجدت مكانها أيضاً عند الباحـثين المعاصرين ، إذ يعدّها الدكتور فياض في تاريخ الصحافة الحديثة بمثابة البشير الذي بشّر بالعقل الجديد والروح الجديدة ، العقل الذي استمـد علم الغرب وقوته ، والروح التي استـمدت ماضي الأمة وتاريخهـا ، فوجد خاصة القراء على صفحاتها بغيتهم في بيانٍ مشرقٍ جميل(٥) .

أما الدكـتور محمـد رجب البيومي فقـد رآها إشراقة في مـفتتح العقـد الثاني من القرن الـعشرين ، لتـؤدي رسالة لـم تـؤدها مجلتـا المقتطف والهـلال ، فالأولى اختصت

---

(١) مقال (فكاهة الفاكهة) ؛ مجلة " البيان " ع ٥ و٦ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٦٨ .

(٢) انظر : مجلة " الرسالة " ، ع ٥٦٨ ، س ١٢ ، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م ، ص ٤٩٨ .

(٣) ابن عم صاحب المجلة .

(٤) (حفل تكريم البيان) ، مجلة (البيان) ع ٥و ٦ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٩٤ .

(٥) انظر : د. محمد ، محمد سيد : " هيكل والسياسة الأسبوعية " ص ١٩-٢٠

بالبحوث العلمية ، والأخرى كان جلّ اهتمامها ببحوث التاريخ ، أو ما يدور حوله ، أما التجديد الأدبي المشرئب إلى أفاق واسعة في اكتمال الفنون الأدبية فقد قفزت به مجلة البيان قفزات واسعة(١) .

كذلك اعتبر الأستاذ أنور الجندي " البيان " عاملاً كبيراً في إغناء الأدب العربي ، وذلك بسبب المقومات الأساسية والسليمة التي اعتمد عليها صاحبها في حرصه على البيان العربي ، ووفائه للفصحى ، مع إيمانه بالترجمة من اللغات الأوروبية لأروع آثارها ، كما جمعت ثلة من النابغين آنذاك والذين هم من عمد النهضة وأساطين الأدب الحديث(٢) .

وذكر الدكتور عبد العزيز الدسوقي أنه لا يتجاوز الحقيقة بقوله عن مجلة «البيان» أنها هي التي فجرت ابتداء من العقد الأول من القرن العشرين تيارات التجديد في النقد الأدبي والشعر والقصة ، كذلك استطاعت أن تحرر كثيراً من المفهومات الخاطئة لتذوق التراث العربي ، والفضل في هذا يعود إلى البرقوقي ومعاونه الأول محمد السباعي(٣). وقال أيضاً : ((وتبين لي بالفعل أن الشيخ البرقوقي - يرحمه الله - قد استطاع أن يسهم في صياغة ذوق المثقف العربي في مصر ، وأن يغير الحساسية الفنية ، بما كان ينشر في تلك المجلة الجادة الرفيعة من بحوث ودراسات وإبداع فني ، أسهمت في خلق حساسية ثقافية جديدة ، ومناخ أدبي متفتح ، ومهدت الطريق للشباب الجديد ... الذين أصبحوا رواد أدبنا الحديث فيما بعد))(٤) .

---

(١) انظر : (من أعلام الأزهر ، عبد الرحمن البرقوقي) ، مجلة " الأزهر " ج ٩ ، س ٦١ ، ص ١٠٢٦ .

(٢) منقولة من رسالة جوابية أرسلها الأستاذ الجندي في سؤالي عن البرقوقي وأهمية بيانه في الأدب الحديث .

(٣) انظر : (قصة مجلة) ؛ مجلة " الثقافة " ع٣١، س٣ ، ١٩٧٦م ، ص ٧٠ .

(٤) (البيان الأسبوعي ومعارك حادة) ؛ (السابق) ع ٣٢ ، ص ٥٦-٥٧ .

وللدكتور محمد يوسف نجم رأيه أيضاً عن " البيان " فقد أشار إلى التقاء العقاد والمازني وشكري على صفحاتها منذ صدورها عام ١٩١١م ، ومن وقتها أخذت تتجلى في الأفق ملامح المذهب الجديد في الشعر والنقد(١) .

وقد دلت الأقوال السابقة أن انفتاح البيان على الأدب الغربي ومذاهبه جعلها تحتضن الاتجاه العربي المتطلع إلى النهوض بالأدب ، وتفتح المجال لدعاة الحركة الإبداعية الحديثة ، وقد انتشرت فيما بعد في سائر الأقطار العربية « الرومانتيكية ».

---

(١) انظر : « نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث ، مقدمة ودليل » ط٢، دار صادر، بيروت ١٩٨٥م ، ص ١١ .

٦ـ تأثير منهج « البيان » في المجلات اللاحقة :

تركت « البيان » ميراثاً غنياً للمجلات اللاحقة ، لما بُني عليه منهجها المتميز من أسس سليمة ، شرعت فيه لنفسها الاستمداد من تراث الأدب العربي ، وأخذها بالرفيع والمفيد من آداب الغرب على هدى وبصيرة ، فأصبحت بذلك علامة مميزة في تاريخ الأدب الحديث ، وعالم الصحافة الأدبية ، مقارنة بالمجلات الأدبية التي سبقتها ، مما جعل لها تأثيرات جلية في المجلات الأدبية التي ظهرت بعد احتجابها ، صَدَرَ فيها أصحابها عن رؤى ومفاهيم مماثلة لمجلة " بيان " البرقوقي . وقد شهد بهذا التأثير الدكتور محمد سيد محمد ، فذكر أن " البيان " كانت تهمه وهو يؤرخ للسياسة الأسبوعية ، وذلك لأن الكتيبة الأدبية المصرية التي كتبت في السياسة الأسبوعية والبلاغ الأسبوعي ، ثم في الرسالة والثقافة ، كان لبعض أفرادها كتابات في البيان ، فكانت جميع تلك الصحف الأدبية سلسلة متصلة الحلقات لنشاط كتيبة الصحافة غذاها التطور السياسي والاجتماعي وتعاقب الأجيال ونبوغ الزهور الجديدة على الدوام(١) .

وبقوله هذا يدلل على أن " البيان " كانت أولى حلقات الصحف ، والأقوى في مد صنوف من الثقافة المتنوعة والمتعددة ، اقتدت بها كثير من المجلات الأدبية التي صدرت عقبها وهذا ما سيتضح في الوصف التالي لبعض منها من حيث أوجه الشبه والتأثر بمنهجها :

الزهراء ١٩٢٤ ـ ١٩٢٨م :

أنشأها محب الدين الخطيب (ت ١٩٦٩م) في القاهرة ، وشعارها مجلة علمية أدبية اجتماعية ، وقد سار في منهجها على خُطى نهج " البيان " إذ جعل مجلته قائمة على دعامتين أساسيتين ، الأولى : المرونة في اقتباس ما في حضارات الأمم الأجنبية من وسائل القوة ، والأخرى : الاحتفاظ بالتقاليد التاريخية والأوضاع الوطنية والسجايا

---

(١) « هيكل والسياسة الأسبوعية » ص ١٨ ـ ١٩ .

القومية ، واللسـان العربي الأصيل . وهدفه من ذلك كما قـال : ((أن نشيّد الباب الذي ندخل منه إلى دور آخر من أدوار تاريخنا القومي ، حيث نجد الأفق واسعاً للكيان العربي الجديد ، وحينئذٍ يتاح لأبنائنا القيام بنصيبهم في خدمة الحضارة العامة))(١) .

وتوخى الخطيب نشر تقرير الحقائق عن علوم الغرب وآدابهم ، وتاريخهم ، وعن مقومات الحضارة الإسـلامية مستعيناً بالأقلام القوية من رجـال الاختصاص . ومن جهة أخرى نقل المترجمات ذات الأثر في النهضة الفكرية والأدبية ، ليس على مستوى مصر فحسب بل تجاوزها إلى الوطن العربي والعالم الإسلامي .

ومن كتـابها : فـؤاد الخطيب ، علي أدهم ، محمد صادق عنبر - وثلاثتـهم من كتاب " البيان " - وشكيب أرسلان وأحمد تيـمور . وأبرز شعرائها : شـوقي ، وأحمد زكي أبو شادي(٢) .

السياسة الأسبوعية ١٩٢٦ - ١٩٤٩م :

أنشـأها الأديب المفكر محـمد حسين هيكل ، حملت لواء النهضـة الفكرية في مصر والعالم العربي ، وكان العلم والأدب من اهتماماتها الأولى على الرغم من تسميتها بـ « السيـاسة » . وصفـهـا محـمـود تيـمـور (ت ١٩٧٣م) بأنها مـجـمع ثقـافي يموج بالدراسات والمباحث ، أو كأنها جامعة ضمت مختلف الكليات فيها لكل طالب زاده ، كما تلاقت في جنباتها قرائح الصفوة من أعيان الأدباء والمفكرين(٣) .

استمدت " السياسة " منهجهـا من " البيان " وهذا التأثر لابد أن يكون وصاحبها من أوائل الكتاب على صفحاتها . فقد احتفلت السياسة منذ ظهورها بالدراسات الأدبية والعلمية والتـاريخية والقانونيـة ، والسياسة المصرية ، معانة عن نفسها غـزارة مادتها في كل فن ، مع وعودها للقراء بأن توقفهم على مختلف تيارات الجهود ، ونتائج القرائح في العـالم كله ، لتكوّن بذلك صلة متينة بين الشـرقيين والغـربيين ، فنشرت - كـالبـيان - مترجمات في مختلف الفنون الأدبية ، ومنحت القصـة القصيرة عناية خاصة ، ولاسيما

---

(١) د. محمد ، محمد سيد . (السابق) ص ٢٥ .

(٢) د . محمد ، محمد سيد : (السابق) ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) د . محمد ، محمد سيد : (السابق) ص ٣٥١ - ٢ .

في الأدب الفرنسي إلى جانب نشر مختارات أخرى من القصص العالمي الإنجليزي والألماني والروسي ، ولكن بعضها كان على درجة من الإسفاف ، مما عرّضها للانتقادات الحادة . واحتفت أيضاً بالشعر العربي والفارسي . ومن مترجميها في الشعر : علي محمود طه ، وإبراهيم ناجي .

وتميز أسلوبها في الترجمة بالوضوح والبساطة دون العناية بالجمال الأدبي والصياغة الفنية ، وفي هذا تختلف عن " البيان "[1].

وفي الأدب العربي نشرت منتخبات شعرية مختارة من عصور الأدب المختلفة ، كما ضاعفت اهتمامها بالأدب المصري ، وذلك مجاراة منها للحركة الوطنية التي دعت إليها في مجالي السياسة والأدب ، فكتب مصطفى عبد الرازق (ت ١٩٤٧م) فيها عن: (البهاء زهير) و (الجزار) ، و (ابن مطروح المصري) .

وبهذا المنهج ساهمت " السياسة " في الدعوة إلى إقليمية الأدب ، ثم زيادة الصراع بين المحافظين والمجددين[2] .

وكان من أبوابها : في المرآة ، القصة ، قصة الأسبوع ، طرائف وفكاهات ، العلوم، الصحافة في أسبوع ، أسبوع السياسة الخارجية .

واهتمت السياسة بنشر المحاولات القصصية للكتاب المصريين في باب (قصة الأسبوع) كذلك نشرت قصائد لكبار شعراء الوطن العربي أمثال : حافظ إبراهيم ، جميل صدقي الزهاوي ، محمد عبد الغني حسن ، يوسف فهمي ، علي محمد الحوماني[3].

البلاغ الأسبوعي ١٩٢٦م - ١٩٣٠م :

أنشأها عبد القادر حمزة (ت ١٩٤١م) ، اهتمت بالموضوعات العلمية والأدبية ، واحتفت بقوة بإحياء الأدب العربي القديم بقيادة زكي مبارك (ت ١٩٥٢م) ، الذي أحدث ثورة فكرية أثّرت أصداؤها القوية في حياة العقلية العربية ، فقد كان يرى أنّ

---

(١) د . محمد ، محمد سيد : (السابق) ص ٣٥٤ ، ١٢٦ – ٧ ، ٢٣٢ ، ٢٩٢ .

(٢) د . فياض : " الصحافة الأدبية بمصر " ج٣ ، ص ٢٩٥ – ٦ .

(٣) د. محمد ، محمد سيد : (السابق) ص ٢٢٤ ، ٢٣٥ .

دراسة اللغة العربية وعلومها وأدبها مسألة قومية ، ولذا يجب أن تأخذ نصيبها من الجهد والنشاط لدى أبنائها . وقد قدم فيها سلسلة مقالات وأبحاثاً عن أعلام الأدب العربي في العصر العباسي ، أمثال : القاضي الجرجاني ، ونظرة في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه، وعن أبي إسحاق الصابي، كما شارك في موضوعات أدبية مختلفة(١).

إلى جانب ذلك نوعت " البلاغ " اختياراتها من الآداب العالمية ، فنشرت القصة المترجمة بأسلوب راقٍ ، وكان محمد السباعي من أبرز مترجميها ، كما نشرت القصة المصرية لمحمود تيمور .

ومن أبوابها الثابتة : ساعات بين الكتب للعقاد ، الذي صار كتاباً قيماً فيما بعد، وباب القسم النسوي والاجتماعي، قصة الأسبوع ، ديوان الأسبوع وهو خاص بالشعر .

وكان من كتابها:الشيخ عبد الرحمن البرقوقي،وعباس حافظ ،ومحمد السباعي–وهؤلاء أبرز أقلام البيان – وعبد الرحمن عزام ، وعبد العزيز البشري ، وحسين تقي أصفهاني(٢).

العصور ١٩٢٧م :

أنشأها إسماعيل مظهر (ت ١٩٦٢م) ، لنشر المعرفة العامة ، وقد اتبعت أسلوب " البيان " في منهجها ، فأراد صاحبها لها أن تقوم على ((خلق صورة جديدة من الحضارة الشرقية الصحيحة تخرج من روح الأمم الشرقية مجتمعة)) ولن يتسنى لها ذلك إلا إذا جالدت الأعاصير في جو مليء بالخبائث ، بسبب متاجرة بعض الصحافيين باسم الأدب والعلم والفلسفة متاجرة رخيصة لم ينل منها الأدب ولا العلم خيراً . فدأبت « العصور » تترجم كل ما من شأنه أن يؤدي إلى تحرير الفكر من فصول في الفلسفة والسياسة وعلم الاجتماع ، ومن أبوابها القيّمة (ثمار الفكر الغربي) وفيه قلدت « البيان » بتلخيص وتقديم بعض المؤلفات الأوروبية، فترجمت لسيرأولفردج ، وهلكس، وشوبنهور(٣) .

---

(١) انظر : د. فياض : " الصحافة الأدبية بمصر " ص ٣٠٢ – ٤ .

(٢) د. محمد ، محمد سيد : (السابق) ص ٣٦٠ ، ٣٦٤ .

(٣) د. فياض : " الصحافة الأدبية بمصر " ج٣ ، ص ٢٢ – ٢٤ .

المعرفة ١٩٣١م :

رأس تحريرها عبد العزيز الإسلامبولي ، وكان أهم أغراضها إحياء التراث العربي الإسلامي ، وأريد منها أن تكون معولاً هداماً للأفكار والمذاهب الإلحادية المادية ، وبتر كل الآراء الفاسدة المنتشرة في أوروبا وأمريكا ، وأن تصلح وتقوّم الأخطاء العلمية التي وقع فيها المستشرقون فيما كتبوه عن الشرق وعلومه ، وذلك عن طريق بعث الفلسفة الإسلامية العالية ، وإحياء الحكمة المشرقية القديمة ، وبناء الأدب العربي وتجديده . ونشرت " المعرفة " أبحاثاً عديدة عن الأدب العربي القديم ؛ منها ما كتبه حامد عبد القادر عن (مهيار الديلمي - دراسة تحليلية لحياته وشعره) أو ما قدمه السباعي بيومي عن: (المنثور والمنظوم وأيهما أسبق إلى الوجود) ،و (نبعة الشعر) و(الشعر الجاهلي طبيعته وفنونه وتأثيره ومنزلته) . وتميزت هذه الدراسات وغيرها مما نشر على صفحاتها بالمنهج العلمي المطرد(١) .

الرّسالة ١٩٣٣ - ١٩٥٣م :

يمكن أن تعد " الرسالة " لأحمد حسن الزيّات ابنة "البيان" البارة، إذ سارت على خطاها وأخلاقها ومنهجها في اختيار مواضيعها من غير إسفاف أو ابتذال ، فكان مبدؤها منذ صدور العدد الأول منها وصل الحاضر بالماضي ، والشرق بالغرب ، إذ بيّن صاحبها للقارئ ؛ أنّ الرسالة بربطها القديم بالحديث تضع الأساس المتين لمن ضعف بناؤه، وبوصلها الشرق بالغرب تساعد في البحث عن الحلقة المفقودة التي ناشد بها صديقه الأستاذ أحمد أمين (ت ١٩٥٤م) طائفة من المفكرين في مصر خاصة ؛ والوطن العربي عامة ، ممن جمعوا بين الثقافة العربية الإسلامية العميقة وبين الثقافة الأوربية العلمية الدقيقة ، ويرى أحمد أمين أن بهؤلاء تتم النهضة العربية الحديثة ، إذا ما عُرف أن السبب يكمن في ركود الحياة العقلية والأدبية في فقدان حلقة الوصل المنشودة ، كما أن التعليم أصبح يسير في خطين متوازيين عربي إسلامي من جهة ، ومدني حديث من جهة أخرى ، ولم تظهر محاولات جدّية لتلاقي الخطين . ولن يتم الإصلاح إلا بإيجاد الحلقة المفقودة ، وهي تذوق الثقافتين والاعتراف من المنهلين(٢) .

---

(١)) د. فياض : " الصحافة الأدبية بمصر " ج٣ ، ص٣٠٧ - ٩ .

(١) انظر : مجلة " الرسالة " ، ع١ ، س١ ، ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م ، ص ,١ وانظر : أمين ، أحمد : (حلقة مفقودة) ؛ (السابق) ص ٦ .

ومن أهداف " الرسـالة " أيضاً رقي الأمـة العـربيـة ، وذلك بدعم نهـضـة الروح المصرية ، والعمـل على وحدة الثقافة العـربية ، وتصوير مظاهر عبـقرية أمتهـا ، وتسجيل ظواهر التجديد في آدابها ، وإحيـاء أساليب البلاغة العربية في نشئهـا .حتى قيل عنها إنها "مـدرسة للأدب" و"جـامعـة عربيـة" فـاستطاعت أن تجمـع أدباء العرب في مـختلف الأقطار، والشعوب على فكرة واحدة وغاية واحدة (١).

وكـان أبرز أبوابهــا : الأدب العـربي ، في الأدب الغـربي ، بـاب القـصص ، من طرائف الشعـر ، باب العلوم ، العالم النسائي ، البـريد الأدبي ، من هنا وهنالك ، الأدب والفن في أسبوع(٢) .

الثقافة ١٩٣٩ - ١٩٥٣م :

شعارها مجلة أسبوعية للاجتماع والآداب والعلوم والفنون ، رأس تحريرها الكاتب والمفكر أحمد أمين الذي صرّح بوجهتها ، حين قال إنه رأى في الشرق كنوزاً من الأدب والعلم العربي والفارسي والهندي وغيرها لا يفنيهـا الإنفاق ، وقد جار عليها الزمن فدفن بعضها ، وهي قمـينة بأيدٍ عاملة وعقولٍ راجحة لاستخراجـها من مكامنها ، وفي الغرب - أيضاً - العلم الزاخر والأدب الوافر حالت دونه الحوائل لأنه مكتوب بلغة غير العربية ، ومتـأثر ببيئة اجتماعيـة غير البيئة العربيـة ، على الرغم من أنّ العرب في العصر الحـاضر مرتبـطون بهذا العلم والأدب الغـربي ، وذلك لأن المدنية الحـديثة بمختـرعـاتها كـسرت الحواجز بين الشعوب ، ووثقت الصلات بينهـم حتى في حالات العداء ؛ وجعلت العالم كله جسـمـاً واحداً . كـما رأى أنـه من الخيـر للشرق أن يقف عـلى الحركـات العلميـة والأدبية والفنية التي يزخـر بها الغرب ؛ وأن يتصرف فـيها عن خبرة ، ويحكم فـيها عن

---

(١) انظر : مجلة " الرواية " ، ع ١ ، س١ ، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م .وانظر:د.شلش ،علي: "المجلات الأدبيـة في مـصـر تطورها ودورها من١٩٣٩إلى ١٩٥٢" الهيـئـة المـصرية العامـة للكتـاب ١٩٨٨م،ص١٤٦ ـ ٧ .

(٢) د. محـمـد ، محـمـد سيـد : " الزيـات والرسـالة " ط١ ، دار الرفـاعيَ ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٦٠-٦١ ، ١٠١ .

علم ، ويسايرها أو يعارضها عن دراسة وتحليل ، بيد أن هذه الكنوز الشرقية التي وصفها والثروة الغربية التي ذكرها لم تفِ حقها ، ولم تؤد عشر معشارها كل المجلات العربية على اختلاف أنواعها ومناهجها وأقاليمها ، بل إنها تحتاج إلى مئات المجلات إلى جانبها لتعالج هذه الثروات من نواحيها المختلفة(١) .

وبالفعل قدمت "الثقافة" للقارئ العديد من ألوان الأدب العالمي ،فلم تقتصر على الآداب المشهورة منه ، بل توسعت في آداب أمم أخرى مثل: تركيا والصين وألبانيا. كما عرّفت القارئ في وقت مبكر- بأدب الرحلات والأدب الشعبي وأدب الأطفال .واهتمت كذلك بالتعريف بالمسرح العالمي والتوسع فيه.وقد كان كتّاب "الثقافة" من أساتذة الجامعة المصرية ، وأعضاء جمعية التأليف والنشر والترجمة ، وكبار الأدباء في العالم العربي(٢).

وليس بكثير على البيان أن تترك أصداء وتأثيرات ، شكلت فيما بعد اتجاهاً سارت عليه مجموعة من المجلات المتخصصة الجادة ، فاتخذت خطاً وسطاً حاولت فيه أن توفق بين اتجاهين ظلا يتنازعان فترة من الزمن الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي .

فكان لها موقفٌ حميدٌ من التراث الذي ينتمي إليه العالم العربي ، مما استدعى تخصيص باب كامل له ، يشمل مفهومها للتراث ، والدور الواضح الذي أدته في خدمته وإحيائه ، ووسائلها في سبيل ذلك ، في محاولة لربط علاقة حميمة بين الناشئة وأدب أسلافهم ، وكل ذلك في حدود ما تقتضيه إمكانيات الصحيفة الأدبية .

والاهتمام بالتراث نابع من شخصية « البرقوقي » ونشأته بين أروقة الأزهر ، فزخر منها بالعلوم المختلفة ، ساعده في العمل في مجال تحقيق التراث ، ثم إخراجه عدة مؤلفات، اتبع فيها طرق الأقدمين ، على نحو ما هو مذكور في الفصل الأول من هذا الباب . ولم يقتصر الباب القادم عند هذا الحد بل اتسع ليشمل موقف « البيان » من الدعوة للعامية ، واهتمامها بأمر اللغة الفصحى ، ويتبع ذلك الحديث عن رؤيتها الخاصة لعلم التاريخ .

---

(١) انظر : د. فياض : "الصحافة الأدبية بمصر" ج٣ ، ص ٣٢، ٣٣ .

(٢) د.شلش : (السابق) ص,١٤٩ و مرّوة : "الصحافة العربية نشأتها وتطورها" ص ٤٤٧ .

الباب الثاني

النهر التراثي

الفصل الأول

دعوة « البيان » إلى إحياء التراث

الفصل الثاني

موقف « البيان » من الدعوة إلى العامية

الفصل الثالث

مفهوم التأريخ لدى « البيان »

الفصل الأول

دعوة « البيــان » إلى إحيــاء التراث

توطئــة :

أولاً : مفهــوم « البيـــــان » للتــراث .

ثانياً : وسائل « البيان » في إحياء التراث :

أ ـ الصحائف المهجورة .

ب ـ أمالــي « البيـــان » :

١ ـ المختارات الشعرية .

٢ ـ المختارات النثريــة .

٣ ـ صور من النقد العربي القديم .

توطئـة :

واجـهت الأمـة العربيـة والإسلامـية عـدة تحديات تسـتهـدف إلغاء ذاتهـا ، ومسخهـا باللون الذي يريده أعداؤها لها ، منذ أن تسلل الاستعمـار إلى أراضيها ، ومـا صحب مـعه من ألوان الثـقـافة الأوروبيـة التي غزا بهـا المجـتمع العـربي المسلم بمفاهيمه ، والتي منها ما لا يتفق مع الدين والفكر والذوق الأدبي والإسلامي .

وتزداد خطورة تعرّض الأمة العـربية للتيارات الغربية الوافـدة ، إذا ما أُخذ في الاعتبـار أن الأمة كانت على حال من الضعف والفـرقة ووهن الصلة بالتراث[1] ، وما قد يؤديه هذا من انفصال المسلم عن دينه ووطنه ، وإلغاء ذاتيته التي كرّمها الله أمام الزخم الوافد من الثقافة الأوربية . ومن هنا شعر الرواد الأوائل بخطورة سيطرة الثقـافة الأوروبية ، فكانت فكرة إحـياء التراث هـي المنفذ الوحيـد الذي ينقذون به أبناء الأمة العربيـة المسلمة، ليحققـوا بذلك في نفوسهـم التوازن النفـسي والثقافي ، وقد أحدثت مظاهر قوة الحضارة الأوروبية صدمة في نفوس هؤلاء الرواد ، تحولت - كما يقول العقاد - إلى دعوة قويـة لإحياء التراث العربي ، وأيقنوا أنهـم ليسوا عالة على الغرب بل الـعكس ، فالغرب هو الذي اسـتعار حـضارته من المشـرق العربي . ولذا يعد إحيـاء التراث نوعاً من أنواع مواجـهـة الثقافة الغربيـة الوافدة بثقافـة عربية أصيلة[2] .

---

(١) في عصر المماليك كان العلم العربي يقع في مجوعة متون تُسمع وتُقرأ على مشايخ ذلك الزمان، كما اهتـزت الصلة بين العرب وكتبهم العلميـة الأولى في العصر العباسي ، وفي عـصرهم أيضاً ككتب الفارابي وابن خلدون . انظر : د. ضيف ، شوقي : « الأدب العـربي المعاصر في مصر » ط٥ ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٤م ، ص ٢٠-٢١ .

(٢) انظر : العقاد ، عباس محمود : " دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية " المكتبة العصرية ، بيـروت ، ص ٨ . وهارون ، عبـد السلام : " التـراث العربي " المركـز العربي للثـقافـة والعلوم ، بيـروت ، ص ٦٧ . وبنت الشاطـئ ، عائشـة عبـد الرحـمن : « تراثنا بين مـاض وحاضـر » دار المعارف ، القاهرة ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م ، ص ٥٧ .

كـذلك أقـرّ الرواد الأوائل بأنه لا انفـصـام بين الديـن والفكر[1]. فالـتراث الثقافي هو التراث الديني والفكري ، وهو الذي يُسْـتـمدُ من روحه ومبادئه ، وتقوم الحياة على أسـاسه . كما أنه بالدرجـة الثانية مسـألة قومية ، وانفصـالهم عنها يعني إلغاء هويتهم العربية[2]. فقد عُرّف التـراث بأنه : ((هو ما بقي من النشاط الفكري لتلك الحضـارة يحمله الأبناء عن الأسلاف مـعتزين به ، ومسـتمدين منه قسـمات تاريخية لقوميتهم ، ولا يحول هذا الشعور بينهم وبين أن يضيفوا ثماراً من تقدمهم وتحضرهم المضطرد))[3] .

والذين قامـوا بإحيـاء التراث هم رجال نهلوا من مـعين الثقـافة العربيـة ، وقد ساعدهم في ذلك وجود مـطبعة بولاق كمؤسسة أولى في نشـر الكتب ، إذ اقترن نشاط حركة استخراج التراث العربي بوجودها ، ثم قامت جمعيات لنشر التراث ، كـجـمعيـة المعـارف التي تأسـست عام ١٨٦٨م ، وشـركـة طبع الكتب العـربيـة ١٨٩٨م ، ومكتبـة دار الكتب المصرية ١٨٧٠م ـ التـي عملت على إحيـاء الكتب القديمة النافعة ، وخدمتها بالتحقيق والفهرسة والضبط[4].

كما استفادوا من عمل المسـتشرقين الذين لا ينكر دورهم في إحياء التراث ، وإخراجـهم لأمهـات الكتب أمثال : تـاريخ الطبري ، ومعـجم الأدباء ، والكامل ،

---

(١) من هؤلاء الرواد الأوائل : رفـاعة الطهطاوي ، والشـيخ محـمد عبـده ، ونصر الهـوريني ، وقطة العدوي ، وأحمد تيمور .

(٢) د. الكتاني : " الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث " ج١ ، ص ١٤٧ .

(٣) د. درديري ، إبراهيم : " تراثنا الـعربي في الأدب المسـرحي " ط١ ، عـمـادة شؤون المكـتبـات ، جامعة الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، المقدمة ، ص (ر)

(٤) هارون : (السـابـق) ص٦٤ ، زيدان : " تاريخ آداب اللغـة العـربيـة " ص٤٤١-٢ ، ٤٦١ ومابعدها .

وغيـرها ... فاطلـع الرواد من خلال هـذه الأعمـال على أسـاليب رائعـة من النثـر والشعر العربي الخالية من التكلف والصنعة وعقـد البديع . كما شعروا بالغيرة نحو تراثهم أن تتـداوله أيدي الأوروبيين الذين تسابقـوا على تحقيـقه ، وإحـياء كنوز من الثقافة العربية قبلهم ، وهم العرب أجدر منهم بهذا العمل(١) .

وكل تلك العـوامل ساعـدت على ظهـور طبـقة من المتـعلمين لهـا اتجاهاتهـا الفكرية ، تشـربت من التراث الـقديم ، ولكن مـهمـا كان دور المطبـعة في إخـراج الكتب إلى حـيز الوجود ، فـالكتاب لا يحـسن تناوله إلا من كان ذا ثقـافة وعلم . من هنا أراد البرقوقي للبـيان أن تواصل السير في سبيل إحـياء التراث ، وتشارك من سبقـوها في هذا العمل بالتنقـيب في بطون أمـهات الكتب لاستـخـراج نماذج من روائعها وتقديمها لقراء زمنها ، فقد كـانـت " البيان " بمثابة مدرسة تثقيف وتعليم ، وأداة اتصال بين الماضي والحاضر ، أرادت من الجيل الجديد أن يقبل بشغف وحب على قراءة تراث أسلافه .

وأعطى اتجاه صاحـب المجلة ـ بما يمثله من الشخصـية الوطنية المسلمة ـ التراث جانباً أوليـاً من اهتمامه ، وكان لهذا أهـميته ، وخاصة أنه وجـدت في ذلك العهد الصحافة السورية ، وكان أغلب أعضائهـا مندفعين نحو التحديث والتعلق بأسباب المدنية الأوروبية ، فدأبوا في السـعي إلى نشر خلاصات الفكر الأوروبي في الأدب والفلسفة والعلم والاجتماع(٢).

---

(١) د. ضيف ، شوقي : (السابق) ص٣١ ، د. الكتاني : (السابق) ج١ ، ص٢٠١ ، ٢٣٥ .

(٢) ومن أسباب ذلك :

اطلاعهم الواسع على اللغات الأوروبية .

أرادوا بذلك نشر فكرة الوطن محل فكرة الخلافة الإسلامية . انظر : د. هيكل ، أحمد : " تطور الأدب الحديث في مصر " ص ٤٩ – ٥٠ .

أولاً : مفهوم « البيان » للتراث :

انتصرت " البيان " لاتجاه الأصالة ، إذ أراد لها صاحبها أن تحقق ما لم تحققه غيرها من الصحف الأدبية لتكون نسيجاً وحدها[1] . فمن خلال إحياء التراث تحيا الروح الإسلامية لدى النشء ؛ عندما تربط ما تنشره من تراث بالدين واللغة .

وعندما قدمت " البيان " باب (أمالي أدب) ذكرت أن سبب تفشي العُجمة بين أبناء الناطقين بالضاد إبانئذٍ نشأ من إعراض أهلها عن فصيح اللغة ، وعدم الاحتفاظ بالمأثور من بلاغات العرب . " فالبيان " قامت بدورها في عرض نماذج من التراث لأن في الدربة عليها ، والنظر فيها ، تستقيم الألسنة ، وتتهذب ملكات البيان ، وذلك ليبقى الدين محفوظاً معمولاً به[2] .

كما كانت " البيان " تنظر إلى التراث على أنه مسألة قومية عربية أيضاً ، فالتراث سلاح الحرية الذي تتخلص به من ربق الاحتلال الذي تعددت ألوانه ، فكانت تحاول أن تعالج المظنة التي غرسها الاستعمار ، ومن يمثله في أذهان الناشئة، بأن اللغة والأدب والتراث العربي الإسلامي قاصر عن الاتصال بالفكر الحديث ، فأنكرت " البيان " هذا الجحود للتراث ، وأيقنت أن هذا لا محالة سيؤدي بهم إلى انفصام الشخصية العربية ، فتصبح بذلك مذبذبة ، ليس لها ميزان تزن به حقائق الأمور ، وكل ذلك : ((لجهلهم بآداب أسلافهم وطرائفهم واحتقارهم إياها ،

---

(١١) لاينكر دور بعض الصحف في اهتمامها بالتراث كالهلال في نشرها عدة أبحاث عن التاريخ العربي والإسلامي والأدبي بقلم صاحبها جرجي زيدان ، كذلك " المقتطف " التي نشرت بعض النماذج من التراث العربي ، أما " البيان " فتميزها في منهجها إذ جعلت إحياء التراث من الأسس الثابتة فيها .

(٢) انظر : ع١ ، س٥ ، ١٩١٧م ، ص ٩ .

وهم بذلك يجنون على أنفسهم ، ويسيئون إليها من حيث يدرون ولا يدرون))[1].

فكانت أولى خطوات العلاج التي اتبعتها " البيان " هي :

١ - أن تُعرّف الناشئة بأدب أسلافهم ، فقالت : ((فيا أيها النشء أبناء الماضين عليكم أدب أسلافكم قبل أدب غيرهم ، وليس يجمل بكم وأنتم سلالتهم أن تجهلوا ما هنالك من أدب باهر ... ولتعلمنّ أن من أجنى ما تجنون على قوميتكم، أن تجهلوا ماضي آبائكم ، وتستبدلوا بهم من لا شبه بينه وبينكم ، وأنكم إن فعلتم ذلك واسترسلتم ولم تتداركوا ، نسيتم ماضيكم ، فأنساكم الله حاضركم ، ونسيتم سلفكم ، فأنساكم الله أنفسكم))[2] .

٢ - جعلت " البيان " من التراث أرضية خصبة لأبناء هذه الأمة من الأدباء؛ لأن الأديب الحر لن ينشأ إلا إذا استلهم مادته الأولية من تراثه ، وجعله مصدراً مهماً من مصادر نموه الفكري ، ثم بعد ذلك يتطلع إلى التزود من الثقافات الدخيلة. وقد احتجت على الناشئة الذين تغنوا بآداب الغرب ، بأن الغربيين أنفسهم في مطلع نهضتهم اعتمدوا على آثار أسلافهم من اليونانيين والرومانيين ، بل ومن غير أسلافهم حين نهلوا من معين الثقافة العربية والإسلامية ، وإن قيست آداب الغرب بجانب الآداب العربية فهي نزرة وقليلة لا تتساوى معها ، فأولى بهؤلاء الذين يتشدقون بقصور ثقافتنا أن يحرصوا على تراث أجدادهم ويعتزوا به[3] .

---

(١) مقدمة باب (أمالي البيان) ، ع ٢ و٣ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ١٨٧ .

(٢) (السابق) ص ١٨٧ - ٨ .

(٣) (السابق) ص ١٨٨ .

٣ - جاهدت " البيان " في تقريب التراث للجيل الجديد، لتنشء بذلك أديباً عربياً أصيلاً ، وجيلاً يعي ثقافة أمته ، فعملت على أن تجعل من التراث أدباً عصرياً يدخل روح التجديد على الأدب العربي من خلال ما تقدمه من مختارات؛ لأنها أسمى وأثمن المحصولات العلمية . وأمنية " البيان " التي أرادت أن تحققها في هذا المجال هي : بأن يكون تراث الأسلاف شجرة يانعة الثمر ، قريبة المتناول لكل قارىء ، يستطيع بسهولة أن يهتصر أغصانها ، ويجني من كثب ثمارها . وبذلك تبلغ مسامع الكثير من شباب الأمة أخبار أسلافهم ، والتي طال احتجابها عليهم ، وعز وصولها إليهم[١].

٤ - وعَدَت قراءها أن تساعدهم من خلال ما يُعرض على صفحاتها من نماذج على قراءة ما سيُقدّم من تراث قراءة عصرية ، تجعلهم يعيشون مع النصوص التي تُنشر ؛ وكأنها لأديب يعيش في عصرهم .. ((نعم ولا نخالكم بعد أن سيبذل البيان جهده في تقريبها إليكم وجعلها منكم على طرف الثمام وحبل الذراع إلا فاعلين))[٢] .

أما مبتغى " البيان " وهدفها من كل ذلك ؛ فهو بناء حلقة وصل بين الناشئة وأدب أسلافهم ، فقالت : ((فأجمعنا النية على أن نثبت في هذا الباب [أمالي البيان] كل ممتع من سير الماضين وآدابهم ونوادرهم ... حتى تبلغ مسامع الكثير من شبابنا أخبار أسلافنا ... وهي عند النصفة أولى المعلومات بالعلم والدراسة ، كيما نكون دائماً على ذكر من شئون آبائنا الأولين ، وكيما يتصل السبب بينهم وبين نشئنا المولع بالغريب المستهتر (المولع أشد الولوع) بالأجنبي ، الذي ليس بيننا

---

(١) (السابق) ص ١٨٧ .

(٢) (السابق) ص ١٨٨ .

وبينه لحمة جنس ولا لغة ولا دين ، مع إعراضه عن سلفه ، ورضائه بوصمة الجهل بشؤونهم . وهي كما قلت نعمت المحصولات العلمية ، التي إذا جهلها منتسب لهذه اللغة استبدت به عجمة الإعجام ، وتقطعت حبال ما بينه وبين قومه ، وأنكرته آدابهم ومجته أذواقهم))[١] .

واستطاعت " البيان " بهذه النظرة إلى التراث أن تورثها للعديد من الصحف الأدبية الصادرة بعد احتجابها ، والتي ظهرت أيضاً قبل البيان مما كُتب لها الاستمرار ؛ فـ " المقتطف " مثلاً أخذت تعنى بالتراث بصورة مغايرة لما سبق ، وظهر هذا في أقوال كتابها ، فالأستاذ فؤاد صروف صاحبها ورئيس تحريرها في عام ١٩٢٦م ، قال : ((إن الأساس الذي تقوم عليه النهضة الصحيحة هو الإحساس بالكرامة ؛ ولن يستيقظ هذا الإحساس إلا بالاعتزاز بأننا ننتسب إلى أباء وأجداد نفخر بهم وبماضيهم ونباهي بأمجادهم)) . كما قارن الأستاذ علي مصطفى مُشَرَّفَة (ت ١٩٥٠م) في المجلة ذاتها بين أسباب نهضة العرب ونهضة الأوروبيين ، فذكر أن الغرب أفاقوا من غفلتهم ، لأنهم عادوا إلى أصل ثقافتهم الإغريقية في إحياء ماضيهم ، كذلك نحن في الشرق فقد هدانا وحي السليقة – على حد قوله – إلى منابع عظمتنا ؛ فعدنا إلى ماضينا ؛ ليكون قاعدة وصرحاً لتقدمنا[٢] .

وفي سبيل تحقيق " البيان " لمفهومها وتطلعاتها نحو تراث الأمة العربية الإسلامية ومما تتمناه لأجيالها مستقبلاً من التمسك بأصالتهم ؛ وجعلها المادة

(١) (السابق) ص ١٨٧ .

(٢) انظر : المقدسي ، أنيس : " الإتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث " ط٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧م ، ص ١٧٨ ، وانظر : المبحث الخاص عن " أثر منهج البيان في المجلات اللاحقة .

الأولى لينهل منها النشء ، ثم بعد ذلك الأخذ من ثقافة الحضارات الأخرى ، التمست شتى الوسائل والأساليب المتعددة لتعرِّف أبناء الأمة بعيون مصنفاته وقيمتها ، ومدى عمقها وأصالتها . وكانت طرقها إما نشر الكتب المحققة ، حيث وضعت لها باباً باسم " صحائف مهجورة " ، أو نشر مختارات متفرقة من الشعر والنثر ، ووضعت لها باباً اسمته مرة " أمالي البيان " وأخرى " أمالي أدب " . وقد استطاعت " البيان " أن تؤدي ما عليها نحو التراث ، من نشر المفيد ؛ بما تسمح به طبيعة الصحيفة الأدبية ، وهذا ما سيتضح في الصفحات القادمة .

ثانياً : وسائل " البيان " إلى إحياء التراث :

أ - الصحائف المهجورة :

وضعت " البيان " هذا الباب لتنشر في صفحاتها التآليف العربية القديمة المهجورة التي دُفنت في زوايا المكاتب منذ زمن ، مما لم توفق المطابع إلى نشره ، ولم تحظ بالعناية والتحقيق آنذاك ، وقد عرضت فيه كتابين فقط على مدى عمرها وهما " ديوان المعاني " لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) و" السعادة " لأبي علي الخازن الملقب بمسكويه (ت ٤٢٢هـ)(١) ، وليتها استمرت في نشر المزيد من الكتب القديمة وأطلعت القراء على المجهول من التراث .

وقد قام بهذا العمل المضني الشيخ عبد الرحمن البرقوقي وحده ، وهو أحد المناضلين في تحقيق التراث(٢)، وقد قصّ حكايته مع كتاب " ديوان المعاني " الذي عثر عليه من بين مخلفات الشيخ الشنقيطي الموجودة في (المكتبة الخديوية) آنذاك. ثم استنسخه بواسطة أحد الناسخين بنية طبعه منذ سنين ، ولما درجت الأيام وحالت الحوائل دون تحقيق هذا العمل ، رأى من الصالح العام نشره تباعاً في " البيان " مع شيء من التمحيص والتلخيص . وقد وجد الأمرّين في إخراجه لكثرة ما فيه من التحريف والتصحيف(٣) .

وقامت " البيان " بنشر مقدمة أبي هلال العسكري كاملة؛ لتطلع قراءها والدارسين والمؤلفين على نموذج من التآليف القديمة ، والطريقة التي اتبعها مؤلفه في

---

(١) لمسكويه عدة كتب في الفلسفة والتاريخ منها : تجارب الأمم ، تهذيب الأخلاق ، آداب العرب والفرس ، انظر : زيدان : (السابق) ج٢ ، ص ٦٢٧ ، ٦٢٨ .

(٢) انظر : (الباب الأول) (الفصل الأول) عن البرقوقي (شروحه وتحقيقه للتراث) .

(٣) مقدمة باب (صحائف مهجورة) ع١ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٤١ .

عرض المادة ، وأسباب اختياره لهذا النوع من التأليف ، كما أنها بهذا الكتاب تضع نموذجاً أمام المقلدين والسائرين على نهج أسلافهم من غير أن يجددوا في نتاجهم الأدبي ، وكأنهم يعيشون أزماناً غير أزمانهم ، فضربت لهم مثلاً بأحد هؤلاء القدماء الذي كان مجدداً في زمانه بنوع من التأليف لم يسبقه أحدٌ إليه ، إذ استطاع أن يلم أشتات المعاني التي في كتب الأدب ، أو ما تلقاها من شيوخه ؛ وتصنيفها في كتاب واحد متبعاً أسلوباً راقياً في التنظيم ؛ إذ قال أبو هلال : ((والذي حداني على جمع هذا النوع أيضاً أني لم أجد فيه كتاباً مؤلفاً ، ولا كلاماً مصنفاً يجمع فنونه[1] ، ويحوي ضروبه ، ورأيت ما تفرق منه في أثناء الكتب وتضاعيف الصحف غير مقنع يشفي الراغب ، ويكفي الطالب ، فجمعته ههنا ، وأضفت إلى كل نوع منه ما يقاربه من أمثاله ، وما يجري معه من أشكاله ... وجعلته نظماً ونثراً وخبراً وشعراً لأبعث به نشاط الناظر ، وأجلو به صداء الخاطر ... وجعلته اثنى عشر باباً ...)) .

أما كتاب " السعادة " فقد كان يحمل الطابع الفلسفي ؛ الذي يوضح مدى تأثر كاتبه بالفلسفة اليونانية وبكتّابها أمثال أرسطو طاليس ؛ الذي خصص له مسكويه آخر الكتاب للحديث عنه وعن مؤلفاته ؛ وعن تقسيمه لأنواع السعادة[2].

وتعمدت " البيان " طرح هذا الكتاب كاملاً ، لأن صاحبه مثّل الشخصية العلمية العربية المتوازنة . فلم يكن مجرد ناقل أو مقلد لآراء من تأثر بهم من فلاسفة

(١) نشرت " البيان " من كتاب " ديوان المعاني " الجزء الخاص بالمديح من الباب الأول .

(٢) لقي محقق الكتاب الشيخ (البرقوقي) العناء في إخراجه ، لما وجده بحالة سيئة من التصحيف والتحريف ، فبذل جهد المقل - على حد قوله - ولم يصل إلى الحال الذي يطمئن له ، وقد نقله نقلاً كاملاً وأسماه (رسالة)

اليونان ، بل كان له من ذاتيته وثقافته وأصالته ما جعله يعرض في كتاب «السعادة» فكره العربي الإسلامي ؛ الذي يرتقي بالإنسان ؛ ويوصله إلى معنى السعادة الحقيقية ، وقد تميز الكتاب بالسهولة والوضوح في طرح الأفكار ، يقول مسكويه :

((ومن هذه الأشياء التي عددناها ما يجوز أن يسمى على المجاز ، ومنها ما هو سعادة على الحقيقة ، ومنها ما هو مظنون سعادة ؛ وليس سعادة البتة . وذلك أن ما كان منها عاماً للإنسان والبهائم فليس سعادة لنا ؛ لأنها ليست غايتنا وكمالنا من حيث نحن ناس ؛ وأما ما كان خاصاً بالإنسان من حيث هو إنسان ؛ فيجوز أن يسمى سعادة ... ويمكن كل أحد أن ينال منها ويحظى بها بقدر رتبته من الإنسانية ، ومقدار شعوره بالحسن والقبيح ، وتحصيله لمنازل الفضائل والرذائل ... (وأما) السعادة الخاصة بحسب إنسان إنسان ؛ فهي التي يختص بها صاحب علم أو صناعة فاضلة ، ويتفاوتون فيها على قدر مراتبهم ... فإن سعادة الطبيب الماهر ؛ ليست سعادة الكاتب الحاذق ، وسعادة العالم بفنون كثيرة ؛ ليست سعادة العالم بفن واحد))[1] .

ولعل " البيان " أرادت من نشر ذلك الكتاب أن تبيّن لأبناء جيلها أهمية عملية التأثر والتأثير في العلوم والآداب بين الأمم ، وبأنها قديمة . فمسكويه من أبناء القرن الخامس الهجري ، وأحد الذين كانت لهم اهتمامات واسعة بقراءة الثقافات الأجنبية السائدة في عصره ، فأنتجت قريحته من خلال التمازج الفكري معاني جديدة ومفاهيم علمية وتربوية راقية .

ب ـ أمالي « البيان » :

لم تقتصر « البيان » على نشر بعض عيون التراث العربي ، سواء ما صدر على صفحاتها من الكتب المحققة أو في مطابعها ، وإنما خصصت باباً عنونته في

---

(١) ع٤ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص٦-٨ (مستقلة) .

بعض أعـدادها بـ (أمالي البـيان) ، وأحـياناً (أمالـي أدب) ، وهذه الأمالي أشـبه بكشكول جامع من المختارات النثرية أو الشعرية ؛ التي كانت تحتويها بطون الكتب القديمة وتتنـاثر في ثناياها ، فجمـعت " البيـان " ما رأته مناسبـاً وموافقـاً منهجـها ، وذلك لعدة أهداف رمت إليها :

١ - ليكون من هذه المختارات أدب للناشئة ، فيتـعلمون عن طريـق عرض نماذج من الفنون الأدبية الرفيعة المحاكـاة الأصيلة ، وبذلك تتولد في نفوسهم النظرة الشريفة لأدبهم العربي ، فيسيرون على هذا النهج ، ولا يحيدون عنه[١].

٢ - تقـوم " البـيان " من خـلال هذه المختـارات بتـحقـيق التـوازن النفـسي للقارىء والناشئ العربي مقابل عرضها مـختارات لآداب الثقافات الأخرى ، حتى لا يؤثر جانـب ثقافي على آخـر ، وبذلك تجعل أبناء أمتها يستمـدون ثقافـتهم من نهرين ، فـقالت : ((لا والله لن تغـني عنكم آداب الأغيـار مـا لم تبتنِ على أدبكم الذي به تعتزون))[٢] .

٣ - أرادت « البـيـان » بهـذه الأمـالي أن تكون مـغنيـة لـلقـراء عن شـتى الكتب ومطولات الأسفار ، لصفتها الجامعة .

٤ - أن يجـد قارئ « البـيان » من سيـر الماضين ما فـيه الفـائدة والمتـعة والثـقافـة الفكرية[٣] .

---

(١) مقدمة (أمالي البيان) ع٢ و٣ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ١٨٦.

(٢) (السابق) ص ١٨٧ .

(٣) (السابق) ٨٦ - ٧ .

أما أمالي « البيان » فتدور في ثلاثة محاور ، وهي :

أ ـ المختارات الشعرية .

ب ـ المختارات النثرية .

جـ ـ صور من النقد العربي القديم .

أ ـ المختارات الشعرية[1] :

نادراً ما كانت تعرض " البيان " على صفحاتها القصائد الطويلة ذات الأغراض المتعددة بل اكتفت بنشر المقطوعات الشعرية القصيرة المختلفة ، حتى يستجلي القارىء والناشىء المتمرس من خلالها آفاق الصورة الفنية ، التي فيها ثراء لفكره ، من حيث تعدد المعاني ، ومن ثمَّ التوسع بخياله والتحليق به إلى مدى واسع ، فقدمت مختارات شعرية قصيرة لجهابذة الشعر العربي في عصور قوته وازدهاره أمثال : ابن الرومي ، وأبي نواس والمتنبي والمعري وأبي تمام وابن المعتز ، ومنها قول ابن الرومي :

لذَوي الجدالِ إذا غدَوا لجِدَالِهمْ   حججٌ تَضِلُّ عن الهُدَى وتَحُورُ

وَهنّ كآنيةِ الزُّجاجِ تَصَادَمَتْ   فَهوتْ وكُلٌّ كَاسِرٍ مَكسورُ[2]

وكثيراً ما أكدت المجلة على أهمية الصياغة الفنية في الشعر ، من خلال بعض المقالات التي كانت تنشرها ، كمقالة (أمالي أدب) لمحمد عزت[3] ، الذي تحدث فيها عما قيل في طول الليل وقصره ، قال : ((وربما ضربوا صفحاً عن ذكر

---

(١) ذكر البرقوقي أن هذه الاختيارات منقولة من كتابه « ديوان الأدب » دون شرحها وشكلها وترتيبها . انظر : ع٦ ، س٤ ، ١٩١٥م ، ص ١٨٦ .

(٢) ع٢ ، س٦ ، ١٩١٨م ، ص ٥٩ .

(٣) زجّال مصري ، له ديوان جمع فيه طائفة من أزجاله ، توفي بالقاهرة عام : ١٩٣٢م . انظر : الزركلي : " الأعلام " ج٦ ، ص ,٢٦٧

العلة في طول الليل أو اليوم وقصره ؛ لأن الحال تقتضيها ، أو أن ذكرها من قبيل الإتيان بما لا يشك فيه مادام الإجماع على سرعة انقضاء ساعات السرور ، وبطء مرور مضاداتها واقعاً في النفوس . ومن ذلك قول امرئ القيس بن حجر الكندي:

ألا أيّها الليلُ الطويلُ ألا انْجَلِي   بِصُبْحٍ وما الإِصْباحُ منكَ بأَمْثَلِ

... وهذا معنى لطيف ظريف لم يتفق لكثير بعده ، أما بلاغة الأبيات فهي النهاية في الإبداع))[١] .

أيضاً تعمدت " البيان " انتقاء المعاني القائمة على غاية اجتماعية وأخلاقية ، وظهر هذا في وضعها للعناوين المختلفة للمقطوعات الشعرية المختارة ، كحب الوطن مثلاً ، وعاقبة الغواية ، وذم الغيرة ، وكتمان السر ، والبحث عن الجوهر ، ومما قدمته في المعنى الأخير ، وهو من المعاني الرائعة التي تشير إلى أن البياض يكمن في نقاء النفس والروح ، كالمسك الذي نافسه الكافور - رغم سواده - برائحته الأزكى، أبيات في (وصف الجارية السوداء) لابن قلاقس السكندري[٢] :

رُبَّ سَوداءَ وَهيَ بيضاءُ مَعنَى   نافَسَ المِسكَ عندها الكافورُ

مِثلُ حَبِّ العُيُونِ يَحسَبَهُ النّا   سُ سواداً وإنما هُوَ نُورُ[٣]

كما تدخلت « البيان » بالتعليق على بعض ما نشرته من الأبيات الشعرية ، ليتعلم الناشئة أهمية استخراج العظة والعبرة مما يُقرأ أو يُسمع ، والاستفادة من تجارب السابقين ، مثلاً ضد كتمان السر نقلت قول الشاعر :

---

(١) ع١ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ١٠ .

(٢) من شعراء الدولة الأيوبية ، ولد عام ٥٣٢هـ ، وتوفي سنة : ٥٦٧هـ . انظر : الأسكندري ، أحمد ، وآخرون : " المفصل في تاريخ الأدب العربي في العصور القديمة " ص ٣٠٤ .

(٣) ع٦ ، س٤ ، ١٩١٥م ، ص ١٨٥ .

ولا أكتمُ الأَســـرارَ لَكنْ أُنمّهـا ... ولا أَدعُ الأَسرارَ تَغلي على قَلبِـي

وإنَّ أَحَقَّ الناسِ بالسُّخفِ لامْرؤٌ ... تُقلّبـهُ الأَسـرارُ جَنْبـاً إلى جَـنـب

ثم قالت " البيان " : ((فما رأي القراء في هذا الشاعر الذي يحق لنا أن نشكره ، إذ أفهمنا أن الشعراء ، ومن إليهم من ذوي العواطف المضطربة ؛ والأعصاب المريضة ، لا يطيقون كتمان الأسرار))[1] .

ب ـ المختارات النثرية :

وكما عنيت " البيان " في اختياراتها الشعرية بالجانب الموضوعي والفني للنص المختار ، فقد كان ذلك أيضاً أسلوبها في الاختيارات النثرية ، إذ نشرت كل ما يحمل اللغة الأدبية الراقية ذات الأسلوب السهل الواضح مع قوة العبارة ، الذي لا تعقيد فيه أو غرابة أو إسفاف إلى درجة العامية ، إلى جانب المعاني الأخلاقية التثقيفية .

وفي هذا المقام أولت " البيان " نثر الجاحظ اهتمامها ، فعرضت بعض رسائله أمثال : (الحاسد والمحسود) و (فضل التجارة وذم عمل السلطان (الوظائف)) ؛ وذلك حتى يستقي الناشئة منها الأسلوب البياني الراقي ، وحتى يطلعوا على نموذج من الكتابة العربية الشبيهة إلى حد ما بالقالب الفني للمقالة في العصر الحديث[2] . كذلك اقتطفت " البيان " لقرائها ألواناً من الموضوعات الأدبية المتنوعة لكتّاب آخرين ، فلأبي علي بن سينا (ت ٤٢٨هـ) قدمت (كيف يسوس الرجل زوجه) من غير الإشارة إلى مصدر الموضوع[3]. ومن مقامات بديع الزمان الهمذاني

(١) ع٨ ، س٦ ، ١٩١٨م ، ص ٢٢٤ .

(٢) انظر د. هيكل ، أحمد : (السابق) ص٧ ، ومجلة البيان : ع٢و٣ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ١٤٧ ، و (السابق) ع٤ ، ص ٢٥٥ وما بعدها .

(٣) ع٢و٣ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص ٦٩ .

(ت٣٩٨هـ) وصية التاجر أبي فتحة لولده منها قوله : ((والأكل على الجوع واقية الفوت ، وعلى الشبع داعية الموت ، ثم كن مع الناس كلاعب الشطرنج خذ كل ما معهم ، واحفظ كل ما معك))(١).

وبلغ اهتمام " البيان " بالنثر العربي أن عملت على تخصيص باب أسمته (طُرف أدبية) وهي مجموعة من الفكاهات ، اختارتها من مصادر الأدب والتاريخ العربي ، قدمته لتفكهة القراء ، منها حديث لأبي نواس (ت ١٩٨هـ) نقلته من ديوانه ، ونوادر لأشعب (ت ١٥٤هـ) ولأبي العيناء (ت ٢٨٣هـ) ، وبشار بن برد (ت ١٦٧هـ)(٢). وكانت تؤثر في هذا الجانب الحديث عن مكانة صاحب الفكاهة في التاريخ الأدبي ، ثم عرض بعض من نوادره ، من ذلك : ((جاء رجل بشار بن برد الشاعر الأعمى ، فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل بشار يفهّمه ولا يفهم فأخذ بشار بيده ، وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقول :

أعمى يَقُودُ بصيراً لا أباً لكُمُ   قد ضَلَّ من كانتِ العِمْيانُ تَهديهِ

فلما وصل به إلى منزل الرجل قال له : هذا منزله يا أعمى))(٣) .

جـ ـ صور من النقد العربي القديم :

عرضت « البيان » نماذج من النقد القديم ، مما يقوم في معظمه على ذوق الناقد وآرائه الذاتية ، فعندما اختارت الحديث عن أخبار السيدة سكينة بنت الحسين (ت١١٧هـ) رضي الله عنهما، مالت نحو الجانب الأدبي والنقدي لديها ،

---

(١) ع٢و٣ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ١٤٧ .

(٢) ع١٠، س١ ، ١٩١١م ، ص ٦٢٢ ، و ع١ ، س٥ ، ١٩١٧م ، ص ٧٨ ، و ع١ ، س٦ ، ١٩١٧م-١٩١٨م ، ص٣١ .

(٣) ع٧، س٦، ١٩١٨م ، ص ٢٢١ .

فنشرت حكاياتها ونوادرها مع الشعراء والمغنيين ، كسؤالها للفرزدق : ((من أشعر الناس ، قال أنا ، قالت : كذبت ، أشعر منك الذي يقول :

بنفسي مَنْ تَجَنُّبُهُ عَزِيزٌ   عَليَّ وَمَن زِيَارَتُهُ لِمَامُ
وَمَنْ أُمسِي وَأُصْبِحُ لا أَرَاهُ   وَيَطرُقُني إذا هَجَعَ النِّيامُ))[1]

أيضاً أطلعت القارىء على بعض الشعراء ومكانتهم الأدبية من خلال آراء نقاد زمانهم فيهم ، من ذلك ما قاله ابن أبي أصيبعة[2]عن الشاعر أبي الصلت أمية ابن عبد العزيز الداني الأندلسي (ت ٥٢٩هـ) بأنه : ((كان لطيف النادرة ، فصيح اللسان ، جيد المعاني ، ولشعره رونق))[3] ، أو ما أوردته " البيان " من كلمة لصاحب الأغاني (ت ٣٥٦هـ) في شعر ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ، وقد أطرت نقده وآراءه عن الشاعر ، ورأت بأن كلماته من أروع ما قيلت في الدفاع عنه وعن شعره ، وبأن الذين يطعنون في شعره لا يريدون إلا العلو على حساب أدبه ، وهم في ذلك يزدادون وضاعة[4] .

وفيما تقدم من عرض بعض النماذج لمختارات " البيان " من عيون التراث النثري والشعري ؛ كان تطبيقاً عملياً لمفهومها عن التراث ، مما أشرنا إليه في بداية هذا الفصل ، وبهذا " فالبيان " قادت حركة بعث وإحياء ونهوض ؛ بما أسهمت به في تقريب نماذجه إلى قراء العصر ، وكما تصدت لنشره والتنويه به وعن مكانته وخصوبته ، فإنها تصدت أيضاً للذب عنه ، والأخذ بيد الناشئة وشباب الأمة إلى

(١) ع٢و٣ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ١٩٥ ومابعدها .
(٢) هو الطبيب والمؤرخ أحمد بن أبي أصيبعة ، صاحب " عيون الأنباء في طبقات الأطباء " توفي عام ٦٦٨هـ . انظر الزركلي : " الأعلام ، ج١ ، ص ١٩٧ .
(٣) باب (مطالعات) ع٣ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ١٧٢ .
(٤) انظر : (السابق) ع١ ، ص ٥٦ .

مناصرة اللغة العربية الفصحى ، ومواجهة الدعوات المغرضة في محاولة عزلها ، والقضاء عليها ، وإحلال العامية لتكون لغة الكتابة والقراءة .

فأكملت « البيان » بذلك مسيرة مثيلاتها من المجلات الأدبية كبيان اليازجي مثلاً ، ولذا تم تخصيص فصل كامل يبحث في موقف « البيان » من الدعوات المؤيدة للعامية ، وتصديها لجريدة " الجريدة " وآراء مديرها أحمد لطفي السيد حول قضية « تمصير اللغة » التي أعدّها الأستاذ أنور الجندي : ((من أخطر المعارك التي واجهت اللغة العربية ، ومن أقدم المعارك الأدبية))[1] .

(١) « المعارك الأدبية في مصر منذ ١٩١٤- ١٩٣٩م » مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٣م، ص ٧٣ .

الفصل الثاني

موقف « البيان » من الدعوة إلى العامية

أولاً : تاريخ الصراع حول اللغة العربية الفصحى قبل « البيان » .

ثانياً : مجابهة « البيان » الدعوة إلى العامية :

أ ـ الدعوة إلى العامية دعوة انفصال عن الدين.

ب ـ بين « البيان » و « الجريدة » :

١ ـ حقيقة قضية « تمصير اللغة » .

٢ ـ مواجهة « البيان » للجريدة في قضية « تمصير اللغة » .

ثالثاً : طرق إصلاح اللغة عند « البيان » .

أولاً : تاريخ الصراع حول اللغة العربية الفصحى قبل « البيان » :

كتب كثيرون عن اللغة وما تعرضت له من سهام سامة وُجهت ضدها ، مما جعل التعرض لتاريخ هذا الصراع أمراً ضرورياً ، إذ كان للبيان موقف مشرّف من اللغة ؛ واجهت فيه أخطر معركة بينها وبين " الجريدة " لأحمد لطفي السيد حول تمصير اللغة ، فكان لها الدور الأكبر والأقوى دون الصحف السابقة . إذ وقفت في وجه التيار الداعي إلى العامية صراحة ، فاللغة عند " البيان " أداة الفكر والدين، والانفصال عنها فيه ضياع الأمة . وتمصير اللغة يعني انهدام العربية وشتات الوطن الكبير ، ولذا كان من المفترض إبراز موقف " البيان " من اللغة الفصحى ، وبأنها كانت امتداداً لما سبقها من الصحف ، وأنها أول المجلات الأدبية التي جابهت جريدة " الجريدة " .

ولقد تزامنت المعارك حول اللغة مع وجود الاستعمار في الوطن العربي ، الذي حاول غرس الإحساس بقصور عربيتنا عن مواكبة الحضارة ، وبأنها لن تستطيع أن تفي بحاجات العصر من مخترعات علمية وصناعية ومكتشفات طبيعية وكيماوية ولذلك – على حد ما يرى أنصار العامية – يجب الاستعاضة عنها[1] . وهذا الإحساس ما خطط له إلا لفتح هوة بين العربي ولغته ؛ وهدم الذات العربية المسلمة وجعلها تابعة .

وكان للعربية خصمان ، أولهما : المستعمر الخارجي . والآخر : أتباع المستعمر من أبناء العربية ، وأكثرهم من المسيحيين لتكون عملية الهدم أقوى . وقد نجح المستعمر في إشاعة روح النفور من اللغة العربية ، وصرف كثيراً من الطلبة

(٤٤) انظر : مقالة (اللغة والعصر) لليازجي ، " مختارات المنفلوطي " ص ٥٤ .

العرب عن دراستها - كما يذكر الدكتور محمد زكي العشماوي - فالمستعمر ما أتى بهذا العامل إلا ليفصل بين العربي وتراثه(1) .

أما أهم وسائل المستعمر ومن معه من المستشرقين والتابعين لهم فهي بصفةالعموم :

- التهجم على الفصحى ورميها بالعجز والقصور .
- تشجيع العاميات واللغات الدارجة .
- اتخاذ الحروف اللاتينية للكتابة دون العربية .
- إحلال لغة المستعمر محل لغة أهل البلاد .

وقد اتخذ المستعمرون الصحافة أداة لتحقيق أغراضهم ، لما لها من دور وتأثير على الرأي العام آنذاك ، وخاصة أن الجيل الماضي من القائمين على الصحافة كان له تأثير قوي على الجمهور ، وسيطرة على الصحافة(2) .

وأول من أثار هذه القضية من المستشرقين في العصر الحديث " ولهلم سبيتا "عام ١٨٨٠م ، فقد وضع بذوره المسمومة لتكون أساساً إلى الدعوة للعامية على يد بعض الصحف الشامية ثم المصرية ، حين دعا في كتابه " قواعد العربية في مصر " الذي أصدره باللغة الألمانية إلى اتخاذ الحروف اللاتينية وسيلة كتابة للعامية المصرية، متوقعاً فيه موت الفصحى . وما لبثت " المقتطف " عام ١٨٨١م أن نشرت مقالاً بتوقيع (الممكن) تؤيد دعوة سبيتا عندما لم تلقَ دعواه ذلك الصدى الواسع ، فرأى كاتب المقال الذي لم يشر لأقوال " سبيتا " أنه من الممكن كتابة

---

(1) انظر : " الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد " دارالنهضة العربية ، بيروت ، ص ١٢٢ - ٣ .

(2) الدسوقي ، عمر : (في الأدب الحديث) ج٢ ، ص ٤٢ .

العلوم بلغة الحديث الدارجة ، وبذلك استطاعت " المقتطف " أن تشعل فتيل القضية[١] .

ثم توالت بعد ذلك عدة محاولات من الاستعماريين للقضاء على الفصحى، وعزلها عن لغة الكتابة والقراءة . وقد واتتهم هذه الفرصة لتقوية دعوتهم بعد نكسة ثورة عرابي وحدوث الاحتلال الإنجليزي على أرض مصر . ومن هؤلاء " كارل فولرس الألماني " وكتابه " اللهجة العامية الحديثة في مصر " فوصف العربية بالجمود والصعوبة وشبهها باللاتينية ، ثم تبعه " ويلكوكس " فألقى محاضرة نشرت في مجلة " الأزهر " عام ١٨٩٣م وعنوانها : (لما لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين إلى الآن ؟) وقد أوعز هذا الأمر إلى اتخاذ الفصحى لغة كتابة ، فدعا إلى التأليف بالعامية لأن الفصحى - على حد قوله - لغة ترف ذهني ولا تصلح أن تكون لغة علم وإبداع ، كما أنها لغة عزلت الجماهير الكبيرة عن محاولات الفعل والخلق[٢] .

وقد قامت عدة محاولات لإحباط دعوة " ولكوكس " ، منها إصدار مجلة علمية باللغة العربية الفصحى عام ١٨٩٣م ، وهي " المهندس " أخرجتها طائفة من المهندسين المصريين للأبحاث الرياضية والعلمية[٣] .

---

(١) شاكر ، محمود محمد : " أباطيل وأسمار " ج١ ، ط٢ ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٧٢م ، ص١٦١- ٤ .

(٢) شاكر (السابق) ج١ ، ص١٥٧، ١٧٠ ، العزب ، محمد أحمد : " دراسات في الأدب " مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ٩٠ .

(٣) د. الكتاني : (السابق) ج٢ ، ص ٧٦١ .

استطاع ولكوكس العودة عام ١٩٢٦م مرة أخرى ، حينما نشر رسالة ذات دعوة فارغة ، لترسيخ الإقليمية وانفصالها عن العربية ، بعنوان " سورية ومصر وشمال أفريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية " ، وقد تبعه سلامة موسى في آرائه . انظر : الدسوقي ، عمر (السابق) ج٢ ، ص٤٢-٤٣ .

ولا تخمد دخان خبيثة حتى تلحقها أخرى ، ففي عام ١٩٠١م ، ظهر المستر " ولمور " بكتاب أسماه " العربية المحكية في مصر " وكان فيه مؤيداً لكل ما قاله " سبيتا " ، محاولاً ترسيخ آرائه من جديد بشطط لا يخلو من تعسف وكذب[١].

ولقد كانت تلك الدعوات بمثابة القنبلة التي فجرت أقلام الكتّاب من بين مناوئ ومناصر ، فأثارت الجدل الطويل بين خصوم اللغة العربية وحماتها ، ففي عام ١٨٨١م عقب ظهور كتاب " سبيتا " ، كتب عبد الله النديم في جريدته " التنكيت والتبكيت " سلسلة مقالات في الدفاع عن اللغة بعنوان " إضاعة اللغات تسليم الذات " وجهها إلى الناطق بالضاد ، فسأله : بمَ تستبدل لغتك وليس لها مثيل ؟ إذ رأى أن اللغة هي الأم لكل العرب فجعلتهم أشقاء ، وهي سر الحياة ، والحد الفارق بين الإنسان والبهيم ، وبها يتعارف الإنسان مع أهله ووطنه ، ففقدانها يعني فقدانهم ، ومن خسر المواطن خسر الوطن ، فهي لغة الوطن والمعتقدات الدينية[٢] .

وكان الكاتب أمين شميّل (ت ١٨٩٧م) على النقيض من ذلك ، إذ واجه على صفحات المجلة ذاتها عبد الله النديم ، مدافعاً عن العامية محارباً الفصحى ، فقد رأى أن اللغة المحكية هي الأصلح لكتابة العلوم بها ، ونصح النديم بترك الفصحى ؛ لأن الوطنية عند أمين شميّل بالمعاني لا بالألفاظ يقول : ((أما هو الأجدر بك أن تترك هذه اللغة وشأنها التي لا تفيدك سوى حطة الشأن بعد تعب ونصب وجوع لا مزيد عليه ، وتختار لنفسك غيرها ... نعم إن في لغة قومك لذة

---

(١) انظر : شاكر (السابق) ج١ ، ص ١٦٧ .

(٢) انظر : د. حمزة : " أدب المقالة الصحفية " ج٢ ، ص ٣٨٣- ٤ .

ووطنية ، إلا أن الوطنيـة الحقة قائمة في المعـاني لا في الألفاظ ، في صياغـة حقوق الأفراد ، وإحكام العدل والتسوية))[1] .

وقـام أيضـاً جـرجي زيدان بالرد على " ولـكوكس " - لما قـاله في خطبـتـه الآنفـة الذكر - في مـجلة " الهلال " عـام ١٨٩٢م وعنوان مقـالته (اللغـة العربيـة الفصحى واللغـة العامية) ، وقد عارضـه فيها بشدة ، مؤكـداً له أن ما يصدق على اللغة الإنجليزية لا يصدق على العربية ، لأسباب كثيرة منها :

أن هذه الدعـوة تعني أن يخسـر العرب الجـامـعة العـربية ، فـالأقطار العربيـة تختلف لهجاتها العامية باختلاف الأصقاع ، ولا يخفى ما بين هذه الأقطار العربية من العلائق الأدبية والدينية والسـياسية ، فالعامية بدلاً من الفـصحى ؛ تعني حرمان كل قطر عـربي من فـائدة ما يكتبـه أبناء القطر الآخـر ، والفضـل يعود إلى القـرآن الكريم الذي حافظ على هذه الجامعة ، وأصلح ما فسد من الألسنة .

كما ذكر أن الدعـوة للعامية تعني إغفالاً لكل ما كُتب بالفصحى منذ ألف وثلاثمائة سنة ، وهي خـسارة لا تعوض مهـما قيل في الدعـاوى الكاذبة عن فائدة العامية في الكتابة[2] .

ولقد كـان لبيان اليازجي مـوقفٌ مشرّف من اللغة . إذ احـتج الشيخ إبراهيم على الذين رمـوا اللغة ، واتهـموها بأنهـا قاصـرة عن تأدية حاجـات عصـرها ، في سلسلة مقالات بعنوان (اللغة والعصر) ، ذكر فيها أن قصور اللغة ناتج عن أمرين :

---

(١) د. فياض : " الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب " ص ٢١٢ .

يُلاحظ أن أمين شميّل يناصر العامية ويكتب بالفصحى ، وهذا يـدل على تهافته وأمثاله على كل ما يقوله المستشرقون .

(٢) انظر : " مـختـارات جـرجي زيدان " دار التراث ، بيـروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، ص ١٨٨ - ٩٠ .

أولاً : أن الداء يقع في تخلف الأمة العربية عن حلبة الحضارة والمدنية ، مما أوقعها في مزلقة العجز ومصيدة الأعداء ، فاللغة ـ كما قال ـ مرآة لأحوال الأمة ، وصورة لتمدنها ، وسِجِّل حافل لكل ما فيها من علوم وصنائع وآداب .

ثانياً : إقراره بأن الهرم يصيب الأمة ومن الاستحالة أن يصيب اللغة ، فاللغة بأهلها ، تشبُّ بشبابهم وتهرم بهرمهم ، فالعربية الفصحى ما تزال : ((في ريعان شبابها ، وطور ترعرعها ، ففيها بقية صالحة لأن تجاري أوسع اللغات ، وأكثرها مادة)) ، وذلك لمزية عزّ أن توجد في غيرها ، ألا وهي الاشتقاق . فهي أكثر اللغات صيغاً وأبنية ، فضلاً عما فيها من تشعب طرق المجاز . والدليل على ذلك أن اللغة العربية في العصر العباسي استوعبت كل المصطلحات وألفاظ الأمم المفتوحة[1] .

ولليازجي أيضاً سلسلة مقالات في " الضياء " بعنوان (اللغة العامية واللغة الفصحى) اقترح فيها إنشاء جمعية لتعريب الألفاظ ، يتحمل مسؤوليتها رجال لهم دراية وخبرة واسعة في هذا الميدان[2] .

وشاركت مجلة " المنار " الإسلامية عام ١٨٩٨م في هذه المعركة أيضاً بمقالة عنوانها (صدمة جديدة على اللغة العربية) حاربت فيها دعوة «ولهلم سبيتا» باتخاذ الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية فقالت أنها : ((تقصيه [أي المسلم] عن لغة كتابه ودينه وأسلافه الذين يفتخر بهم ويباهي بعلومهم وآدابهم وتقطع النسبة بينه وبين مشاركيه في الدين واللغة))[3] .

---

(١) انظر : للمقال : " مختارات المنفلوطي " ص ٥٥ – ٥٨ .

(٢) انظر : مجلة " الضياء " ع١٢، س ٤ ، ٢٨ فبراير ١٩٠٢م ، ص ٣٥٦ .

(٣) المجلد الأول ، ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م ، ص ١٢٠ .

وفي عام ١٩٠٢م خرجت " المقتطف " ثانية في باب (التقريظ و الانتقاد) بمقالة عنوانها (العربية المحكية في مصر) مؤيدة فيها لكل الآراء التي دعا إليها المستشرقون ، وقضت بنشر العلوم والمعارف باللغة المحكية في مصر والشام ، والتجاوز في العربية بحيث تستوعب كل المعاني العامية . فقالت : ((ولكننا نطمع ونشير بالتوسع في اللغة المكتوبة ، حتى تدخل فيها كل كلمة محكية لا تقابلها كلمة فصيحة مألوفة سواء كانت الكلمة المحكية مما وضعه العامة أو نحتوه أو نقلوه عن لغة أجنبية))(١) .

وسرعان ما وجدت تلك المقالة هجوماً قوياً من أرباب الأقلام ، إذ رد عليها وناقشها الكاتب أسعد داغر (ت ١٩٣٥م) في مقالة نشرتها " المقتطف " أيضاً عام ١٩٠٢م ، بعنوان (اللغة المكتوبة واللغة المحكية) ، أشار فيها إلى أن الفرق بين المكتوب والمحكي أمر طبيعي في كل لغة ، بيد أنه في اللغة العربية أكثر منه في غيرها من اللغات الأخرى ؛ لأن اللغة المعربة بحكم حركات الإعراب وعدم إمكانية الاختصار فيها ، لا تناسب أن تكون لغة محكية ؛ لأن المتكلم يطلب الاختصار في حديثه اقتصاداً في الوقت ، فيستخدم في حديثه أقرب الطرق وأقصر التعابير ، وهذا لا ينطبق على الكلام المعرب ، والذي تحكمه طول المدة بسبب قواعدها الإعرابية(٢) .

وما سبق ذكره كان إجمالاً للمعارك التي تعرضت لها اللغة بين داعٍ للعامية ومناصر للفصحىَ ، ومن ثم أتت " البيان " فقدمت ضمن سلسلة متواصلة ما أبرز دورها في هذه المعركة ضد جريدة « الجريدة » كما سيُرى لاحقاً .

---

(١) مجلة المقتطف ، المجلد ٢٧ ، ج٢ ، ٢٢ شوال ، ١٣١٩هـ / ١٠ فبراير ١٩٠٢م ، ص١٨٧ومابعدها .

(٢) انظر : (السابق) المجلد ٢٧ ، ج٣ ، ٢١ ذي القعدة ، ١٣١٩هـ / ٣١ مارس ١٩٠٢م ص٢٥٩ ، ٢٦٢ .

ثانياً : مجابهة « البيان » الدعوة إلى العامية :

أ ـ لدعوة إلى العامية دعوة انفصال عن الدين :

انطلقت " البيان " في تصديها لدعاة العامية من المنهج القويم الذي اختطته لمسيرتها ، واعتدادها برابطة الدين ووحدة التراث العربي وأصالته ، فوجدت في هذه الدعوات محاربة للإسلام وأهله وفكره .

فالدعوة للعامية واتخاذها أداة كتابة وتحدث – لدى البيان – يعني هدم كل ما ورثه أبناء أمتها ، وكل ما له صلة بهم ، والشك بكل موروثاتهم . فالبيان آمنت بأن الفصحى أداة فكر ، ولذا أقرت في منهجها اتخاذ الأساليب البيانية ؛ لتكون لغة الكتابة والفكر الإنساني لكل عربي ومسلم ، والأديب عليه أن ينطلق من هذا الموروث حتى لا يفقد هويته .

وقد تصدت « البيان » لهذه الدعوات منذ سنتها الأولى ، فنشرت عام ١٩١١م ، مقالة بعنوان (النقد والمناظرة روح اللغة وروح الدين) للإمام محمد عبده – رحمه الله – لتكشف مدى زيف هذه الدعاوى ؛ والتي اتخذها الاستعماريون أداة لتشتيت أبناء الوطن العربي ، وتبعهم صغار النفوس من أبناء الجنسية العربية ، ممن تربوا في أحضان الغرب ورضعوا من أفكارهم دون تميز ، وهم من أجهل الناس باللغة العربية الفصحى والتراث العربي الإسلامي ، وقد وصفهم الإمام بأنهم ناشئة خفاف الأحلام ضعاف الأقلام ، فمنذ درجوا من بيوتهم ، لم يعرفوا من اللغة إلا ما أظهرته السابلة ، وأبطنته الحوانيت ، ولم ينالوا من المدارس غير كراسة الإنشاء[1] .

---

(١) ع ٨ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٥٢٥.

ثم أشار الإمام إلى أن ركن اللغة الفصحى قد تعاورته قبل ظهور تلك الناشئة معاول كثيرة ؛ وأقربها إلى عهده قلم القاضي " ولمور " الإنجليزي . فقال الإمام عن دسائسه : ((ذلك الرجل الذي ما أحسبه اقتلع قلمه المسموم إلا من بين أنياب الشيطان ، فقد أراد أن يمسخنا مسخاً ، وينسخ شريعتنا نسخاً ، ويدع شيوخنا في المكانة اللغوية (كمشايخ الحارات) وفتياننا في الرطانة البربرية كخدم (البارات)، ولكم رأينا بعد ذلك من مثله ولموراً مصرياً ، لم يجن عليه إلا نقص تعليمه وضعف تقويمه ، فأمسى حرباً على الحق ، ولكنه أصبح وحده المخذول فيها))[١] .

وقول الإمام فيه إشارة إلى الذكاء الماكر لدى أمثال " ولمور " في الكيفية التي حاولوا بها تحقيق أهدافهم ، وهي تبدأ من أبناء العربية ، ومحاولة قطع صلتهم بتراثهم ، وغرس الشك فيما حولهم .

وكشفت « البيان » من خلال مقالة الإمام ـ رحمه الله ـ عن لب الدعوة للعامية واتجاهها السياسي باسم " الإصلاح اللغوي " والتي أرادت به جعل مصر بلداً منفصلاً عن العالم العربي بلغته وماضيه وحاضره ، وهذه الدعوة لن تنجح إلا إذا هاجمت كل القديم ، بل بتره وعزل المستقبل عنه في محاولة بناء حضارة تستمد فكرها من الغرب والحضارة الحديثة فقط[٢]. وقد صور الإمام ـ رحمه الله ـ بواطن هذه الدعوة ، وأشار إلى من مثّلها من أصحابها بقوله : ((فأولئك لا يطلعون علينا إلا كالجيش ، يظهر بعد الهزيمة فُلُّهُ ، ويذهب كُثره بالجد ، ثم يرجع بالخيبة قُلُّه ، وقد زعموا أنهم أُرسلوا إلينا بدعوة جديدة في الإصلاح اللغوي ، فإذا

---

(١) (السابق) ص ٥٢٦ .

(٢) مثّل هذا الاتجاه : أحمد لطفي السيد – كما سيتضح في الموضوع القادم. وانظر : د. الكتاني : « الصراع بين القديم والجديد في الأدب الحديث » ج٢ ، ص ٧٧٧ .

سألتهم : ما خطبكم أيها المرسلون ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ، يحتفظون بلغة يزعمونها لهم ؛ وهي لغة العرب ، ويحرصون على تاريخ ؛ هو تاريخ العرب ، ويتأدبون بآداب قديمة ؛ هي آداب العرب . وآية لهم أنّا نريد أن نجعلهم نبطاً مستعربين أو عرباً مستنبطين أو مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء؟))[1].

ويذكر الإمام بأنهم قد يتجرأون على أكثر من ذلك ، ويتطاولون بعد تمصير اللغة إلى الدين ، لأنه يعتبر أن اللغة والدين يقفان في ميزان واحد ، ويسيران في درب واحد . والدعوة للعامية هي دعوة للعزلة عن قراءة القرآن الكريم ودراسته ، ثم يقضي الإمام محمد عبده في هذه الدعوة ويحكم عليها بالاستحالة ؛ ليبين للذين يريدون لغة مصرية مصبوغة باللون المحلي ، أن هذا لن يكون إلا يوم يصبح للمصريين دين مصري[2].

ثم يتحدث عن أهمية التربية اللغوية وطرقها قائلاً : ((فلو توخينا هذه الأخيرة [اللغة] وسعينا لها سعيها على الطريقة التي تُربى بها الأمم ـ طريقة الروية والحزم والصبر الطويل الذي يعدل عمر جيل أو أجيال ـ لكان جزاؤنا منها موفوراً ، ولم يكن بيننا وبين ما نسعى إليه إلا جيل يسقط وتسقط معه تلك الفئة التي تستجهل أهل الفصاحة ، حتى يقوم الجيل الذي يشمئز من اللكنة وينتفي من عارها))[3] .

وعادت " البيان " لتؤكد موقفها الثابت ضد العامية ، بما نشرته للرافعي في مقالته (الرأي العامي في اللغة العربية الفصحى) والتي وضحت توافق رأيه مع آراء

---

(١) (السابق) ص ٥٢٥ .

(٢) (السابق) ص ٥٢٥ - ٦ .

(٣) (السابق) ص ٥٣٠ .

الإمام محمد عبده ، بأن محاربي اللغة الفصحى والدعاة إلى العامية هم من الجهلة، بل أجهل الناس بتركيبها وحكمة اشتقاقها ووجوه تصريفها ، هؤلاء بما تملكهم من عجز وعي عن كنهها في حاجة إلى استئناف تعلم العربية من جديد(١).

وأكد الرافعي في مقالة أخرى وعنوانها : (الجنسية العربية في القرآن) نشرتها البيان عام ١٩١٣م ، باستحالة تداول العامية وذلك لأن القرآن الكريم تنزّل من العرب منزلة الفطرة اللغوية ، التي يساهم فيها كل عربي بمقدار ما تهيأ له من أسبابها الطبيعية ، إذ كان بما احتواه من الأساليب ، وما تناوله من أصول الكمال اللغوي ، وما دار عليه من وجوه الوضع البياني ، قد هتك الحوائل ، ومحا الفروق التي تبين قرائح العرب اللغوية بعضها من بعض ، فاجتمعت منه على الكمال(٢). وقال : ((تلك سياسة القرآن في جمع العرب ، رأى ألسنتهم تقود أرواحهم ، فقادهم من ألسنتهم ، فلما استقاموا له أقامهم على طريق التاريخ ، التي مرت فيها الأمم ، وطرحت عليها نقائصها فكانت غبارها ، وأقامت فضائلها فكانت آثارها ، فجعلوا يبنون عند كل مرحلة على أنقاض دولة))(٣) .

ورأى الرافعي كذلك أن الدعوة إلى تمصير اللغة دعوة باطلة ؛ لأنها تدعو إلى عودة العصبية الجاهلية ، التي محاها الشرع بالرابطة الروحية ، فالقرآن الكريم ألّف بين قلوب المسلمين ، وساوى بين نفوسهم ، فلا جنسية إلا الجنسية العربية في القرآن(٤) .

---

(١) ع٩ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٥٤٩ .

(٢) (السابق) ع١٠ ، ص ٥٩٠ .

(٣) (نفسه) .

(٤) (السابق) ص٥٩٣ .

كما أكد في مقالته (الرأي العامي في العربية الفصحى) بأن كل ما دعا إليه دعاة التمصير سفه ، فالأمر أكبر من دعوتهم ، وذلك للأسباب التالية :

١ ـ الاتصال والآصرة العميقة بين اللغة وتاريخ الأمة ، إذ قال : ((اللغة مظهر من مظاهر التاريخ ، والتاريخ صفة الأمة ، والأمة تكاد تكون صفة لغتها ، لأنها حاجتها الطبيعية التي لا تنفك عنها ، ولا قوام لها بغيرها ، فكيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها ، وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية ، وانسلاخ الأمة من تاريخها ، واشتمالها جِلدَة أمة أخرى))[١] . ثم مثّل الرافعي لما قاله سابقاً بحال اللغة الهيروغليفية ، التي لم يبقَ منها جملة متداولة ، عندما لم يبق للمصريين شيء متميز من نسب الفراعنة[٢] .

٢ ـ إن الله عز وجل شاء أن يحفظ اللغة العربية أبد الدهر وإلى انقراض البشرية من على وجه البسيطة بفضل القرآن الكريم ، فكان الكتاب العظيم بهذه الميزة الجنسية اللغوية الموحدة لكل المسلمين ، على اختلاف أماكنهم وأجناسهم ، يجتمعون على لسان واحد[٣] .

٣ ـ استحالة العامية ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ غرس في نفس كل مسلم شعوراً نفسياً بقوة الصلة بينه وبين القرآن الكريم ، وهذا الشعور كفيل ببقاء العربية الفصيحة ، فقال : بأنه هو ((مادة العقل بل مادة الحياة ، وقد يكون العقل في يد صاحبه يضن به ويسخو ، ولكن ذلك النوع من الشعور في يد الله وهذا تأويل قوله سبحانه : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[٤].

---

(١) ع٩ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٥٤٧ .

(٢) (السابق) ص ٥٤٧ – ٨ .

(٣) (السابق) ص ٥٤٨ .

(٤) (السابق) ص ٥٩٧ – ٨ .

ب ـ بين « البيان » و « الجريدة » :

١ ـ حقيقة قضية « تمصير اللغة » :

تعد قضية " تمصير اللغة " ودعوة " الجريدة " إليها عام ١٩١٣م ، المتمثلة بشخصية مديرها أحمد لطفي السيد[1] ، من أخطر المعارك الأدبية ، وخاصة أنه في هذه المعركة يتمثل لنا موقفان متباينان ، كلاهما يمثل قمة الصراع الذي قام في ذلك الزمن ، بين مجلة " البيان " ودعوتها بأن تستمد الأمة العربية حضارتها من تراثها ، وبين جريدة "الجريدة " ودعوتها إلى التغريب والانفصال عن الماضي . وهذا ما ستتضح أبعاده وتفاصيله فيما سيأتي مع ذكر موقف " البيان " من هذه القضية .

والصحيفة ـ كما نعلم ـ تمثل اتجاهات أصحابها ، فمجلة « البيان » كانت تمثل التيار المحافظ ، وقد جعلت أس قوامها يقع ضمن إطار الجامعة الإسلامية ، وإن ابتعدت في منهجها عن الأحزاب السياسية ، إلا أن اتجاهها الفكري يدور حول هذا المحور . بيد أنها واجهت بما يملي عليها واجبها جريدة " الجريدة " في قضية

(١) ولد عام ١٨٧٢م ، حفظ القرآن الكريم وهو لايزال في العاشرة ، نبغ في حياته العلمية ، درس اللغة العربية ، وقرأ الفقه ، وأقبل على قراءة الكتب المترجمة ، التحق بمدرسة الحقوق ، ثم الحزب الوطني ، اعتزل السياسة بعد ثورة عام ١٩١٩م ، تولى عدة مناصب منها : أنه أول مصري عين مديراً لدار الكتب المصرية ، وتولى إدارة الجامعة ، ثم وزارة المعارف ... وأخيراً منصب رئاسة " المجمع اللغوي " حتى وفاته ١٩٦٤م .

وهو أول من ترجم لأرسطو طاليس ، وله كتابات ذاتية وتأملية ، وكان آخر كتاب له « قصة حياتي » انظر ، د . ضيف ، شوقي : « الأدب العربي المعاصر في مصر » ص ٢٥١ ، ٢٥٥ ، د . العزب : « عن اللغة والأدب والنقد » المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت ، ص ٢٠١ ، ٢٠٥ .

التسامح اللغوي ، التي اتخذت من الاتجاهات الفكرية أغراضاً عدة ، لتحقق بذلك مراميهـا السياسية ، فلم تكن دعوتها من أجل مصلحة اللغة ، إنما هي وسيلة ـ عند لطفي السيد وأتباعه ـ لضرب الجامعة الإسلامية ونشر آرائه وآراء حزبه التغريبية ، فقد نادوا بالجامعة المصرية في محاولة غرس الشعور بالوطنية الإقليمية منعزلة كلية عن الانتماء للوطن العربي والإسلامي . وهؤلاء استمدوا الفكر التغريبي العلماني في منهجهم ، الذي يقوم على المذهب النفعي من منطلق التحرر الفكري في كل ميادين الحياة ؛ ومجالاتها الثقافية والاقتصادية والسياسية ، فهم ـ حسب ما يدعون ـ يريدون قوة يحاربون بها الاحتلال لم تكن لدى المصريين ، وهذه القوة ـ من منطلق مذهبهم ـ يجب أن تكون خارجة عن سلطة الدين والقومية العربية(١) .

ولقد صفق الإنجليز بحرارة لهذا الحزب وأيده كل التأييد ، فاللورد كرومر كان راضياً عن حزب الأمة وذلك لأنه ـ كما يقول د. محمد محمد حسين ـ يمثل فكره ، فهو أول من دعا أن تكون مصر للمصريين ، فالوطنية عنده هي المصالح(٢).

٢ ـ مواجهة « البيان » للجريدة في قضية « تمصير اللغة » :

واجهت « البيان » آراء أحمد لطفي السيد وناقشتها وبينت وجه الخطأ فيها ، وقد ابتدأها البرقوقي الذي استعرض أولاً القضية عام ١٩١٣م ، باقتضاب ليكشف عن مثالب الدعوة . وقسّم البرقوقي هذه الآراء إلى شطرين :

---

(١) انظر : د. حسين ، محمد محمد : " الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر " ج١ ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٣٨١هـ ،ص ٧٨ ، د. المخ ، حبيب ، مقالة : (دور اللغة في تماسك شخصية الأمة) ؛ « دراسات في اللغة والحضارة » منشورات الحياة ، تونس ١٩٧٥م ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

(٢) د. حسين : (السابق) ص ٩٠

الأول : حول الأسلوب الكتابي ، والرأي أن يصوغ الكتّاب المصريون أسلوبهم باللون الأمي ، فيكتبون بلغة مصرية ، ليشترك في فهمها خاصة المصريين وعامتهم بدلاً من التمسك بأساليب العرب الأولين : أسلوب الشعر الجاهلي ، والقرآن الكريم ، وأسلوب كتّاب الدولتين الأموية والعباسية .

ويريد البرقوقي بذلك ما أشار إليه صاحب " الجريدة " بأمر المصالحة بين ذوق العامة واللغة الفصحى ، أما المتمسكون بقواعد الفصحى فهم في رأي السيد يحيون الإغراب في تركهم للمألوف المشهور ، مما سيؤدي إلى أزمة لغوية ، وإدخال التعقيد على البيان العربي[1] .

الثاني : ما دار حول المفردات ، وفيها دعا السيد إلى الأخذ بالمفردات العامية المصرية ، ومن جانب آخر طالب بنقل الأسماء الحديثة من لغاتها الأجنبية كما هي إلى اللغة العربية بعد تهذيبها ، بحيث لا تناكر الأوزان العربية[2] .

فتح البرقوقي بعد ذلك المجال أمام كل من أراد الرد على آراء لطفي السيد ، أو المجادلة فيها ، وكان ـ رحمه الله ـ متفائلاً بأن هذه القضية مصيرها الفشل . قائلاً : ((وقد يعرف قراء البيان ما أثارته يراعته الجبارة [أي لطفي السيد] ثلاثة أشهر حول " مسألة اللغة " و" الأخذ والرد " اللذين دارا بينه وبين معارضيه ، والشجار الذي استطار بين الفريقين وامتد ، ومع ذلك انتهى إلى حيث ابتدأ ، شأن كل مسألة يتنازعها. والمستقبل وحده هو الكفيل بفصل الخطاب «وحَلِّ الإشكال» فيها ... وقد رأينا أن من واجب " البيان " الذي أرصد نفسه للغة العربية وآدابها أن يخوض مع الخائضين في هذا الموضوع الهام))[3].

(١) انظر : لمقالات السيد (إلى الأمام في اللغة) و(في اللغة العربية) الجندي ، أنور : " المعارك الأدبية في مصر منذ عام ١٩١٤ - ١٩٣٩م " ص ٧٤ - ٧٧ .

(٢) انظر : ع٨ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ٤٠٥ - ٦ .

(٣) (نفسه) .

وبادر بالاستجابة إلى ذلك مصطفى صادق الرافعي في مقالة بعنوان (تمصير اللغة) نشرتها " البيان " في يوليو سنة ١٩١٣ م ، وقد بدأ فيها مستهزئاً بهذه القضية مفنداً أباطيلها بكل ما لديه من حجج ذات منطق وقوة(١) :

١ - قال الرافعي : إن ما أسماه أحمد لطفي السيد بالمصالحة بين الفصحى والعامية ما هو إلا تصور خارج منه بأنهما عدوتان ، فأراد الصلح بينهما حتى تكون الحرية للثانية وتهيم الأولى على وجهها ، حيث تخفف القواعد والضوابط عن اللغة العربية ، وما آراؤه إلا جملة من آراء بعض الفتيان ، حمية ومبالغة في الحفيظة لمصر ، والوطنية التي خُدعوا بها ، حتى أتى مدير الجامعة فتبناها(٢) .

٢ - كان الرافعي دقيقاً في تحليله لآراء السيد ، إذ بيّن خطورة دعوته إلى التسامح بين الفصحى والعامية من منطلق النظر إلى مقاصد قاعدة " التسامح والترخص " . فإذا أخذت بها مصر فإن كل أمة عربية ستطمئن لهذا المأخذ، وستأخذ بعاميتها كما فعل أبناء مصر ، والنتيجة هي سرعة فناء العربية ، كما أن التسامح في استعمال المفردات والتراكيب العامية ، يؤثر بدوره على الأجيال اللاحقة ، فتصبح هذه اللغة الفصحى ضرباً من اللغات الأثرية المحصورة في كتابها الكريم .

ثم يقول بأن هذه الدعوة أشبه بالقاعدة الاستعمارية التي تبدأ بالتسامح في أخذ الشيء القليل مما يقود إلى التسامح في كل شيء ، بل هو يرى أنّ آراء السيد

(١) قال أنور الجندي : ((ولقد وقف عبد الرحمن البرقوقي ومصطفى الرافعي لهذه الدعوة موقفاً حماسياً جريئاً حملا فيه لواء الاتهام مؤمنين بأن القضاء على اللغة قضاء على مقدسات الفكر العربي والإسلامي)) . " المعارك الأدبية " ص ٧٣ .

(٢) (السابق) ص ٤٠٦ - ٧ .

في قضية التسامح أخطر من الاستعمار الذي يستأصل الإنسان من الأرض ... لأن القتل يقضي على القليل من البشر مهما كثر عددهم ، بينما الاستعمار الفكري بدوره ينهي الأمة وهي موجودة على أرضها[1] .

٣ - استنكر الرافعي رأي السيد الذي يقول : إن إحياء العربية لا يكون إلا باستعمال العامية ، وذلك لعدة أسباب :

أولاً : إن اللهجات القديمة كلها تقيدت بلغة القرآن على الرغم من فصاحة أهلها ، وبلاغتهم ، وقوة نظرتهم إلى اللغة ، والقرآن الكريم قد ردّها إلى لغة واحدة وهي القرشية .

ثانياً : إن اللهجات العامية دائماً في حال متغيرة ، وأبناء القطر الواحد في مصر لا يفهمون لهجات بعضهم ، وذلك لبعد الشقة بين القرى .

ثالثاً : عدم معرفة اللهجة المصرية التي يؤخذ بها ليتابع العامة ما يكتب الكتاب ، فهل ستكون المتابعة بالفصيح أم بالعامي ؟ ويقول الرافعي في ذلك : ((وإذا حاولنا مذهب الإصلاح العامي فليت شعري من أي لهجة نأخذ ؟ وأي لهجة في مصر هي غير مصرية فننبذها ؟ وإذا ابتغينا بهذا الإصلاح استدراج العامة ليتابعوا الكتّاب والخطباء فيما يكتبون ويخطبون . فهل يتابعونهم على العامي وحده حين ينزل في الفصيح إذ يستمرئونه ويسيغونه حتى إذا عرض لهم الفصيح خالصاً أنكروه وغصوا به ؟ أم تكون المتابعة على العامي والفصيح جميعاً ؟))[2] .

٤ - يرى الرافعي أن الخطأ في تقدير قيمة اللغة ، والذي وقع فيه بعض الخائضين في أمرها أمثال : أحمد لطفي السيد ، أنهم ينظرون إلى الألفاظ لا إلى

---

(١) (السابق) ٤٠٨ - ٩ .

(٢) (السابق) ٤٠٩ - ١٠ .

معاني الألفاظ ، وإلى اللغة بالمفردات لا بالأوضاع والتراكيب ، بينما اللغات الراقية هي التي تمتاز بوجوه تراكيبها ونسق هذه الوجوه فيها .

٥ - أقر بضرورة وجود مجمع لغوي للقيام بنهضة اللغة ، فاللغة - على حد قول الرافعي - ليست كاملة في مفرداتها ، ولكنها وصلت إلى درجة الكمال - كما ذكرنا - في إحكام الأوضاع والتراكيب ، ولذا فإنه يضع اللوم على المختصين بأمر اللغة ، الذين أساء بعضهم إليها وهم يقصدون إحياءها ، إذ لا يخرجون في هذا العمل الجديد على قاعدة قديمة ، فكل عملهم لا يعدو تبديل لفظ بلفظ ، وحرف بحرف ، وهذا العمل مهما اشتدّ ساعد الجماعة عليه ، إلا أنه يُقدّر بعمل فرد واحد .. ولن تثمر منه فائدة للرقي باللغة .

٦ - تعجب الرافعي من آراء مدير " الجريدة " في إصلاح اللغة ؛ لأنه لا يمكن أن تبدأ التربية من آخرها ، فيسلك سبيل الضعف متوهماً فيه القوة . وذلك لأن جميع ما أُلف من الكتب كان ومازال بالعربية الفصحى ، فما الجدوى من العامية الضعيفة كأداة تأليف للأفراد والأمة وهم يقرأون بالفصيح ؟!(١) .

٧ - إن أمثال لطفي السيد ينظرون إلى الفرع ، فالعامية فرع وأصلها الفصحى ، وهذا من جهلهم ؛ لأنهم يحسبون الأصل فرعاً ، فالعامية التي يطالبون بها لن تصير لغة علم في تراكيبها وصيغها إلا إذا عادت إلى أصلها الفصيح ، فكلما ابتعدت عن الفصيح أصبحت لا وزن لها(٢) .

---

(١) (السابق) ص ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٥ .

(٢) اتفق المازني مع الرافعي حينما دعا إلى دراسة أصول العامية ، لأنه سيتبين حينئذ للباحثين أنه لا ثنائية في العربية بين عامي وفصيح ، وبهذا ستسقط الحجج الواهية لكل من دعا إلى اتخاذ العامية لغة كتابة ؛ بحجة أن العربية لغتين . انظر : د. العماري ، علي : « الصراع الأدبي بين القديم والجديد » دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٩٦٥م ، ص ١٩٨. ومجلة « البيان » (السابق) ص ٤١٦ .

٨ - كل آراء أحمد لطفي السيد وجماعته فاسدة ويستحيل تحقيقها ؛ لأن المنادين بتمصير اللغة هم من الشباب المتفرنج ، ناهيك عن إغفالهم للروح الدينية التي نشأ عليها المسلمون ، وهذه الروح قائمة على نفي العصبية الوطنية ، فالإسلام محا هذه العصبيات ، وما دعوتهم لتمصير اللغة إلا نوع من العصبية الحديثة باسم الوطنية، ولا تختلف هذه العصبية عن العصبية القبلية؛ وقد حرمها الإسلام ، فقال ((ولن تجد ذا دخلة خبيثة لهذا الدين إلا وجدت له مثلها في اللغة ، ، وإن كنا لا نقول بالعكس . فإن فينا من الفضلاء من يخطئ في الرأي ؛ أو يعجل به دون أن يطيل ترديده وتقليبه ... فلا سبيل لتمصير العربية ، واعتبار هذه العربية أصلاً لغوياً مجمعاً عليه ، إلا بتمصير الدين الإسلامي الذي يقوم على هذه العربية ، فإن بعض ذلك سبب طبيعي إلى بعضه . فمن كشف لنا عن الوجه الذي يكون به الدين مصرياً وطنياً ... وبصرنا بأسباب ذلك ونتائجه ، قلنا له أخطأنا وأصبت))[1] .

ولم تكتفِ " البيان " بعرض آراء ومقالات الرافعي ضد " الجريدة " ، بل عادت مرة أخرى لمحاجة لطفي السيد في العدد الأول من السنة السادسة بمقال ؛ لم يفصح عن اسم كاتبه ؛ بعنوان (كتّاب العصر) تطرق فيه صاحبه إلى دعوة لطفي السيد إلى تمصير اللغة[2] ؛ في زمن ترك فيه إدارة " الجريدة " وترأس (المجمع اللغوي) وذلك ليبين صاحب المقال أن ليس للسيد مبدأ يثبت عليه ، وإنما هو في تشدقه بالعامية تابع وليس بمتبوع ، ويعدّه رجلاً متناقضاً لعمله في المجمع بعدئذٍ .

(١) مجلة " البيان " (السابق) ص ٤١٧ - ٨ .

(٢) ربما تكون للعقاد ؛ وذلك لأن هذه المقالة أتت ضمن سلسلة مقالات نقدية متشابهة في أسلوبها ومضمونها ، ابتدأها العقاد بمقال ؛ عنوانه : (الأديب المصري) . انظر : ع٨ ، س٣ ، ١٩١٤م، ص ٤٥٥ .

قائلاً : ((وأعجب من ذلك أن يأتي مبدأ المجمع اللغوي الآن فينسخ مبدأ المصرية في اللغة ، الذي كان يجري من قبل في ذهنه ويصر عليه ، ويناضل عنه ، ويفسد به أساليبه السلسة المائية العذبة ، ليبدي للقراء أنه قد أنفذ فكرته على رغم أنوفهم . ولعمري أن تغيير المبادئ بهذه السرعة أمرٌ يبعث على الدهشة ، ويدعو إلى الريبة ، وما نعلم له شبيهاً في كتّاب الغرب وعلمائه وفلاسفته ، بل رأينا الكاتب منهم يطّرد في مبدأ واحد ، فلا يزال يجري به إلى الأبد ، حتى يعرض به يوم يُعرض الناس جميعاً))[1] .

ويصرّح كاتب المقال بأن عدول أحمد لطفي السيد عن مبدئه أجدى له ، وخير لقرائه الذين عشقوا أسلوبه في الكتابة ، وذلك لأن الألفاظ العامية تذهب بجمال كتاباته ، وتفسد الأثر الذي تحدثه الفكرة المبسوطة للقارئ ، وإن أتت فهي متكلفة . فالسيد كاتب شاعر ورجل يبحث عن الكمال الإنساني من خلال المثل العليا التي ينشدها ، وهذا يتطلب من ثمّ أسلوباً فاتناً ، وعبارات تهز القلوب ، وتستهوي الأذهان ، أما ما يناشد به من الدعوة للعامية ، فذلك لغة السوق ، وأساليب الشارع ، التي تحط من الفكرة والصورة الفنية ، لأنّ ((لغة الحياة العمومية لا تزال تحمل جميع أعراض الحقارة التي لا يخلو منها عنصر واحد من العناصر الأولى المكونة لحياتنا الحاضرة . ولابد مع ذلك أن يكون الكتاب والشعراء والمفكرون في طبقة أسمى من الحياة نفسها التي تحوطهم ، بل يجب أن تكون لهم لغة غير لغة الناس ، لأن لهم أذهاناً أصفى من أذهان الناس ، وليس في لغة الحياة الحاضرة شيء يصح أن نأخذه عنها ، ونقتطفه ليكون تطرية لأساليب الأدب ، وزينة للكتابة والشعر))[2].

(١) ع١٤ ، س٦ ، ١٩١٧ - ١٩١٨م ، ص ٧ .

(٢) (السابق) ص ٧ - ٨ .

ثالثاً : طرق إصلاح اللغة عند « البيان » :

كان للبيان موقفها الثابت في الرد على المناوئين ضد اللغة الفصحى والمنادين بالتمصير - كما ذُكر سابقاً - لمعرفتها بعمق خطورة هذه الدعوة على العالم الإسلامي كله ، فكان لابد أن يصاحب موقفها هذا - في جميع المقالات التي نشرتها - تصور واضح ، ووعي بالوسائل الصحيحة، التي تؤدي إلى إصلاح اللغة ، وتحقيق مواكبتها لتطورات العصر وعلومه . فمن ذلك :

١ - إنه لابد من الإقرار بارتباط اللغة بالدين ، وترسيخ ذلك في أذهان الناس، وذلك لأن فقدان روح اللغة ؛ ما هو إلا تابع لفقدان روح الدين عند بعض المسلمين ، وهذا ما ركزت عليه مقالة (روح اللغة وروح الدين) للإمام محمد عبده ، حينما نقل الحوار الذي دار بينه وبين أستاذه محمد محمود الشنقيطي ، إذ شكا الإمام فيها من أن المصيبة أصبحت في الفتية الصغار (النابتة) أكثر شراً من المصيبة في (الجذوع القديمة) وهم الشيوخ ؛ لأن الأخيرة لا تنخر إلا في زمن طويل، أما مصيبة النابتة فمصيرها القصف السريع . فالفتية لا يكتفون بهجر اللغة العربية الفصحى وآدابها والانسلاخ منها ، بل ينقلبون حرباً عليها وعلى أهلها[١] .

وقد اتفق الشيخ الشنقيطي مع تلميذه بأن كره اللغة العربية نشأ عند (النابتة) وهم الفئة المفتونة نتيجة لإهمال الجانب الديني ، قائلاً : ((فلو عرفوا أن دينهم يقوم بالكتاب والسنة ، وأنهما عربيان ، وأن عربيتهما نمط عال ، لسموا إلى هذا النمط ، ولكان من اندفاع رغباتهم إليه بالدرس والبحث والتنقيب على آثار العلماء ... فإن نهضة الشرق لا تكون إلا بالجنسية الإسلامية الصحيحة ، وأساسها الدين وكتابه . ولكنهم فقدوا روح الدين ، ففقدوا معه روح اللغة ..))[٢] .

---

(١) انظر : ع ٨ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٥٢٩ .

(٢) (نفسه) .

كما أكد هذا المبدأ أيضاً الرافعي في مقالته (الرأي العامي في اللغة العربية الفصحى) داعياً فيها إلى التمسك بالجنسية العربية ، بعدما نشأ فتية مسلمون نشأة المستعبد الرقيق على أراضيهم جراء الاستعمار ، فقال : ((وإن غنماً لهم [أي الناشئة] أن تحرص على ما بقي من جنسيتنا العربية ، وأن نشعب لحفظ هذه الصلة، وتوثيق تلك العقدة بيننا وبين أسلافنا ، ونمد من ذلك سبباً إلى حاضرنا ثم إلى مستقبلنا ، فلا يكون في تاريخنا اقتضاب ولا بتر))[1] .

٢ ـ العمل على يقظة الإحساس والشعور بقيمة ما ملك الأسلاف من كنوز علمية . وهذا ما أكد عليه الإمام محمد عبده ، ولن يكون ذلك إلا بإحياء التراث العربي وتحقيقه ، وإخراج الكتب المدفونة في الخزائن ، وجاء ذلك في حديثه عن كتاب " المخصص " الذي أظهره شيخه الشنقيطي ، إذ سأله في الحوار الذي دار بينهما : " هل تظن نشأنا الحديث يقبل على المخصص ؟ " فأجابه : بأن الفتية النابتة الحديثة ، وحتى الجذوع القديمة ، لن تقبل عليه ، وهو يقصد بذلك أبناء زمنه. ولقد علل الأسباب التي جعلته يظهر " المخصص " لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ويصبر على مضض مما يعانيه ، وذلك لثلاثة آمال :

١ ـ ألا يُفقد كما فقد غيره من الكنوز القديمة .

٢ ـ لعل في ظهوره الفائدة لمن أراد أن ينتفع به من أهله .

٣ ـ لعل به تنشأ أمة جديدة[2] .

٣ ـ الدعوة إلى دراسة البلاغة العربية من مصادرها القديمة ، وقد طالب بذلك الأديب فؤاد الخطيب (ت ١٩٥٧م) في مقالته (اللغة العربية)[3] . وكذلك

(١) (السابق) ع ٩ ، ص ٥٤٩ .

(٢) (السابق) ع٨ ، ٥٢٧ – ٨ .

(٣) انظر : ع٥و٦ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص١٨٣ .

الرافعي الذي أكد بأن دراسة البلاغة ستكشف عن زيف الدعوة للعامية ؛ لأن كل ما يطالب به دعاتها ، هي البلاغة العربية ذاتها ، وهذا من جهلهم بعلمها ، وقد علّق على ذلك بقوله: ((زعموا أنهم يريدون أن تسهل الألفاظ وتنكشف المعاني ، وتكون الكتابة في استوائها وجمالها كصفحة السماء ، فهل البلاغة العربية إلا تلك ؟ وهل هذا أمرٌ غير عربي ؟))[1] .

٤ - ضرورة فتح باب التعريب والاشتقاق والوقوف على أسرار اللغة ، لقدرتها على استيعاب كل المعاني دون أن يلحق بها أي قصور ، وهذا ما دعا إليه أيضاً فؤاد الخطيب في مقالته الآنفة الذكر قائلاً بأن النفور الذي أصاب الطلاب من اللغة كان نتيجة : ((تنطس بعض المتزمتين وسدّهم على اللغة أبواب التعريب والاشتقاق فحجروها في الحواشي وأقبعوها في المتون))[2] .

وقد سبقه الرافعي إلى ذلك بمقالة (الرأي العامي في العربية الفصحى) فأكد فيها بأن طرق تركيب اللغة والتفقه بأسرارها ، سيكشف عن معنى غير فاسد للإصلاح اللغوي ، والذي يطالب به دعاة العامية[3] .

هذا ، ولم يتوقف دور « البيان » عند نشر المقالات التي طالبت بضرورة التعريب والترجمة، بل أسهمت - هي أيضاً - في هذا المجال عن طريق الترجمة العلمية ، وذلك إما بنشر فصول من الكتب العلمية ، أو ما أظهرته على صفحات باب العلم ، الذي اختص بأخبار العلوم والفنون والمكتشفات الغربية ، سواء كان في الطب أم الزراعة والطبيعة والفلك ، وقد اتبعت "البيان" في الترجمة العلمية ما يلي :

---

(١) « الرأي العامي في العربية الفصحى » ع٩ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٥٤٦ .

(٢) (السابق) ص ١٨٣.

(٣) (السابق) ص ٥٤٩ .

١ ـ اتخاذ اللغة العربية السليمة الميسرة ، بلا تعقيد أو تكلف ، وتخير الألفاظ ، والمعاني الواضحة ، فلم تكن تنشر المطارحات العلمية بأسلوب تقريري جاف ، بل مزجتها أحياناً بأسلوب الحكاية ، لتطرد الملل عن القارىء ، وتشعره كأنه يقرأ قصة لا مطارحة علمية . كموضوع (عجائب الطبيعة) الذي كان أشبه بقصص الخيال العلمي . وقد استخدمت في ترجمتها لهذا الموضوع الألفاظ العربية مع الأسلوب السهل الواضح ، ولم تُدخل في الترجمة أي لفظ دخيل على اللغة . فمن ذلك الوصف التالي : ((ذهبت مع رفيقي الربان في أحد الأيام لزيارة هذه المعامل ... ورأينا المطاحن والمطارق والأزاميل تملأ الأغوار والكهوف ، والصفائح المطروقة توضع على موائد من نحاس ، وبعض المطارق كبيرة يبلغ ثقلها عدة أطنان ، فمتى وقعت واحدة منها على المعادن أثارت شراراً لامعاً ... ومتى أكمل العمل يغط المعدن المطروق في إناء عظيم مملوء ماء ، فيسمع له أزيز وزفير . ثم أشرت إلى الفوهة ، وقلت لصاحبي هذا هو المرجل الذي يحوّل الماء بخاراً ، فقال لي : نعم ، ونحن نحوّل منه أكثر من ستمائة طن يومياً))[(١)].

٢ ـ عربت المشهور من الألفاظ الأجنبية وليس الغريب على اللغة ، وأجرتها على الأساليب العربية مثل : سيوكولوجي ـ زمبلك ـ فسيولوجي ـ فونغراف ـ ميكانيكي ـ أوقيانوس . على نحو ما فعلت في بحث (الجسم والدماغ) للأمريكي توماس حنّا ، وفيه عربت كثيراً من الألفاظ ، بل كانت تعرب اللفظ وتترجمه في الوقت ذاته ، ككلمة (لجام القلب) منها قوله : ((وعمل الإرادة على العمل كعمل عصب النبض مع القلب لولا هذا العصب (أو الزنبلك) لكان القلب ينبض إلى أن يموت من كثرة النبض ، كالفرس الجموح تموت وهي في آخر

---

(١) ع٥و٦ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٣٥١ .

سرعتها . وعلماء الفسيولوجيا يسمّون هذا العصب " لجام القلب " فكذلك لابد للعقل من لجام . والعقل عبارة عن العمل الميكانيكي الناتج عن حركة الأعصاب ، أو هو حركة الفكر بعد عمل الدماغ))[1] .

وقد راعت مجلة " البيان " في جميع ما ترجمته جانب النحو ، وانسجام الأساليب العربية ، وطلاوة التركيب مع الدخيل من المعرب ، مما دلّ على اهتمامها بالأمر وعنايتها به ، إذ أنها عهدت بالموضوعات العلمية إلى مترجم خبير بالمادة العلمية المنقولة ، وبالمصطلحات المتصلة بها .

ومن هنا ينتهي الحديث عن موقف " البيان " من الدعوة للعامية . وقد اتضح في ثناياه أنها لم تكن مدافعة عنها فقط ، وثائرة ضد أوجه الاستعمار الفكري وآراء صاحب الجريدة ، بل أسهمت في طرح الحلول لإصلاح اللغة . وبهذا حقق البرقوقي ما أراده في منهجه من حماية اللغة ، لأنها عنوان تقدم الأمة ، والتفريط بنمائها يعني ضياعها ، والتضحية بأوثق رابطة بين أبناء الأمة العربية الإسلامية . ثم يتبع اللغة التاريخ ؛ لأنهما يشكلان حلقة وصل ، فالأمة التي تفرط بلغتها هي أيضاً تفرط بتاريخها ، وتتنازل عن وجودها ، فالتاريخ يقع في الدرجة الثانية بعد اللغة . وقد كان لمجلة " البيان " تصور ووجهة نظر خاصة بها في علم التاريخ ، أبدته في السنة الأولى ١٩١١م ، وعرّفه البرقوقي بعد ذلك في السنة الثانية بأنه لغة الحياة الصامتة[2] .

---

(١) (السابق) ع١٠ ، ص ٦٧٤ .

(٢) انظر : الفصل الخاص بـ (منهج البيان وأهدافها) موضوع (صلة الحاضر بالماضي) .

الفصل الثالث

مفهوم التأريخ لدى « البيــان »

١ - نظــرة « البيــان » للتأريـخ

٢ - أبواب التأريخ .

٣ - طريقة « البيــان » في التأريخ للإسلام .

١ - نظرة « البيان » للتأريخ :

ترى « البيان » أن التأريخ بوجه عام ؛ ملكة فطر الإنسان عليها ، فكل إنسان يعيش على الأرض هو مؤرخ ؛ لأن ذاكرته مشحونة بالأخبار والأتراح والأفراح ، كما ترى أن كل نفسٍ إنسانية دولة قد سُجّل في لوح ذاكرتها حظها من سعادة أو تعاسة ، بل جميع حالاتها على مر الزمن ، وأهم ما مر في حياتها من الشؤون السياسية سواء كانت داخلية أو خارجية ، ولذلك فوظيفة علم التاريخ في العصر الحاضر أجلّ قدراً من الماضي ، وذلك لأنه – في رأيها – لما كان الأقدمون أقل علماً وفلسفة وأكثر سذاجة وقوة خيال ، كان التاريخ عندهم مجرد سرد المدهشات واقتصاص الأعاجيب ، لا يتوخى في ذلك سوى التلذذ والتفكه ومتعة النفس وأخذ العبرة[١] . أما في العصر الحديث فتغيرت النظرة للتاريخ ، فأصبح علماً له قدره وتأثيره في أحوال البشر ، ووظيفته : ((التعليم في قالب حلو شائق))[٢] أو هو ((فلسفة تعلم الناس بالمثال والتجربة في أسلوب جميل))[٣] وكذلك رأت أن أكبر صفات المؤرخ أن يجمع بين ملكتي الخيال والحكمة ، أي يكون شاعراً وحكيماً معاً ؛ ليأتي كلامه فلسفة في صورة قصص خلابة حتى يأخذ بمجامع القلوب ، فإن استبدت فيه قوة الخيال خرج قوله خرافة ، وإن ذهبت به ملكة الفلسفة جاء كلامه نظرية ، وكلاهما انحراف عن المحجة[٤] .

(١) عرّفت " البيان " علم التاريخ بأنه : " علم معرفة الحوادث الجسام وما أثرت في البشر من أجل العلوم قدراً وأردها نفعاً " . انظر : باب (تاريخ الإسلام) (مقدمات) ؛ ع١ ، س١ ، ١٩١١م، ص ٢٢ . نشر هذا المقال غفلاً من التوقيع ، وربما يكون لصاحب المجلة البرقوقي وذلك لطريقة العرض والأسلوب في المقال .

(٢ - ٣ - ٤) (نفسه) .

وقد عابت " البيان " طريقة التأريخ التي اتبعها المؤرخون القدامى ؛ لأنهم قصروا حديثهم على أفراد بعينهم ، أو وصف المعارك . وتناسوا التأريخ للمجتمع الإنساني ، الذي تصفه " البيان " بأن منه يتدفق نهر الفكر وبحر الإنسانية ولا يهمه إن ((انتصر الجيش أو انهزم ونجحت المكيدة أو خابت ، كل ذلك عنده سواء ، وإن هنالك عالماً من الإنسانية يزهر وينضر ويثمر في شمس السعادة والرخاء ، أو يصوّح ويذبل ويموت في ظلمة البؤس والشقاء))[1].

و" البيان " بهذا ، تطالب المؤرخ باتباع طريقة مثلى في التأريخ ، بحيث يتغلغل إلى وصف المجتمع نفسه وتحليله ، وينصرف عن الاقتصار في التأريخ للأفراد ووصف الحوادث ، إذ رأت أنه ليس منه فائدة في تعديل وإصلاح المجتمع . وشبهت التأريخ بالساعة فمن يصف المجتمع يستطيع أن يرينا ماكينة الساعة ، أما من يتبع الوصف الخارجي والسطحي فلا يسمع إلا دقاتها[2] .

وأشبه مايكون بهذه النظرة الرومانطيقية التي ظهرت في الشعر العربي الحديث ، ونادى بها العقاد وزملاؤه ، وهي الاهتمام بالنفس الإنسانية في أبسط صورها وحالاتها ، أخذ فكرتها كاتب المقال وجعلها في التاريخ[3] .

---

(١) (السابق) ص ٢٣ .

(٢) (نفسه) .

(٣) انظر : الدسوقي ، عمر : " في الأدب الحديث " ج٢ ، ص ٢٤٦ ، ٢٥٧ - ٨ .

٢ـ أبواب التأريخ :

اشترطت " البيان " على المؤرخ أن يكتب تاريخاً نافعاً ، بيد أنه لا يستطيع أن يصل إلى هذا المستوى إلا إذا طرقه من جميع أبوابه ، وغاص في سائر وجوهه ، وتسرب إلى جميع مداخله ... ، فيجب أن يبتدئ أولاً من الوجه السياسي ، ثم الوجه الديني ، وهو أهمها عند " البيان " لأنها ترى أن إصلاح سريرة الإنسان وطهارة نفسه أهم من إصلاح جسمه ومظهره . وعليه فالبيان ترى أن المؤرخ الديني ((إذا أراد أن يبلغ الغاية أن يعدل بنظره عن مصطلحات الملل والنحل وظواهرها إلى أعماق سرائر الناس ، يستشفها من وراء أعمالهم وأقوالهم ، فيعلم في ارتقاءٍ هم أم في هبوط وانحطاط))[١] . ويليه الوجه الفلسفي ثم الأدبي والشعري ، وهو الوجه الذي يصور تأثر الإنسان ببدائع صنع الله عز وجل من مخلوقات ، وكيف أن تأثر الإنسان منوط بتغير الزمان والمكان ، وما لهذا الوجه من قدرة على التأثير في " النفوس والطباع رقةً وتهذيباً وتثقيفاً وتنويراً ، وما حدث عنه من التطورات والانقلابات والثورات "[٢]. والأدب بدوره يرتقي بروح الإنسان بجانب الفنون الأخرى ، ومن ثم يرتقي بالأمة ويهذبها إلى أن يوصلها درجة أكبر قد يقربها من الله . فالشعر يعرّف الناس ببدائع صنع الله (عز وجل) والأمة الخالية من هذا الفن هي أمة تعيش في سرادقات الجهل . ثم يأتي بعد ذلك دور الوجه التشريعي ، ثم الوجه الطبي والرياضي والفلكي والتجاري والصناعي .

وكل ما سبق إجماله من أركان التأريخ ، اشترطت مجلة " البيان " على المؤرخ أن يتبعها حينما يتعرض لتاريخ أمة من الأمم ، ويوفّيها حقها من البحث والتحليل ، وإلا فلن يكون هناك تاريخ وإنما أرقام وتقويم أيام[٣] .

---

(١) مجلة " البيان " ، (السابق) ص ٢٤ .

(٢) (السابق) ص ٢٥

(٣) (السابق) ص٢٥ .

٣ ـ طريقة « البيان » في التأريخ للإسلام :

كانت " البيان " تحث عند التدوين لتاريخ الإسلام على اتباع طريقة تجمع بين غرض فن التدوين وبين إصلاح المجتمعات الإنسانية ، وذلك يكون بذكر ((حوادث التاريخ الإسلامي كما هي وتوخي الحقيقة فيها جهد الاستطاعة وتذكير الأمم الإسلامية الحاضرة بماضيهم وما فيه من مجد وسؤدد وتدهور وانحطاط ، وما في ديننا من آداب عالية هي أرقى ما يصل إليه العقل البشري ، وما طرأ عليه من التحريف ودخل من التعاليم الفاسدة التي ليست من الحقيقة ـ علّ في ذلك ـ تذكرة لمن تذكر وتبصرة للمبصرين))[(١)] .

وهي في ذلك تعتمد على عشرة مصادر وأصول تبتدئ بالقرآن الكريم ، وتنتهي بميزان العقل ، والذي ذكرت بأن به يوزن غث القول وسمينه ، والمجس الذي يجس به صحيح المعنى وعليله .

ويبتدئ تاريخ الإسلام عند " البيان " من التأريخ لمؤسس النهضة الإسلامية العظيمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، والنظر في حياته السامية ، وأخلاقه الربانية ، وما جاء به من أحكام سماوية ، ثم بعد ذلك تتحول إلى تاريخ الأمم الإسلامية .

ولن تتطرق " البيان " لتأريخ الإسلام إلا بعد ما تتبع الطريقة المثلى فيه ، وما رسمته لنفسها حتى تُظهر عظمة الإسلام بين الأديان . وقد وضعت له ثلاث مقدمات ، فقالت : ((جعلنا لتأريخ الإسلام ثلاث مقدمات : (الأولى) في التاريخ وما هو ، (الثانية) في الأديان وتاريخها ، ونظرة فلسفية فيها ، (الثالثة) في العرب وقريش وصفة مكة وجزيرة العرب ، ثم كسرنا التاريخ بعد ذلك على

---

(١) (السابق) ص ٢٧ .

كتب ، وكل كتاب على فصول . أما طريقتنا في التاريخ الإسلامي فهي العمل بما أسلفنا القول فيه من شرح الشؤون السياسية والدينية والأدبية والفلسفية والتشريعية لكل عصر من العصور الإسلامية مع الإشباع والتطويل والتزام خطتي العدل والإنصاف))[١].

ومما سبق قوله يتبين ما يلي :

١ - رأت « البيان » أن يخرج المؤرخون من نطاق التأريخ لأفراد بعينهم إلى التأريخ للمجتمع الإنساني .

٢ - دلت « البيان » منذ وقت مبكر في حديثها عن علاقة علم التاريخ بالأدب على أحد المناهج النقدية وهو " المنهج التاريخي " ، ففي حدوده يتم الحكم على الأديب وخصائصه الفنية من خلال أعماله الأدبية .

٣ - اتبعت طريقة مغايرة في التأريخ للإسلام عما سبق ، ففيه يجب الاستناد إلى الحقيقة وميزان العقل والعدل ، وأهم مصادره القرآن الكريم وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، بيد أن « البيان » اكتفت فقط بما نشرته في السنة الأولى للكتابة عن التأريخ الإسلامي ولم تتابع فيما بعد الحديث عنه[٢] .

وإجمالاً لما تقدم في هذا الباب يمكن القول في ختامه أن « البيان » حملت على عاتقها مسئولية إحياء التراث وبعثه ، فشمل لديها عدة جوانب : الأدب واللغة والتاريخ والاجتماع والفلسفة .

---

(١) (نفسه) .

(٢) انظر : ما سيرد عن (المقالة التاريخية) في (الباب الرابع) الفصل الخاص بـ (الفنون الإبداعية المعاصرة في « البيان »)

فقدمت زاداً متنوعاً من المختارات النثرية والشعرية ، ودافعت عن اللغة الفصحى ؛ لأنها الهوية والكيان لأبناء الأمة ، وإحلال العامية بدلاً من الفصحى يعني قطع الصلة بكل ما خلفه أسلافنا من ميراث ضخم لا يعوض . فحماية اللغة كان واجباً عليها أداؤه خوفاً من هجرها والانسلاخ منها . كما عبّرت عن فلسفتها في الطريقة المثلى لكتابة التاريخ ...

و« البيان » بمواقفها تلك أسهمت في بعث الاحترام للتراث العربي الإسلامي في نفوس الناشئة ، الذي تربت عليه أجيال العشرينات وما بعدها ، كما أوجدت نوعاً من التوازن النفسي والإعلامي أمام المد الهائل من الثقافة الغربية وسيطرته على معظم صفحات الصحف السورية .

ورغم ذلك فقد كان موقف « البيان » من التراث موقفا وسطياً ، فمثلما اهتمت به ، كذلك أولت اهتمامها بترجمة مستحدثات العلوم والفنون من حضارات الشرق والغرب ، كما سيتضح في الباب القادم .

الباب الثالث

النهـــر المترجـــم

تمهيد

الفصل الأول

رؤية « البيان » لدور الترجمـة

الفصل الثاني

الفنون الإبداعية المترجمة في « البيان »

الفصل الثالث

الكتب والدراسات المترجمة في « البيان »

تمهيد

١ ـ عناية « البيان » بالترجمة الأدبية

٢ ـ الترجمة قبل « البيان »

١ـ عناية « البيان » بالترجمة الأدبية :

ظهرت مجلة " البيان " في مطلع القرن العشرين لتلبي حاجة اجتماعية وفكرية اقتضتها سنة التطور الأدبي في عصر سُمّي بعصر الترجمة ، فكانت إحدى أهم الصحف المساهمة بقوة في مجال الترجمة الأدبية ، بقدر اهتمامها بالموروث العربي . وبذلك حققت التوازن الذي تم التخطيط له في منهجها ، باتخاذها خطاً وسطاً يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، أو وصل الحاضر بالماضي ، وكان أهم أسباب هذا الاهتمام الخوف على النشء الجديد من أن يتخلى عن تراثه وهويته الإسلامية والعربية ، قال صاحب " البيان " : « فقد أصبنا الأمة متحللة من تاريخها ، منفصلة بحاضرها عن ماضيها ، ذاهبة في غير طريقها ، ورأينا من نشئنا من سدرت أبصارهم ، وسحر أعينهم زخرف الغرب ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم »(١) .

والبيان مثلما دعت إلى تأصيل مفهوم التراث العربي ، والنهل من معينه – كما أسلفنا – كذلك آمنت بدور الترجمة في ترقية المجتمع ونهضة الشعوب . وبيّنت ذلك لقرائها : بأنه لا ضير في استمداد أدب الغير لنماء الأدب العربي ، للاستفادة مما أنتجته عقول الآخرين لأننا ((نحن أمة من الأمم تستمد من التاريخ الإنساني ، لتعمر مكانها من هذا التاريخ))(٢). وبهذا ، استطاعت أن تثري الساحة الثقافية – إبانئذ – بمعطيات الثقافة الأجنبية المختلفة ، فجعلت مدار اهتمامها مختصاً أكثر بنقل الآثار الأدبية الفنية من شعر وقصة ورواية ومسرح ومقالة ، كما ترجمت بعض الفصول أو الموضوعات من كتب إنشائية أدبية فنية وأبحاثاً قيّمة في مجال العلوم الإنسانية والعلمية . وجميع ما ترجمته كان لكبار

---

(١) افتتاحية السنة الثانية ، مجلة " البيان " ع ١ ، س ٢ ، ص ٣ .

(٢) (السابق) ص ٨ .

رجال الفكر والعلم في العالم ، ممن استطاعت أعمالهم أن تغير مسارات الحضارة البشرية وتثريها ، وسيتضح ذلك في فصول هذا الباب وقد خصص للترجمة في " البيان " وأطلق عليه النهر المترجم ، وأريد منه إبراز دور " البيان " في خوضها عباب هذا النهر وهو الترجمة الأدبية(١) .

والترجمة الأدبية أوسع وأعم أثراً من أنواع الترجمات الأخرى ، بل وأصعب نوعاً من الترجمة العلمية ، التي تشترط مترجماً مختصاً في المادة العلمية المتصدي لترجمتها مع قوة اللغة وحسن الأداء ؛ والقدرة على اصطناع المصطلحات العربية المرادفة للمصطلح الأجنبي ، أما الترجمة الأدبية فتكمن صعوبتها في أنها عملية إبداعية ((تساهم كثيراً في إثراء الثقافة وفي تقدم المجتمع في النواحي الجمالية ، ولا تقل أهمية الإنتاج الجيد من هذه الترجمة عن المؤلفات الأصلية))(٢). ثم إنّ الهدف من ترجمة النص الأدبي إبراز الجانب الجمالي ، فالمترجم يواجه نصاً لأديب بث انفعالاته وإحساساته وأفكاره بلغة أدبية معقدة . والنصوص التي صاغتها يد شاعر أو ناثر موهوب ، قصد منها أن تكون عملاً أدبياً مثيراً وجميلاً . ولهذا تتطلب الترجمة الأدبية أن يكون مترجمها من أدباء العربية ، وأصحاب الأساليب فيها ، ملماً بأكثر من لغة أجنبية ، ضليعاً في مجال التأليف الأدبي ، أو أن يكون فناناً مبدعاً شاعراً أو ناثراً يملك حساً راقياً يجعله مدركاً لمكنونات اللغة

---

(١) انظر: حديث الأستاذ شحادة الخوري عن (دورالترجمة) في كتابه : « الترجمة قديماً وحديثاً » منشورات دار المعارف ، سوسة / تونس ، ص ١٨٢ .

(٢) د. عزيز، يوئيل يوسف، وآخرون: « الترجمة الأدبية: قسم اللغة الإنجليزية وآدابها للسنة الرابعة »، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومطابع مديرية دار الكتب ، جامعة الموصل ١٩٨١ ، ص٢٣ .

والتعابير الجمالية للنصوص التي يترجمها ، بل وقادراً على تقمص شخصية الكاتب الأجنبي وخياله وروحه إلى درجة التعايش مع الأثر الذي يترجمه[1].

وبعد :

فنجد أن باختصاص " البيان " بالترجمة الأدبية أصبح لها شهرة واسعة جعلتها صنواً لمجلة " المقتطف " أحد أشهر الصحف العلمية في هذا القرن . أيضاً باختصاصها في هذا المجال خدمت الأدب الحديث بأوسع وأكثر مما خدمته في المجالات الأخرى[2]. مما جعل الأستاذ أنور الجندي يعدها مدرسة في الترجمة إلى جانب " مدرسة الألسن " و " المدرسة السورية " و" المدرسة المصرية " . وهذا الأمر استلزم التوسع في هذه التوطئة لتشمل المدارس والصحف التي سبقت «البيان » في مجال الترجمة[3].

٢ـ الترجمة قبل « البيان » :

الترجمة حاجة وضرورة إنسانية ومعرفية لكل أمة تتطَّلع إلى التطور الحضاري ؛ لأنه مهما بلغ شعب من الرقي والتطور ومهما بلغت ذخيرته من التراث والفكر ، فلا غنى له عن نقل الآداب الإنسانية ، وعلوم الأمم الأخرى . فالترجمة هي مرآة لآداب الشرق والغرب ، ومن خلالها تتلاقح الآراء والأفكار وتخصب . والانعزال يؤدي إلى الجمود والتدهور . ولعله من نواميس الحياة أن يتم اتصال الحضارات عن طريق أهم وسائله وأنجحها وهو قطاع الترجمة[4].

(١) خورشيد ، إبراهيم زكي : " الترجمة ومشكلاتها " الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م ، ص ٤٣ ، الخوري : (السابق) ص ٦٩ ، ٩٨ ، انظر : د. أسعد ، سامية : (ترجمة النص الأدبي) ؛ مجلة " عالم الفكر " المجلد ١٩ ، ع يناير ـ فبراير ـ مارس ١٩٨٩م ، ص ٨٨٧ .

(٢) انظر : د . فياض « الصحافة الأدبية في مصر وأثرها في تطوير الأدب الحديث » ص ٤٧٥ .

(٣) انظر : « تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر » مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ص ١٧ ـ ١٨ .

(٤) حسن ، محمد عبد الغني : " فن الترجمة في الأدب العربي " الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ص ٨٢ ، الجندي : "تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص ٣ .

يقول الدكتور جمال الدين الشيال : ((ولهذا لا نجد الحضارة ـ من قديم ـ وقفاً على شعب واحد دون غيره ، بل هي كالوديعة يتناولها أبداً الشعب القوي ، فيزيد فيها وينميها ، حتى إذا انتابه عوامل الضعف والكلال أسلمها أمانة ـ أيضاً ـ إلى الشعب الذي ولد جديداً وفيه عناصر القوة الجديدة ، وهكذا دواليك))(١).

ولقد فهم أسلافنا هذا المعنى الحضاري جيداً ، فبدأت بواكير الترجمة النفعية للدولة الإسلامية منذ العصر الأموي ، وكان اهتمام العرب في عهد الدولتين الأموية والعباسية منصباً على ترجمة علوم الطب والفلك والفلسفة والجغرافيا والرياضيات والمنطق ، وقد عاشت الترجمة عصرها الذهبي في عهد الرشيد والمأمون ولاسيما الأخير ، الذي قام بإرسال بعثات من رجال يحذقون اليونانية لاختيار ما يرونه صالحاً من الكتب الإغريقية ، التي تستحق النقل إلى العربية . فأصبحت المكتبات العربية من جراء هذا النشاط زاخرة بكتب أفلاطون وأرسطو وكتب جالينوس في الطب .

أما الأدب فقد ضربوا صفحاً عن نقله من شعر ومسرح وقصص ، ماعدا القليل أمثال ترجمات ابن المقفع . ولعل هذا يعود إلى عدة اعتبارات ، منها : الدين، وخاصة أن أدب اليونان مليئ بالأساطير والوثنية التي تدين بها ، ثم عدم شعورهم بحاجة إلى بلاغة الأمم الأخرى ، وهم أصحاب بلاغة ولغة لا يوازيهم أحدٌ فيها ، فلديهم القرآن الكريم المعجز بلغته(٢). كذلك شعور العرب بعزتهم

(١) " تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية " دار الفكر العربي ، بيروت ١٩٥٠ ، ص٤.

(٢) أحال الأستاذ إبراهيم زكي خورشيد مسألة عدم ترجمة العرب للآداب اليونانية إلى عامل التذوق ؛ لأنهم كانوا في مرحلة الحاجة قبل اللذة والاستمتاع العقلي حيال المسرحيات والأساطير اليونانية . (السابق) ص ٢٥ .

وقوتهم جعلهم لا يأخذون عن غيرهم إلا بحرية واختيار . فكانوا لا يترجمون إلا ما يعود عليهم بالمنفعة ليعزز من قوتهم الفكرية والعلمية والحضارية .

وبعد ركود طويل مرّ به حال العالم العربي تيقظ العرب على عظمة الحضارة الأوروبية عندما غزا الأجنبي بلادهم في القرن الماضي ، فرأت الطلائع العربية المتطلعة إلى عالم جديد لأمتها ، أن المصلحة العامة تقتضي الاستعانة بعلوم الغرب وعلمائه وذلك عن طريق الترجمة ، وقد أصبحت حاجة وضرورة في العصر الحديث أكثر منها في ماضي أسلافهم في العصر العباسي(١) ... يقول علي أدهم : ((ولم تكن حاجة الإنسانية إلى الترجمة في مختلف عصور الحضارة بأقل من حاجتها إلى التأليف ، وربما كانت الحاجة إلى الترجمة في العصر الحاضر أشد وأقوى مما كان في العصور السالفة ..))(٢) ، وهذه الحاجة دعت إلى الاستهلال بالترجمة العلمية قبل الأدبية ، فكانت أول مؤسسة حكومية للترجمة " مدرسة الطب " أنشأها محمد علي باشا عام ١٨٢٦م ، ولا ينكر ما لهذه المدرسة من فضل في تطوير اللغة العربية في بواكير النهضة الحديثة لاستخدامها العربية لغة لتعليم الطب الحديث ، فجدّ مترجموها كثيراً في محاولة تذليل المصطلحات الغربية إلى العربية(٣) .

ثم كانت ثاني مؤسسة حكومية للترجمة " مدرسة الألسن " وقد ارتبط اسمها بمديرها رفاعة رافع الطهطاوي . وأنشأها ـ أيضاً ـ محمد علي باشا عام

---

(١) د. سابا يارد : " الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة " ص ٢٧ .

(٢) " على هامش الأدب والنقد " دار المعارف ، مصر ١٩٧٧م ، ص ٢٣٣ - ٤ .

(٣) زيدان : " تاريخ آداب اللغة العربية " ج٤ ، ص ٥٣٠-٥٣١ ، الإسكندري ، وآخرون : " المفصل في تاريخ الأدب العربي " ص ٥١٩ - ٢٠ .

١٨٣٥م بعد عودة البعثات من فرنسا ، وقد قامت من أجل تزويد المدارس بأحدث الكتب العلمية في أوروبا وقتئذ ، إلى جانب سعيها لتخريج عدد من المترجمين المهرة المتقنين للغة العربية ، إذ كان من أقوى أهدافها تطوير الكتابة العربية وترقية أسلوبه . فعمل أعضاؤها على تذليل اللغة العربية لوصف الحضارة الغربية ، ونقل علومها واستخدام التعريب أحياناً إذا أعيتهم الألفاظ الغربية مع تصحيح الأسلوب وصياغته صياغة عربية أصيلة(١) .

ومن أعلام « مدرسة الألسن » الطهطاوي ؛ وله عدة ترجمات في مختلف الفنون من كتب عسكرية ورياضة وهندسة وطب وأدب ، وأشهر ما ترجمه في هذا قصة «مواقع الأفلاك في وقائع تليماك» للأب فنلون الفرنسي (ت١٧١٥م)(٢). ومن أعلامها أيضاً صالح مجدي ، وعبد الله أبو السعود ، أما أكثرهم أثراً في مجال الترجمة الأدبية فهو محمد عثمان جلال الذي ترجم من الفرنسية أمثال لافونتين (ت ١٦٩٥م) شعراً في كتاب أسماه " العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ " وقد ضمنها كثيراً من الأمثال الشعبية ، كما ترجم لموليير (ت١٦٧٣م) رواية " ترتوف " وأسماها " الشيخ متلوف " ، وقد عيبت ترجماته بأنها أتت مصبوغة باللهجة العامية المصرية)(٣) .

---

(١) الجندي : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص ٢٧ ، د. الدسوقي ، سيد ، وآخرون: " الترجمة قضايا ومشكلات وحلول " ج٢ ، " تطور الترجمة " دراسات أعدتها بتكليف من المكتب مجموعة من خبراء الهندسة الاجتماعية ، مكتب التربية لدول الخليج ، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ٤٠ - ٤٢ .

(٢) ذكر الأستاذ عمر الدسوقي أنها أول قصة ترجمت إلى العربية في العصر الحديث : انظر : "نشأة النثر الحديث وتطوره " ص ٣٨,

(٣) الدسوقي ، عمر : " في الأدب الحديث " ج١ ، ص ١٣٦ .

واعترى " مدرسة الألسن " الضعف في عهد الاحتلال الإنجليزي ، فحولت عام ١٨٨٥م إلى مكتب للترجمة ، ثم مدرسة للمعلمين عام ١٨٨٩م لتعليم اللغة الإنجليزية لأبناء المدارس الابتدائية(١) .

ومن ثم أخذت الترجمة تخرج من نطاق الحكومة إلى نطاق الشعب ، فتحولت من الاتجاه العلمي الذي بدأه رفاعة ، إلى ترجمة الآداب ، كما اتجه بعضها إلى ترجمة القصص الرخيص المبتذل ، وقد سمح بهذا الانزلاق وجود المستعمر الإنجليزي الذي فرض سيطرته على مصر عام ١٨٨٢م ، وكان للسوريين وخاصة النصارى منهم في عهد إسماعيل باشا أثر في ذلك يقول جاك تاجر بأن : ((الترجمة كانت مقصورة حتى أوائل عصر إسماعيل على الكتب المدرسية . أما في هذا العصر فقد نشط المترجمون في ترجمة ما ليس له علاقة مباشرة بالتعليم والمدارس ... وكان الجمهور شيقاً إلى قراءة القصص المسلية ، ومشاهدة الروايات التمثيلية في أوقات الفراغ فأدى هذان العاملان إلى تنشيط ترجمة القصص التمثيلية وغيرها))(٢). ولقد استغل الشوام هذا الفضول لدى الشعب المصري ، فقدموا على المسرح الذي أتوا به من بلادهم روايات أجنبية ، بعضها بعيد عن الجدية والأهداف الفضيلة ، وبلغة معرّبة أو ممصرة لا تخلو من الركاكة(٣) .

وتأثرت الصحافة عامة بهذا النوع من الترجمة ، فتفاوتت الصحف الأدبية حسب مستوياتها في قبول هذا النوع من الترجمة ، فنجد أن ترجمة الأدب العالمي

(١) تاجر ، جاك : " حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر " دار المعارف ، مصر ، ص ١١٧ .

(٢) (السابق) ص ١٤٩ .

(٣) الدسوقي ، عمر : " في الأدب الحديث " ، ج١ ، ص ٤٦٢ ، الجندي : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص ٩ .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الكبرى ، كان قاصراً على بعض المتفرقات القصيرة من الشعر أو المقالات والقصص القصيرة ، وبعضها انزلقت إلى تملق أهواء القراء ومحاولة إرضائه ، فعمدت بعض الصحف إلى ترجمة القصص المثيرة المتصلة بالغرائز . فضلاً عن الحد الذي بلغته الترجمة من الاضطراب واختلاط التمصير بالترجمة ؛ إذ لم يكن المترجمون قادرين على فهم النص وأدائه باللغة الفصحى ، فكانت أساليبهم مهلهلة ومفككة ، بل تجاوزت الحد عندما جنحت بأذواق الشباب ومفاهيمه الموروثة من عادات وتقاليد ومبادئ دينية سامية جعلتهم ينصرفون عن هويتهم الإسلامية والعربية(١) . يقول جرجي زيدان مؤرخاً للترجمة في تلك الفترة : ((والروايات المنقولة إلى العربية في هذه النهضة لا تعد ولا تحصى وأكثرها يراد بها التسلية ويندر بها الفائدة الاجتماعية أو التاريخية أو غيرها ، على أنهم نقلوا بعض روايات ، أو أشعار : شكسبير ، ودوماس ، ومولبير ، وشاتوبريان ... وغيرهم))(٢) .

وقد اقتصرت ترجمة القصة في كثير من الأحيان على الأدب الفرنسي وحده آنذاك ، مما دعا إلى ظهور عدد كبير من القصص البعيدة عن الفضيلة ، وقد تبنى السوريون هذا النوع من الترجمة ، فأنشأوا صحفاً في مصر فتحت ذراعيها أمام هذه النوعية من القصص الرخيصة ، فظهرت مجلة " الراوي " لطانيوس عبده (ت ١٩٢٦م) والذي يُنسب إليه الانحراف في اختيار نوع القصص ، ورداءة ترجماته ، فكان يُعرِّب ولا يترجم ولا يتقيد بالأصل ، فالترجمة عنده لم تكن

---

(١) د. فياض " الصحافة الأدبية بمصر " ج٣ ، ص ١٤٣ ، الدسوقي ، عمر : «في الأدب الحديث» ج١ ، ص٤٦٦ - ٧ .

(٢) " تاريخ آداب اللغة العربية " ج٤ ، ص ٥٧٣ .

سوى أداء المعنى – كما قال عنه صديقه كرم ملحم كرم (ت ١٩٥٩م) – فأهمل ديباجة القول ، وعذره كسب الرزق ، ومعظم ما ترجمه من الفرنسية لم يكن من الروائع ، وإنما من القصص العام المتواني ، والذي لا يقاس بالأدب الرفيع[(١)] .

ومما اشتهر من الصحف بترجمة القصة : « سلسلة الروايات » ١٨٩٩م ، و«مسامرات الشعب » ١٩٠٤م ، لخليل صادق (ت ١٩٤٩م) . و« الروايات الشهرية » ١٩٠٥م ، والروايات الجديدة » ١٩١٠م ، لنقولا رزق الله (ت١٩١٥م) ، كذلك أصدر خليل بيدس (ت ١٩٤٩م) مجلة «النفائس المصرية» ١٩٠٨م ، فترجم فيها أنواعاً مختلفة من القصص التاريخية والاجتماعية والعاطفية. ويعد بيدس أول من نقل القصة الروسية إلى العربية لإتقانه هذه اللغة .

وإلى جانب المجلات الأدبية كانت الصحف اليومية تولي ترجمة القصص الفرنسي والإنجليزي اهتماماً كبيراً ، فظهرت مسلسلة في حلقات يومية في الجزء الأسفل من الصفحة الأخيرة لكل من هذه الصحف : " الأهرام " و " المؤيد " و"المقطم " و« النظام »[(٢)] .

وإزاء هذه الترجمة الرخيصة من القصص ، ظهرت ردود فعل مناوئة ضدها، على المستوى الفردي والجماعي ، والأخير منها مثلته الصحف الأدبية ، أما ما كان على صعيد الأفراد فقد تطلع به المثقفون والوطنيون إلى الإصلاح والاستقلال عن الاستعمار ، فترجموا في السياسة ، والأدب ، والنقد ، والإدارة ، والإصلاح الاجتماعي . فلم يمض العقد الأول من القرن العشرين حتى ترجم أحمد فتحي زغلول باشا كتابي " سر تقدم الإنكليز السكسونيين " للمفكر الفرنسي أدمون دي

(١) الجندي : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص ١٤ – ١٥ .

(٢) الجندي : (السابق) ص ١٦ ، ٢٣ .

مـونان ، و " الإسـلام خواطر وسـوانح " تأليـف هنري دي كاسـتـري[1]. كذلك ترجم أحمد لطفي السيد عن الفرنسية كتباً لأرسطو وهي : " الكون والفساد " و" علم الطبيعة " و" الأخلاق " وترجم الإمام محمد عبده للحكيم الإنجليزي هربرت سبنسر كتاباً في التربية[2].

أما في مـجال الأدب فقـد ظهرت أول محـاولة في القرن التاسع عـشر لنقل الشعـر إلى العربيـة ، حينما قـام جبـرائيل مخلع الدمشـقي (ت ١٨٥١م) بترجـمة "كلسـتان " السـعـدي من الفارسـية . كـذلك سليـمان البـسـتاني ترجم " إليـاذة هوميـروس " وطبعت بمصر عام ١٩٠٤م ، وخليل مـطران ترجم أعمالاً لشكسبير عن الفرنسية نشرت في الربع الأول من هذا القرن[3] .

أما الـترجمـة على صعيد الصـحافـة فقـد اضطلعت به عـدة مجلات أدبـية وعلميــة بما نقلت من فكرٍ راقٍ روت بـه ظمـأ القـارئ المثـقـف ، الذي ارتفع عن دهماء القـراء ، فظهرت حركة جـادة لترجمـة أفضل ما أنتجـه العقل الأوروبي في مجـالي الأدب والعلم ، قـامت على صحـة الاختيـار ، وحسن الذوق ، والمحـافظة على النص ، وسلامة الأداء اللغوي ، فمجلة " المقـتطف " كان تحريرها أغلبه قائماً على ترجمة المباحث العلمية الرصينة ، وإطلاع العالم العربي على آخر ما توصلت إليه تطورات العلم واختـراعاته في الغـرب ، وقد ساعد ذلك لأن يكون للمـقتطف دورها في وضع المصطلحات العلمية لأنواع العلوم المختلفة .

---

(١) شـارك البرقـوقي في تصـحـيح هذين الكتـابين ، انظر : البـاب الأول وموضـوع « آثاره المحـققـة والمنشأة » .

(٢) " الترجـمة قضايا ومـشكلات وحلول " ج٢ ، ص ١٨ ، خورشيـد ، إبراهيم زكي : (السابق) ص ٨١-٨٢ .

(٣) زيدان : (السابق) ج٤ ص ٥٧٢ .

وفي مجال الأدب ظهرت " المجلة المصرية " ١٩٠٠م لخليل مطران ، فنشرت ملخصات وفصولاً من كتب غربية ، وترجمت الشعر والقصة ، فبلغ أسلوبها في الترجمة درجة من القوة ، ومتانة السبك . كما كان لمجلة " الزهور " ١٩١٠م ، دورها في هذا المجال حيث خصصت باباً للترجمة واسمته (في جنائن الغرب) استمرت عليه طيلة حياتها ، فنشرت فيه تباعاً خير ما لدى الآداب الغربية قديماً وحديثاً ؛ لأن ذلك حسب ما رأى صاحبها يكسب اللغة العربية ثروة طائلة من المعاني الجديدة والمباني الحديثة(١) .

ثم برزت مجلة " البيان " لتكمل سلسلة التطور في مجال الترجمة ، فمثلما اشتهرت " المقتطف " بالترجمة العلمية ، اشتهرت " البيان " بالترجمة الأدبية – وكأنهما كفتا ميزان راجح ، لم يستطع الاستعمار أن يقف ضد توجهاتهما – إذ شدت من سواعد أبناء الأمة العربية عن طريق تغذية عقولهم ، بما يعود عليهم من صالح الاستقلال والحرية ، والخروج بفكر عربي متميز ، له القدرة على الاختيار ، لا التبعية لتحقيق رغبات المستعمر ، يقول الدكتور محمود فياض مشيداً بها : ((ثم ظهرت مجلة " البيان " لعبد الرحمن البرقوقي عام ١٩١١م ، فاعترفت بقدر الترجمة الأدبية وقيمتها ، وكانت فتحاً جديداً في تاريخ الترجمة الحديثة إذ نهدت إلى ترجمة الأدب الرفيع بأسلوب عالٍ ، وسمح لها حجمها الكبير أن تترجم أو تلخص طائفة من عيون الأدب الغربي ، وكانت بهذا من أحفل الموائد بأطيب الآداب الأجنبية التي تغني الأرواح وتقوّيها))(٢) .

---

(١) د. فياض : " الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب الحديث " ص ٤١٩ – ٢٠ ، انظر : الجميل ، انطون : (ما هي هذه المجلة) ؛ مجلة " الزهور " القاهرة ، ع١ ، س١ ، مارس ١٩١٠م ، ص ٧ ، وانظر : ما تقدم في التمهيد عن " الصحف الصادرة قبل البيان » .

(٢) « الصحافة الأدبية بمصر » ج ٣ ، ص ١٤٤ .

كذلك أشاد بدورها في الترجمة الأستاذ أنور الجندي فذكر : بأن " البيان " من أهم المجلات الأدبية عناية بالترجمة عن اللغتين الفرنسية والإنجليزية على مستوى عالٍ ورفيعٍ ، هيأت له أكفأ الأقلام أمثال : العقاد والمازني ومحمد السباعي وعباس حافظ ومحمد لطفي جمعة[1] .

ويتضح مما تقدم أن عملية الاختيار والتفضيل للفنون الثقافية الغربية تأرجحت بين الغث السمين والجيد المفيد ، فحملت الترجمة عندئذٍ تيارين في زمن « البيان » وما قبلها :

أولاً : تيار سلبي منحرف : يمثله دعاة الاستعمار لهدم الأمة العربية ، واختصت القصة من بين الفنون المترجمة بهذا التيار ، فتسرب منها كل غثاء ولغو من الموضوعات اللاأخلاقية ، مع مستوى أسلوبها الركيك الذي اتسم بالعامية والهبوط ، ومثّل هذا التيار نصارى الشام المهاجرون إلى مصر .

ثانياً : تيار إيجابي نفعي ، وكان يمثّله أصحاب الوطنية الصادقة ، وقد فهموا جيداً أن الترجمة تمثل قوة فكرية ، وبوسعها أن تنهض بالشعوب العربية والإسلامية فكانت أول طلائع هذه القوة " مدرسة الألسن " ، فخرج منها رجال عملوا في مجال الترجمة ، ثم تطوروا إلى مرحلة التأليف .

ثم ظهرت صحف تأثرت بمصداقية عمل « مدرسة الألسن » فكانت أبرزها مجلة « المقتطف » ثم « البيان » فخدمت الأخيرة الأدب الحديث من خلال الترجمة الأدبية بقدر كبير ، ولذا استحقت أن تمنح لقب " مدرسة " في هذا المجال.

---

(١) « الصحافة الأدبية بمصر " ج٣ ، ص ١٤٤ » ص ١٧ .

الفصل الأول

رؤية « البيـــان » لدور الترجمة

أ - مصطلح الترجمة والتعريب .

ب - دواعي عناية « البيان » بالترجمة .

ج - نوعية المترجمات في مجلة « البيان » .

د - مترجموا البيان :

١ - محمد السباعي .

٢ - عباس محمود العقاد .

٣ - إبراهيم عبد القادر المازني .

٤ - عباس حافظ .

٥ - علي أدهم .

أ- مصطلح الترجمة والتعريب :

نستهل هذا الفصل بتعريف الترجمة والفرق بينها وبين التعريب ، ثم الحديث عن مدى التزام " البيان " بمصطلح الترجمة .

فالترجمة عُرِّفت منذ القديم بأنها : فن نقل الكلام المكتوب أو غير المكتوب، من لغةٍ إلى لغةٍ أخرى . وأما العرب الذين خاضوا مجال الترجمة قديماً فقد حددوا الفرق بين مصطلحها ومصطلح التعريب ، فالترجمة في العربية هي التفسير ، يقول ابن منظور : ((فالترجمان : المفسر ، وقد ترجمه وترجم عنه ... ويقال : قد ترجم كلامه : إذا فسره بلسانٍ آخر))(١) . والتعريب مختص بالكلمة الأعجمية التي تدخل ضمن اللغة العربية بعد مرورها على الميزان الصرفي ، فتصبح عربية بالموالاة: ((وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها))(٢) .

وقد عُرِّفت الترجمة حديثاً – أيضاً – بأنها : نقل نص من لغة ما إلى لغة أخرى ، وهذا النقل قد تحيطه صعوبات كؤود كما أنه لا يخلو أحياناً من الخيانة ، وهي في المقام الأول عملية أداتها اللغة ، شفوية كانت أم مكتوبة ، تعتمد على نقل " رسالة " ما بين طرفين ، هما الراسل والمتلقي . ووصفت بأنها ضرورة حضارية ، ومطلب اجتماعي يواكب النشاط الإنساني(٣).

كذلك عرّف الأستاذ علي أدهم الترجمة بأنها : ((نقل الكلمة المسموعة أو المقروءة من لغة إلى لغة أخرى ، وقد تكون اللغتان – اللغة المنقول عنها واللغة

---

(١) أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم : " لسان العرب " ط١ ، دار الفكر ودار صادر ، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، مادة " رجم " .

(٢) (السابق) مادة " عرب "

(٣) د. أسعد ، سامية : (ترجمة النص الأدبي) ، (السابق) ص ٨٨٩

المنقول إليها - متقاربتين لاشتقاقهما من أصل واحد مثل اللغة الإيطالية واللغة الإسبانية ، وقد تكونان متباعدتين لا تجمعهما قرابة ولا تربطهما صلة مثل اللغة الإنجليزية واللغة العربية ، ولا نزاع في أنه كلما تقاربت أصول اللغات ، استيسرت الترجمة ، وكلما اختلفت وتباعدت كان ذلك مدعاة لقيام العقبات وتكاثر المشكلات))[1] .

أما مفهوم التعريب حديثاً ؛ فقد فرّق علماء اللغة المعاصرون بينه وبين الترجمة ، ولم يختلفوا في تعريفه عن القدماء ، من هؤلاء ساطع الحصري (ت ١٩٦٨م) فيرى أن التعريب هو آخر ما يُلجأ إليه في النقل ، عندما لا توجد كلمة عربية تقابل الكلمة الأجنبية[2] . كذلك نبه الدكتور محمد منجي الصيادي على عدم الاشتباه بين الترجمة والتعريب ؛ لأن الكلمة المترجمة هي لفظة منتقاة من العربية تعبر عن مفهوم أو فكرة جديدة دخلت اللغة عبر هذه الوسيلة . على عكس اللفظ المعرب الذي هو دخيل بالضرورة ، بعدما تطبق عليه القواعد الصرفية والصوتية العربية . وقد عدّ التعريب متضمناً لرموز التبادل الحضاري لمشاركة عدة أمم مختلفة فيه ، واعتباره من تراث البشرية جمعاء[3] .

هذا من حيث المعنى اللغوي للمفردتين ، أما من حيث الاستعمال في الصحافة الأدبية في عصر " البيان " فإنها لم تلتزم هذا التدقيق الاصطلاحي ، فاستخدمت المفردتين بمعنى واحد ، وأرادت من التعريب والترجمة النقل من لغة

---

(١) " على هامش الأدب والنقد " ص ٢٢٤ .

(٢) د. الصيادي ، محمد منجي : " التعريب وتنسيقه في الوطن العربي " ط٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ١٩٨٤م ، ص ٩٣ .

(٣) د. الصيادي (السابق) ص ٩٥ .

إلى أخرى ، وكون " البيان " ابنة عصرها فإنها سارت على هذا المنوال ، واستعملت كلا اللفظين ، فعلى سبيل المثال ذكر " البرقوقي " كلمة (تعريب) بدلاً من (ترجمة) في حديثه عن أهمية النقل من الأمم الأخرى في مقدمة السنة الثانية : ((وأما (التعريب) والنقل عن اللغات الأجنبية فإننا أردنا به إتمام عملنا ...))[١] . واستخدمت المجلة لفظة (مُعرَّبة) بدلاً من (مترجمة) حينما نشرت قصيدة " جولة في الأصيل "[٢] . كذلك استخدم مترجموها لفظة (التعريب) بدلاً من الترجمة ، إذ قال المترجم صالح حمدي حماد في تعريفه عن ترجمته رسائل (سنيكا) : ((وهي رسائل كثيرة اجتزأنا منها بهذا القدر الذي أعربه لمجلة البيان الفيحاء))[٣] . ووردت أيضاً لفظة (الترجمة) في تقديم بعض أعمالها ، كقولها : ((الأستاذ أحمد الخازندار ، وهو مترجم (وليم تل) ...))[٤] .

وعلى الرغم من عدم التزام مجلة " البيان " بدقة المصطلح في هذا ، وكان أولى لها أن تستخدم لفظة الترجمة بدلاً من التعريب ، فإنها عرفت قراءها بالترجمة ، وذكرت ضمناً أن النقل من لغة إلى أخرى يعطي المترجم حرية التصرف في الصياغة لا في النص ذاته ، وهي حرية المبدع ، التي تجعل النص المنقول وكأنه النص الأصلي ، وذلك عندما عرضت لطريقة الكاتب مصطفى لطفي المنفلوطي ، في ترجمته لقصة ماجدولين : ((... وأما هذه ماجدولين فقد قلنا في العدد الماضي أنها للكاتب الفرنسي (الفونس كار) ... أملاها على السيد

---

(١) ع ١٤ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص ٩٥ .

(٢) ع ٥ و ٦ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٧٦ .

(٣) ع٧ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٤٣ .

(٤) ع٤ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٨٩ .

[أي المنفلوطي] حضرة صاحب العزة محمد فؤاد كمال بك ، ثم صاغها السيد هذه الصياغة التي هي آية في الإبداع بعد أن تصرف فيها بالحذف والزيادة ، حتى أصارها كأنها من وضعه لا من وضع الفونس الكار . وهذا ضرب من ضروب الترجمة يشبه الاقتباس ، فنحث القراء على اقتناء هذه القصة الفلسفية المؤثرة التي هي من أبدع حسنات السيد ...))[1] .

ب- دواعي عناية " البيان " بالترجمة :

ملكت " البيان " شعوراً قوياً بعظمة عقول أبناء الأمة العربية ، وبما أنها تعيش عصر النهضة ، فلا بد أن تعمل على إعادة تلك العقلية العربية الجبارة كما كانت في عهد قوتها ، وقد رأت أن الترجمة والاقتباس من آداب الغرب حاجة وضرورة . وذلك يقوم لدى "البيان" على عملية التنقيب والاختيار الناجح ، وهو أمر لامحيص عنه . بيد أن الاستعانة بتلك الآداب القوية لا يعني لديها المحاكاة والتقليد، وإنما لزرع القوة والثقة في نفوس أبنائها ، بعدما تتفتق أذهانهم بقراءة روائع الفكر الإنساني العالمي ، وحتى تشابه الأمة العربية الأمم التي تطيف بها في كل ما يجعلها أمة لها مكانتها في التاريخ العالمي ، تشبه عند الترجيح مكافأة قوة لقوة أخرى[2] . ويؤمن صاحب " البيان " بأن دور الترجمة ما هو إلا مكمل لمعطيات الثقافة والفكر لأبناء الأمة العربية ، بعد معطيات تراثهم الفكري ، والذي يشكل لديهم أكبر قوة لشخصيتهم ، إذ يقول : ((والأمم في منازعة الحياة كالجيوش إن لم تكن في كل جيش قوته الذاتية لم ينفعه ما يقتبسه من أساليب استعمال القوة عن الجيوش الأخرى فكل ما أنتجت العقول الغربية هو عندنا في

---

(١) ع٢ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ٧٠ .

(٢) انظر : كلمة البرقوقي في افتتاحية السنة الثانية ، مجلة " البيان " ع١ ، ١٩١٢م ، ص ٨ .

الرتبة بعد لغتنا وتاريخنا فإذا نحن استكملنا هذه وأحطنا بها وأمنا جانب التفريط فيها لم يكن شيء أنفع عندنا مما نقتبسه من تلك العقول لأننا نأخذ حينئذٍ لنمكن أنفسنا من القوة التي استعنا بها لا لنمكنها من أنفسنا))[1] .

والحقيقة أن رؤية " البيان " ومفهومها للترجمة جعلها تدعو إليها أكثر من الوضع والتأليف ، لأنها كانت تعيش عصر النهضة والصراعات الفكرية ، عصر الانتقال وتحديد الهوية ، وفي ذلك نشرت مقالاً في السنة الثامنة ١٩٢٠م ، للأستاذ علي أدهم بعنوان (مزايا الترجمة)[2]ربط فيه بين الترجمة والوطنية قائلاً : ((الترجمة ضرب من ضروب الوطنية الصادقة النقية ؛ لأنها ضرب شريف من أسمق ضروب التضحية وأسماها ، وهي من أشد مستلزمات الأمم ومتطلباتها ، ومن أقوى حوائجها ومعتقداتها))[3] .

ولقد دعا الكاتب إلى العناية بترجمة كل ما هو قوي ورائع من محصولات الذهن الأوربي أكثر من التأليف ؛ لأن الأمة العربية في عصره تعيش إبان نهضتها ، وهي أحوج في رأيه إلى النقل منها عند ازدهار النهضة ونضوجها ، وذلك لأنه من المستحيل أن تتحرك وتتقدم الأمم ما لم تصطدم برياح الأفكار القوية والتي تجعل فكر أبنائها أبعد مدى وأوسع طموحاً[4] .

ثم أخذ كاتب " البيان " يلمز الأيام التي مضت على الأمة في مرحلة ركودها وخمودها الأدبي والفكري ... بينما في ذات الوقت العالم الغربي الذي

---

(١) (نفسه)

(٢) كتبها علي أدهم خصيصاً للبيان .

(٣) ع٨ ، س ٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٤٦٦ .

(٤) (السابق) ص ٤٦٦ .

استمد حضارته من حضارة العرب ، بل اعتمد عليها وأخذ من كنوزها ، قد وصل إلى عالي الفكر ، ثم استيقظ العرب بعد فترة خمود على ميزان حضاري متأرجح، وذلك مما دعا " البيان " إلى أن تأخذ بمعطيات النهضة الصادقة ، في البحث عن فكر جديد يحمل المبادئ الكبيرة ، ويستند على أفكار خطيرة ، ومذاهب حية متوقدة ، استمدت مشعلها من أفكار العباقرة الغرب ، ويشير ـ علي أدهم ـ على " البيان " بأن تقذف من حالق بكل فكرة ميتة هامدة ، وكل مبدأ خامد قد يعترض تيار تقدمها من الأفكار الفجّة . ويقول : ((وإنه لما يحزننا ويحزّ في نفوسنا أننا كنّا نعيش محفوفين بأفكار قديمة قد ترشفت الأيام قطرات الحياة وخرافات فارغة ؛ ليس فيها من متعة للخيال ؛ ولا مسلاة للذهن بينما " بيرون " يصدح بأناشيد الحرية ، فيهتز لها قلب أوروبا ويخفق ، و"جيتي " يلقي حكمته في ويمار فيستقبلها العالم بلهف والتياع ، وتروى بها النفوس الظماء ...))(١) .

ثم يذكر كاتب " البيان " أن الأمة في زمنه استطاعت أن تفهم حقيقة النهضة ، ولذلك أخذت تصوغ حياتها الفكرية على أوضاع جديدة يلمح الفرد دلائل الحياة في جنباتها ، ويطالع من نواحيها آثار القوة والتماسك ، ويدل على ذلك روح التذمر والملل والنقمة التي دبت في نفوس أبناء الأمة ، عندما واجهوا الصمود الحضاري الغربي إزاء الركود الذي أصاب الأمة العربية . وعلي أدهم يؤكد أنّ هذا الشعور النفسي ليس ذا قيمة، وعظيم شأن ما لم يكن دافعاً إلى النهوض بالأعمال الكبيرة ، وحافزاً إلى الاضطلاع بالأعمال الجسيمة ، وإلا كان دليلاً على ضعف النفوس وخور العزيمة(٢) .

---

(١) (السابق) ص ٤٦٧ .

(٢) (السابق) ص ٤٦٧ - ٨ .

وأول هذه الأعمال هو الانطلاق بفكر أبناء الأمة ليطّلعوا على كل ما كان ذا بال عند الآخرين ممن كانت لهم حضارات سابقة ، أو أصحاب الحضارات المعاصرة ، ولن يتم هذا إلا عن طريق الترجمة ، التي يمكن أن يجتني من ورائها الفكر والأدب العربي أطيب الثمار التي تغذي عقول أبناء الأمة العربية ، وتمنحها الفائدة المرجوة منها ، وقد أرادتها " البيان " ودعت إليها لعدة أسباب منها :

أ – إن الترجمة قادرة على زرع الثقة في نفوس أبناء الأمة ، فيذوب ذياك القلق والخوف والتذمر الذي يشعرون به ، فتجعلهم يتجاوزون الحدود والفواصل الحضارية والقوى الفكرية بين الأمم ، إضافة إلى الحدود الزمانية والمكانية ، فيتم حينئذٍ المزج بين الفكرين العربي والغربي(١) .

ب – إنه كلما تلاقحت الأفكار كلما زادت قوة وعظمة ، وعملت على تنمية التيارات الفكرية ، وساعدت على بروز أدب قوي ينهض بالأمة ، وهذا بدوره ((يحرك الطبائع ويهز النفوس ويرسل نوره وحرارته في كل مناحي الحياة ووجوهها . وأن الأمة إذا ثملت برحيق فكرة كبيرة رأيت آثار تلك الفكرة متوثبة في كل نفس من نفوس أفرادها ظاهرة في أعماله ، مستجلية في أحاديثه وأقواله وإن كان يختلف مقدار فهم كل فرد لجوانب الفكرة المتعددة))(٢) .

جـ – إن الترجمة وسيلة من الوسائل التي تدعو الأمة عند يقظتها إلى النظر فيما حولها ، والتي تبدو أولاً عن طريق الفرد الطموح التواق إلى المعرفة والبحث والمطالعة ، فكل فرد يحمل في أعماق نفسه تاريخ الإنسانية بأسرها ، ويحتوي ذهنه أفكاراً عمّت الكون . ودور هذه الأفكار المختمرة في نفس الفرد أن تخلق له

---

(١) ، (٢) (نفسه) .

خيالاً واسعاً تجعله دائماً في شوق لمعرفة ما يدور حوله في مختلف الأمكنة والأزمنة ، وما يصدق على الفرد ، يصدق على الأمة .

د - إنها أرادت من الترجمة أن تكون سبباً في استثارة الغيرة في نفوس أبنائها لكل الأحلام والآمال والأفكار والخواطر التي واجهت الإنسانية في رحلة حياتها ؛ لأنه بالترجمة تهدم كل الأسوار والحواجز التي تمنع شخصية الفرد العربي من الاتساع ، وتجعل آماله ضيقة ، وعزائمه محصورة ، وتمنعه من العيش في الدائرة الشاملة لكل الدوائر - كما يقول علي أدهم - والتي لا ينبغي لأي أمة أن تعيش في غيرها ، وهي دائرة العلم والثقافة والفكر الإنساني الذي لا ينتهي ، ومن ثم تستطيع كل النفوس الطموحة أن تخرج من جوفها إبداعاتها الكامنة في بحر النفوس(١) .

وبهذا يتضح ، أن الترجمة من ضروب الفكر السامي ، ومن أفضل الوسائل لتنوير وتوسيع نطاق المعرفة ، بل وتعد من أقوى الأسلحة الفكرية التي تقلدتها " البيان " في مواجهة التيارات الفكرية المعاصرة لها .

جـ - نوعية المترجمات في مجلة « البيان » :

كان إيمان مجلة « البيان » بالترجمة كأحد أهم السبل في تطوير الأمة في زمن النهضة الصادقة ، هو ما دعاها أن تجعل لها المزية الأولى وتنظر إليها نظرة إجلال واحترام في زمن استغل فيه كثير ممن لهم حظ بمعرفة اللغات ترجمة الرخيص من الأدب الغربي - كما ذُكر سلفاً (٢) - ولما كانت المجلات الأدبية من

---

(١) (نفسه) .

(٢) انظر : ماتقدم في موضوع (الترجمة قبل البيان)

أهم المعاقل الفكرية ، فإن " البيان " تكلفت بنوعيـة المترجمات ، بما كان لديها من قدرة عـلى انتقـاء أجود وأرقى مـا لدى الغرب من أدب وفكر سامٍ ، على نحـو ما سيتـضح في الفصلين القادمين ـ إذ فتـحت نوافذها لاستقبـال كل الآداب الأجنبية الرفيعـة ، فاتسع نطاق المترجمات لعـدة آداب إلى العربية ، متخـذة لغتين وسيطتين وهـما الإنجـليزية والفـرنسية لـلوصول إلى الآداب الأخرى ، فـعرفت قـراءها بروائع الأدب الإنجليـزي والأمـريكي والـفـرنسي والألماني والـروسي ، كـذلك شـملت صفـحاتهـا الآداب الشرقـية : اليابانيـة والفارسـية ، بَلْه الآداب القـديمة الفرعـونية والرومانية تحت باب أسمته (آثار تاريخية) .

أما ما ترجـمته " البيان " فـقد شمل الأعمال الـفنية الإبداعية لأشهـر كتاب الأدب العالمي ، من شـعر وقصـة ومسرح ورسـائل وأدب اعتـرافات ومقـالة . ففي الشعـر المترجم قدمت الأعمـال الشهيرة لأكـبر أدباء الرومانطيقـية ، أمثال الشـاعر بيرون وقـصيـدته " دون جوان " في مطلع السنة الأولى إلى السنة الثـانية من عـمر المجلة ، كـذلك ترجـمت أشـهـر قـصـائد لامـارتين (ت ١٨٦٩م) وكـان له الحظ الأوفـر من بين الشـعراء الآخـرين على صـفـحاتهـا ، وقـد خصص الفـصل القـادم للمترجمات الإبداعية .

كذلك ترجمت « البيان » في النواحي الموضوعية ، وأهمها الكتب ، فعرّفت القـراء عن طريقـها بنـخبـةٍ من عظمـاء كـتّاب الغـرب من خـلال نشـر فصـول أو موضـوعات مخـتلفة من الكتـب ، وأحـياناً عـرض الكتاب كامـلاً فعرفـتنا بكارليل (ت١٨٨١م) وكتـابه « الأبطال » من خلال ترجمـتها لشـخصيـة المصطفى صلى الله عليـه وسلم ، والكـاتب الأمريـكي " أوليـفار وندل هـو لمز " وكتـابه الشـهـيـر «حديث المائدة » والكاتب الإنجليـزي ادموند برك (ت ١٧٩٧م) وكتابـه " الجمال

والجلال " و" التربية الطبيعية " لجان جاك روسو (ت ١٨٧٨م) وغيرها كثير من كتب وآراء الفلاسفة . وسيتم العرض لها في الفصل الثالث .

د ـ مترجمو « البيـان » :

تعد مجلة " البيان " أحد أهم الجسور الثقافية في مطلع القرن العشرين ، فقد أمدت العالم العربي بأفضل ما لدى الغرب من أدب وفكر ، وذلك لأنها احتضنت الأقلام الشابة ، وأعطتها فرصة الظهور على الساحة الأدبية ، فترجموا على صفحاتها الكثير من روائع الأدب والفكر الغربي ، وحرروا العديد من إبداعاتهم الفنية ، فبرزت عليها ملامح الفكر الجديد في الأدب والنقد الحديث ، على نحو ما سيرى في الباب الرابع بإذن الله .

وبذلك بنت جيلاً خدم الأدب الحديث بكل ما لديه من طاقات عقلية ، وبما حذق من لغات أجنبية عدة ، فصاروا بعدئذٍ من كبار أدباء العصر الحديث ، وهذا عائدٌ إلى خطتها السليمة التي سارت عليها منذ السنة الأولى ١٩١١م فيما يخص كتّابها ، وقد تحدث عنها صاحبها قائلاً : ((وقد اعتزمت في ابتغاء الوسيلة إلى ذلك أن أنصب منه منبراً يعتلي ذؤابته أساطين البيان ، وأفسح من جهاته مضماراً تستبق فيه جياد القرائح إلى البرهان ... »[1] .

وقد شهد مؤرخو الصحافة الأدبية للبيان بأثرها الواضح في مجال الترجمة الأدبية ، فكانت مدرسة خرّجت عدداً من أنبغ المترجمين الأدباء ، أمثال : السباعي ، المازني ، العقاد ، علي أدهم ، وغيرهم ، وكان لكل منهم أسلوبه الخاص الراقي الذي تميز به ، فلم يسف فيه ولم يضعف .

---

(١) انظر : الجندي : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص ١٣ .

١ ـ محمد السباعي (ت ١٩٣٢م) :

انطلق السباعي إلى عالم الترجمة من خلال مجلة " البيان " واستمر في هذا المجال إلى وفاته[١] . وقد عُرف بتعمقه في الأدب الإنجليزي خاصة فوثق به البرقوقي ، ووكله على ترجمة ما يراه مناسباً من عيون أدب الغرب للبيان : ((وأشركت في أمري أخي وصديقي الكاتب الكبير محمد السباعي أمكن من علمت في آداب العرب والغرب ، وأخلب من سمعت بياناً وأكثرهم في مناحي البيان افتناناً ...))[٢] وحمّل البرقوقي السباعي أمانة الأسلوب عندما أعد عدته لإصدار " البيان " قائلاً : ((أوصيك بالحرص على شرف الديباجة))[٣] .

ويُعدّ السباعي من شيوخ المترجمين في العصر الحديث لما تميز به من الدقة ، والحرص على الالتزام بصحة النص المنقول ، وقدرة فائقة على التضمين في المترجمات من غير أن يتسبب بأدنى تشويه للنص بل يزيده جمالاً ، سواء كان بآية كريمة أو ببيت من الشعر ، وكل ذلك بطريقة مسترسلة وكأنها من النص المترجم . وكان ناصعاً في بيانه ، وجزلاً في كلماته ، لديه حصيلة ضخمة من التعبيرات العربية[٤] . ونورد له في هذا المقام مما ترجمه من قصيدة " دون جوان " الرسالة التي بعثتها جوليا إلى جوان : ((يقولون لي أنه قد بت الأمر في سفرك . وهذا ما لا بأس فيه ولا حرج ، ولكنه ليس مع ذلك أقل برحاء ومضضاً ، وكيف وقد انقطع ما بيني وبينك وأصبحت منك كناظرٍ في أعقاب نجم مغرب .

---

(١) لم يخرج تقدير السباعي بين أعلام الأدب العربي عن كونه مترجماً أكثر منه مؤلفاً ـ كما ذكر د. محمد حسين هيكل . انظر : " في أوقات الفراغ " ط٢ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٢٤٣ .

(٢) افتتاحية السنة الأولى ، مجلة " البيان " ع١ ، ١٩١١م ، ص ٧ .

(٣) « دولة النساء » المقدمة ، ص (م) .

(٤) الجندي : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص ٤٨ – ٤٩ .

لكَالُمرتَجِي ظِلّ الغمامَةِ كُلَّما تبوأ مِنها للمَقِيلِ اضْمَحّلت

نعم لي لا لك وبي لا بك المصاب ...))[1] .

وترجم السباعي العديد من الأعمال الأدبية على صفحات " البيان " منها : رواية " الأستاذ " للكاتب الإنجليزي وليم ثكاري (ت ١٨٦٣م) في العدد الخامس من السنة الأولى ، وفي العدد الأول من السنة الثانية ترجم قصة " النبأ العجيب " ، والفصل الأول من كتاب " جمال الطبيعة " للفيلسوف الإنجليزي اللورد أفبري ، وترجم أيضاً كتاب " الصور " للكاتب الأمريكي ارفنج (ت ١٨٥٩م) نشرت البيان منه في السنة الثالثة ١٩١٤م ، والتاسعة ١٩٢١م ، كما ترجم بعض شخصيات كتاب الأبطال لكارليل ، وفيه أثنى البرقوقي على طريقته في الترجمة فقال : ((وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية أخونا الكاتب النابغة الضليع محمد السباعي ، واحتفل في هذه الترجمة أيما احتفال وتأنق أيما تأنق حتى تشابه الأصل والترجمة وتشاكل الأمر ..))[2].

٢ ـ عباس محمود العقاد (ت ١٩٦٤م) :

كانت " البيان " من أولى الصحف التي حرر فيها العقاد ، وظهر اسمه على صفحاتها . وكان قبلها يحرر في جريدة " الدستور " ١٩٠٧م لمحمد فريد وجدي (ت ١٩٥٤م) وقد أشار أغلب من كتب عن العقاد إلى عمله في تلك الجريدة ، ولم يشيروا إلى مجلة " البيان "[3] .

---

(١) " مجلة البيان " ع٢و٣ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٥ .

(٢) (السابق) ع٢ و٣ ، ص ٨٢ .

(٣) انظر : غالب : مصطفى " عباقرة الأدب " ط٢ ، منشورات حمد ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ١٣٧ ، د. فؤاد : نعمات أحمد " قمم أدبية " ط٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٤م ، ص٧٣-٧٤ .

وعُرِف العقاد بأنه أديب موسوعي حباه الله عبقرية فذة ، فقد استطاع عقله أن يهضم الجولوجيا كما يهضم الشعر الرقيق ، وكان دائماً يسارع إلى الجديد من الكتب الإفرنجية والعربية على السواء . وقد أجاد من اللغات الأجنبية الإنجليزية إجادة تامة استعان بها على فهم الإيطالية والإسبانية(١) . ووجد العقاد في مجلة «البيان » وهو مازال في مقتبل العمر مندوحة ، ليظهر قدراته المتميزة على الترجمة والكتابة ، فبرز اسمه منذ السنة الأولى على صفحاتها كأحد أهم كتّابها ومترجميها . فنُشر له في العدد الخامس والسادس من تلك السنة بعنوان «مقتبسات من أمِّرسن » وهي موضوعات أدبية متعددة ترجمها عن الكاتب الأمريكي رالف والدو إمِّرسن (ت ١٨٨٢م) ، وفي العدد ذاته نُشر له مما ترجمه من فصل لأحد كتب الفيلسوف الإنجليزي دافيد هيوم (ت ١٧٧٦م) بعنوان "الحب والزواج " . وفي العدد الثامن من السنة الأولى أيضاً قدم للبيان تلخيصاً من كتاب بعنوان " الأكاذيب المقررة في المدنية الحاضرة " لماكس نوردو ، كما ترجم للكاتب نفسه في السنة الثالثة ١٩١٤م ، فصلاً من كتاب " الغرائب " باسم النجاح(٢) .

ولم يكن العقاد ـ رحمه الله ـ يتنازل عن مبادئه وتوجهاته الفكرية والفلسفية حتى فيما ترجمه لـ « البيان » رغم حداثة سنه وقتئذٍ ، فلم يظهر له إلا ما يوافق مذهبه الفكري المتسم بالوضوح والصرامة والعقلانية والنظرة الفلسفية نحو الكون

(١) غالب (السابق) ص ١٣٦ - ٧ .

(٢) نوردو : عالم ، فيلسوف ألماني ، يهودي ، وأبو الصهيونية ، ولد عام ١٨٤٩م في النمسا ، درس مذهب لمبروز العلامة الإيطالي في علم العقل ، وانتهج في الأدب منهج التمحيص العلمي المستمد من قضايا علم النفس ، وعلم وظائف الأعضاء . انظر : مجلة " البيان " ع٨ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٩٥ - ٦ .

والحياة . ولذلك أتى أسلوبه مطابقاً لفكره الدقيق ، واضحاً مترسلاً متسماً بطابع الدراسة والاستقصاء والتمحيص ، فكلما قرأ أحدنا لترجمات العقاد وإبداعاته آتته الرّغبة إلى قراءتها مرات عدة .[١] ومن ذلك ترجمته لموضوع بعنوان " فلسفة الفنون " أو " الحدّ بين الطبيعة والصناعة في الفنون الجميلة " لأمّرسن يقول فيه : ((فالشعر ناسوته الألفاظ . ولئن لم تكن الألفاظ مادية إلا من جانب واحد فقط وضعها الناس من قبل وتداولتها الألسنة في آدابها ، فالشاعر لن يتدعها ابتداعاً لأداء مقاصده ، فهي ليست إذن من بنات فنه ولا من ثمرات الروح الملهمة في ذلك الفن ... فروح الفن تبدو في النموذج والطريقة . إذ إنه في هذين لا في التمثال أو الهيكل من حيث هما تظهر قدرة الصانع ، فالرونق الذي يزيد به تمثال المرمر على نموذج الطين ... ذلك من عمل الطبيعة وليس من عمل الصناعة))[٢] .

وكان من عادة العقاد أن يصدر فيما يترجمه تعريفاً عن الكتاب وصاحبه وآرائه الفلسفية والفكرية ، في مثل قوله عن ماكس نوردو ونظرياته التي طبقها على الفنون والآداب : ((فالعالم عند نوردو حيوان عظيم . الفرد خلية منه ، فهو يفحص علله وأدواءه ... وقد توخي في جميع مصنفاته الحقائق المرئية والوقائع المجردة ، مع إعمال الرواية وإدامة النظر ، فجاءت آراؤه محكمة سديدة ، وسلم في أكثرها من التعسف أو الضعف))[٣].

هذا ، ولم تظهر للعقاد ترجمات في مجال الشعر أو القصة والمسرح بل اقتصرت على الكتب . والحقيقة أن العقاد أعطى " البيان " نقلة إلى عالم من الفكر

(١) قالت الدكتورة نعمات فؤاد أن الصحافة لم تستطع أن تجني على أسلوب العقاد ، كما جنت على غيره من الأدباء . انظر : (السابق) ص ٦٨ .

(٢) مجلة " البيان " ع٥ و ٦ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٠٦ - ٧ .

(٣) مجلة " البيان " ع٨ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٤٩٦ .

المتميز ، إذ وجدها نافذة يطل منها بآرائه وكتاباته وترجماته . ووجدته عبقرياً فذاً منح قراءها خلاصة فكره وفكر غيره من عباقرة الغرب[1] .

٣ - إبراهيم عبد القادر المازني (ت ١٩٤٩م) :

لقد كان المازني واسع الاطلاع ، إذ لم يعتمد على محصولاته الدراسية ، بل عكف على دراسة نوابغ الأدب العربي في عصوره المتقدمة ، والنهل من الأدب الإنجليزي ، فتعلم الإنجليزية في صباه ، ووقف على أسرار بلاغتها بقدر فهمه لأسرار بلاغة اللغة العربية ، فكانت مفتاحه للاطلاع على آداب الغرب الأخرى ، وقد مارس المازني الترجمة الأدبية في مطلع حياته ، ومنذ تخرجه من مدرسة المعلمين عام ١٩٠٩م[2] . إلا أن انطلاقته الحقيقية ظهرت من خلال مجلة «البيان» وكان من أوسع مترجماته كتاب " التربية الطبيعية " أو " أميل القرن الثامن عشر " للكاتب الفرنسي جان جاك روسو ، وقد نقله عن ترجمة إنجليزية للأستاذ بين ، ونشرت " البيان " هذا الكتاب مسلسلاً وعلى فترات متفاوتة في سنواتها الثلاث الأول ، كما قدم في العدد السابع من السنة الأولى مقالاً طويلاً بعنوان (الشخصية والأخلاق) للكاتب الأمريكي إمِّرسن ، وفي العام ذاته نُشِر له ترجمته لقصة تشارلز دكنز (ت ١٨٧٠م) بعنوان : (صريع الكأس) . وكل هذه الترجمات التي قدمها في سنة واحدة منحت المازني شهرة واسعة واسماً راسخاً في عالم

---

(١) من المترجمات التي كانت غفلاً من التوقيع وأحسبها للعقاد ، أمثال : مقالة (المتشائمون) لماكس توردو ، و (معرفة أخلاق الناس) لوليم هازلت ، وكتاب " حديقة أبيقور " لأنا تول فرانس ، وذلك لأن العقاد تبنى نشر آراء الكتّاب السابقين في كثير من كتبه ومقالاته التي نشرت في المجلات الأدبية الأخرى بعد " البيان " .

(٢) غالب : (السابق) ص ٢٥٨ - ٩ .

الأدب في زمن مبكر من عمره ، وخاصة أنه تحول في تلك السنة من مترجم إلى كاتب إبداعي[1] .

ولقد حظيت "البيان" بالمازني فاعترفت بقدره ، وأشادت بعمله على صفحاتها كاتباً ومترجماً له أسلوبه المتميز ، وذلك في معرض حديثها عن ديوانه الذي نشرته في مكتبتها : ((نَعرفُ صديقنا الأستاذ المازني من نوابغ كتابنا المعدودين ، ونعهده كذلك من أكفأ المترجمين ، وأشدّهم استمكاناً من أدب العربية والإنجليزية ، وكذلك عرفه قراء البيان مما رأوا له من روائع المقالات ، وبدائع الموضوعات ، ولعلهم يذكرون معنا جزالة أسلوبه وفخامته في ترجمة كتاب (أميل) ... وكلمته عن ابن الرومي إلى غير ذلك من آثار قلمه))[2].

وكانت للمازني طريقته في صياغة الأسلوب ، لما يكتبه أو يترجمه ، فجرى سهلاً بلا كلفة ، وإن استعمل كثيراً من الألفاظ اللغوية التي تعوز القارئ إلى استعمال القاموس ، كذلك عرف بقدرته على إدخال العامية الدارجة في الفصيح بحيث لا تفقد الجملة معناها وجمالها ، وتنساب اللفظة وسطها بكل جاذبية ، في تعابير دقيقة وصور متوازنة ، من ذلك ما ترجمه من مقالة (الشخصية والأخلاق): ((ولقوي النفس شديد الشخصية ، سلطان على من كان ضعيفها كسلطان النوم إذا دب في الأجفان ، ثنى الرؤوس وأمال الأعناق ، ولعل هذا هو قانون الطبيعة العام ، فإن العالي إذا استصعب عليه أن يذرّي من السافل وينعشه ؛ هوّده وفتّره كما يروض أحدنا الدابة حتى تصحب ، وللإنسان على أخيه سلطان خفي ، ولكم جاء تأثير الرجل القوي فيمن حوله مصدقاً لأساطير السحر !))[3] .

---

(١) انظر : الباب الرابع ، الفصل الأول : (الشعر وكتابات أدبية معاصرة في "البيان") .

(٢) ع ١٠ ، س٢ ، ١٩١٣م ، ص ٦٥٣ .

(٣) ع ٧ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٦١ .

وكان يتوخى دائماً في النص المترجم إبراز أسلوب الكاتب لا أسلوب المترجم ، مع حرصه على الالتزام بالأصل قدر الإمكان ، محاولاً أن يجعل الترجمة حرفية على قدر استطاعته(1) . كما عُرف بقدرته على التعايش مع النص الذي يترجمه ، فقد ذكر العقاد أن المازني كان يترجم النص شعوراً قبل أن يترجمه لفظاً ومعنى ، ويجيش به كصاحبه ، ويعبّر عنه وكأنه من حسه وخياله ، ولهذا أطلق عليه وصف العبقرية في الترجمة ، وهي ملكة نادرة قلما تكون في الآداب العالمية ، فلم يكن للمازني نظير في هذه الملكة(2). ومما يدلل على أسلوبه في الترجمة ، قصة " صريع الكأس " وهي تحكي قصة إنسان سلب منه الخمر كل ما ملك في الحياة من زوجة وأبناء ، وأصدقاء ومال ، فتحول من الثراء إلى الفقر المدقع : ((لقد جفاه الأخوان والأقارب والناس جميعاً واجتووا عشرة السكير وعافوا صحبته ، ولم يحفظ له العهد في الرّخاء والجهد والشدة والخفض والاعتلال والفقر غير زوجته ، وكيف كان جزاؤها ؟ لقد جاء يتمايل من الخمارة ليشهد موتها ، وخرج من البيت وانفلت يعدو في الشارع وقد تنازعه الندم والخوف والخجل ؛ وغلب عليه الشراب وذهب بعقله ما رأى في ليلته فعاد إلى الخمارة التي تركها منذ قليل))(3) .

---

(1) د. فؤاد ، نعمات أحمد : " إبراهيم عبد القادر المازني " ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1961م ، ص 308 ، 311 .

(2) انظر : الجندي : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص 65 .

(3) مجلة " البيان " ع5 و6 ، س 1 ، 1911م ، ص 315 .

٤ ـ عباس حافظ (ت ١٩٥٩م) :

من أعلام الترجمة والتأليف البارزين في الأدب الحديث[1] . ظهر اسمه على صفحات " البيان " كأحد أبرز كتاب المقالة القصصية ، فنشرت له بعنوان «صور هزلية من أخلاق الناس » وأشهر مترجميها عن اللغة الفرنسية ، وقد عرف ببراعته فيها . ومما ترجمه للبيان اعترافات ألفرد دي موسيه (ت ١٨٥٧م) في العدد الخامس من السنة الثانية ، ورواية " المرأة التي فعلت " للروائي الاجتماعي جرانت ألن ، وذلك في العدد السادس من عام ١٩١٥م ، وقصة " الأميرة الصغيرة " لرولاند برتوي في العدد التاسع من عام ١٩٢٠م .

وكانت ترجماته في " البيان " تحمل غالباً تعريفاً عن كاتب العمل الأدبي ، مع إلقاء الضوء على جوهر الموضوع الذي يترجم له ، كما فعل في قصة " المرأة التي فعلت " فقال : ((... وهذه الرواية التي نضعها بين أيدي القراء نساءً ورجالاً، تحتوي ضروباً عالية من قوة المرأة ونبلها وفضيلتها ، ولكنها قد سمت بالمرأة إلى حدود بعيدة ... فلن نستطيع أن نقر على الناحية الاجتماعية التي تتجلى في رواية اليوم ، ولكنا بعد أحرياء أن تبعثنا هذه الرواية الجديدة على التفكير والبحث وتقليب وجوه الرأي))[2] .

أما أسلوبه فقد امتاز بالبساطة والسهولة ، والقدرة على إمتاع القارىء ، وخاصة فيما كتبه أو ترجمه من المقالات الفكاهية ، بانسياب الألفاظ العامية مع المحافظة على المستوى الرفيع من التعبير العربي ، وذلك في مثل ترجمته لمقال بعنوان

---

(١) ترك حافظ مؤلفات عدة منها : " دموع وضحكات " و " مصطفى النحاس " . انظر : الزركلي: " الأعلام " ج٣ ، ص ٢٥٩ .

(٢) ع٦ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ٣ (مستقلة) .

(الجهل وخجلنا منه) من كتاب بعنوان (عن لا شيء) بقلم الكاتب هيليز بيلوك: ((ليس في العالم شيء هو أشد ما يبعث الخجل فينا من أنفسنا ، ويشعرنا بالعار من اعتقادنا بجهلنا ، مع أنّا جميعاً جاهلون بأغلب الأشياء التي لابد من العلم بها ، وإذا صح هذا فليس عجيباً أن نخجل من ظهور غلطنا ونستحي من نقيصة هي عامة منطبقة على الجميع . على أننا لم نكن لنخجل أو " ننكسف " لولا خوفنا من أن نصغر في أعين الناس ، ونضئول في المجتمع ، فإذا أظهر أحد الناس جهلنا ... فنحن لا نحفل بكلامه ولا ببراهينه على أنّا جهلاء ؛ مادمنا على انفراد معه ؛ لا ثالث لنا . لأنّا أولاً : نستطيع أن ننكر كل شيء ، ونستمر على " بلع " جهلنا بلا خوف ولا خشية ، وثانياً : لأنّا لا نعدم كلمة تتفق لنا معرفتها ، ولا يعرفها محدثنا ، أو كتاباً نحبه ولم يكن قرأه ، ونستطيع أن « نلخمه» به))[1].

وبعد احتجاب " البيان " استمر عباس حافظ في الكتابة والترجمة للصحف الأدبية ، واقترن اسمه خاصة بالبلاغ الأسبوعي واليوم [2]).

٥ ـ علي أدهم (ت ١٩٨١م) :

من مواليد عام (١٨٩٧م) كان من بين أساتذته الأديب عبد الرحمن شكري ، وتأثر أيضاً بالأستاذ العقاد ، أجاد اللغة الإنجليزية إجادة كاملة ، إلى جانب معرفته باللغة الفرنسية، قرأ لأشهر كتاب الأدب العالمي، أمثال شلر وهايني ، وهزلت ، وبيرون ، وكارليل ، ودستو فيسكي ، وتولستوي ، إلى جانب قراءاته في الأدب العربي .

---

(١) ع٤ ، س ٩ ، ١٩٢١ ، ص ١٥٦ .

(٢) انظر : الزركلي : (السابق) ج٣ ، ص ٢٥٩ ، الجندي : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص ٢٣ - ٢٤ .

ولقد تعددت مترجماته في مجلة " البيان " التي انطلق منها إلى عالم الكتابة ، وكان وقتها شاباً صغيراً لم يتجاوز الحادية والعشرين ، فترجم فصولاً مختارة من كتاب " الحكمة والقدر " للشاعر والكاتب البلجيكي ماترلنك ، نُشرت في العدد السابع من عام ١٩٢٠م . وفي العدد الأول من العام ذاته قدم ترجمة كاملة من أدب الاعترافات للكاتب الفرنسي شاتوبريان (ت ١٨٤٨م) بعنوان " رينيه "، وفي العدد الخامس نشر للكاتب الروسي تورجنيف (ت١٨٨٣م) مقطوعات شعرية بعنوان " أشعار منثورة " ، كما نشرت له «البيان» في عام ١٩١٩م رسالتين من مازيني إلى مسز كارليل بعنوان " أثران خالدان " واللتين تصدرتهما مقدمة من المترجم .

أما أسلوبه في جميع ما ترجمه فكان متميزاً بالوضوح والسهولة مع الدقة والمحافظة على الأساليب العربية الفصيحة ، فلم تدخل مترجماته ألفاظٌ غريبة ، كما كان يفعل السباعي والمازني[1] . ومن ذلك ما ترجمه من أشعار لتور جنيف بعنوان " لا نزال نجاهد " : ((فوق ذلك الطريق على مسافة عشر خطوات مني في أشعة الشمس الذهبية المتلألئة الباهرة للعيون السادرة للأبصار كانت تثب طائفة من العصافير بسلاطة وخفة وحسن ثقة بالنفس ، ولمحت واحداً منها خاصاً كان يطفر على جوانب الطريق بعزيمة المستيئس ، وهمة المستميت ، نافخاً صدره ، مغرداً في زهو وطغيان وتصلف ، كأنه يريد أن يقول :

ليست ثمة ما يخشى؟ مجاهد صغير مستبسل مغامر أروع مقدام ؟))[2] .

(١) د. فؤاد : " قمم أدبية " ص ٤١٣ ، ٤١٩ .

(٢) ع٥ ، س ٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٣٤٥- ٦ .

ومن مجلة " البيان " انطلق علي أدهم إلى عالم الصحافة الأدبية فكتب في الرجاء والسفور ، والبلاغ ، والسياسة اليومية ، والثقافة ، والرواية ، والرسالة ، والآداب ، وغيرها من الصحف[1].

أيضاً وردت على صفحات " البيان " عدة أسماء قامت بترجمة أعمال جليلة أمثال : محمد لطفي جمعة (ت ١٩٥٣م) الذي أهدى للمجلة في العدد السابع من السنة الأولى ١٩١١م كتاب " الحكمة المشرقية " ويتضمن ثلاثة أجزاء، ونُشر له أيضاً بعض ما ترجمه من كتاب " الواجب " لجول سيمون (ت١٨٩٦م) وقد بدأه المترجم ببيان وافٍ ودراسة شاملة عن الوسط الأدبي والعلمي والسياسي الذي نشأ فيه المؤلف .

كذلك ترجم صالح حمدي حماد (ت ١٩١٣م) فصلاً من مسرحية " فاوست " بعنوان " غواية فاوست " وعدة أجزاء من رسائل الفيلسوف الروماني سنيكا . ومنهم أيضاً الشاعر محمود عماد فترجم قصيدة إنجليزية بعنوان " جولة في الأصيل " وفصلاً من مسرحية " الملك هنري الخامس " لشكسبير (ت١٦١٦م)[2]. وعبد الرحمن صدقي (ت ١٩٧٣م) وقصيدة " انقباض النفس " للشاعر كولردج (ت ١٨٣٤م) وصاحب رمز (ط . ر) الذي ترجم مقالة (الشعر والمدنية) للكاتب والمؤرخ اللورد ماكولي (١٨٥٩م) وقصة " رأس العائلة " للروائي الروسي انطوني تشيخوف ، وأيضاً قدم الأستاذ عبده البرقوقي فصلاً

---

(١) كان الأستاذ " علي أدهم " أيضاً مؤلفاً إلى جانب عمله بالصحافة والترجمة ، فقام بتأليف جملة من الكتب . انظر : د. فؤاد : "قمم أدبية " ص ٤٢٠ .

(٢) محمود عماد . كاتب وشاعر مصري من أصل لبناني ، عالي الطبقة في الشعر ، إلى جانب ما ملكه من أسلوب سلس وعميق في النقد الأدبي ، توفي ١٩٦٥م .

بعنوان (الإدانة والمسئولية) من كتـاب « آثار السلف » للعالم دانتك ، ومن كتاب « العدل والحـرية » للأستاذ جو بلوث بـاب (واجب المرء نحو نفسه) ، (وواجبه نحو الله) ، ومن باب (العدل الاجتماعي) فصل (الحرية) .

وبالحديث عن مترجمي « البيـان » ينتهي الفصل الأول ، وفيه ظهرت مكانة التـرجمـة لدى « البيـان » ورؤيتهـا لها كـأفضـل الوسائل النافـعة في اتسـاع دائرة الثقافة، وفي ترقية الوطن والشعوب ، إذا ما استخدمت بشكل صحيح . فالترجمة عند « البيان » حاجة لا تقل عن التأليف ، لأنها كانت تعيش عصر النهضة واليقظة الفكرية .

وبهذه الرؤية السليمة للترجمة نجحت « البيان » باستعانتها لأعلام المترجمين الأدباء العرب ، ونقل أرقى ما لـدى الغرب من إبداعات فنية ـ لقرائهـا ـ سواء كان شعراً ، أدب اعترافات ، قصة ، مسرحاً ، مقالة .

الفصل الثاني

الفنون الإبداعية المترجمة في البيان

أولاً : الشعر المترجم :

أ ـ خصوصية المذهب الرومانطيقي .

ب ـ جوانب التأثر بالرومانطيقية .

ثانياً : أدب الاعترافات .

ثالثاً : القصة المترجمة في « البيان » اتجاهاتها وغاياتها :

١ ـ القصة وباب الفكاهة .

٢ ـ القصة فن أخلاقي .

٣ ـ الدعوة إلى الواقعية .

٤ ـ اتجاهات القصة في « البيان » :

أ ـ القصة الاجتماعية .

ب ـ القصة النفسية .

٥ ـ إبراز قيمة النص .

٦ ـ إبراز مكانة القاص .

٧ ـ دعوة « البيان » إلى كتابة القصة العربية .

رابعاً : المسرح المترجم .

خامساً : المقالة المترجمة .

أولاً : الشعر المترجم :

أ ـ خصوصية المذهب الرومانطيقي :

انحصر معظم ما ترجمته " البيان " من الشعر ضمن نطاق حدود المذهب الرومانطيقي والذي ظهر في أوائل القرن التاسع عشر ، وأتت بعده مذاهب غربية أخرى كالواقعية والبرناسية والرمزية . وحرصت " البيان " على انتقاء أشهر القصائد العالمية لكبار أدبائه في أوروبا ، إذ كان لكل منهم مفهومه الخاص ورؤيته الشعرية(١) . ولعل البيان تعمدت هذا التنوع لأنها أرادت أن تزّود الأدباء العرب بأصناف متنوعة من الثقافات المتعددة . وممن ترجمت لهم من شعراء الرومانطيقية الإنجليزية الشاعر بيرون ، وأشهر أعماله " دون جوان " ومقطوعة " أيها البحر " وقصيدته " تشايلد هارولد " . وللشاعر جون كيتس (ت ١٨٢١م) قصيدة "قصرية النعناع " و " انقباض النفس " للشاعر كولردج . ومن الفرنسية كان للشاعر لامارتين الحظوة في ترجمة أشهر قصائده على صفحاتها عن غيره من الشعراء ، أمثال : البحيرة ، والخلود ، وشاعر يتمرد . كما نشرت للشاعر الألماني هايني (ت ١٨٥٦م) بعنوان " قصيدة غزلية " والشاعر الروسي تور جنيف " أشعار منثورة "(٢) .

فكان الشعر الرومانطيقي وحده على صفحات " البيان " بما يحمل في طياته جملة معانٍ، فهو شعر الخيال والمغامرة والنفس الإنسانية والمعاني القومية ،

---

(١) انظر : تيغم ، بول فان : " الرومانسية في الأدب الأوروبي " ترجمة : صياح الجهيم ، ج١ ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٨١م . وانظر : الخطيب ، حسام : " محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية " مطبعة النصر ، دمشق ١٩٨٢م ، ص ١٩٢ ، ٢١١ ومابعدها .

(٢) عللت المجلة الأسباب التي جعلتها تقدم ترجمة شعر لامارتين عن غيره ، انظر ص ١٤٢ .

هذا إلى كثافة الصور الفنية(١). وهذه المعاني جميعها دعت إليها المجلة في مستهل كل ما ترجمته من قصائد ـ كما سيرى لاحقاً .

ولعل ما دعت إليه البيان في منهجها من اتخاذ الأساليب البيانية في الكتابة والترجمة كان له علاقة بتلك الخصوصية ؛ لأن بلاغة الشعر في التصوير البياني ، والصورة الفنية هي أساس التعبير الشعري(٢) . وذلك في مثل مقطوعة "أيها البحر" للشاعر بيرون ، فقد صور فيها عظمة خلق الله في محاولة تجسيد البحر على أنه شخص عظيم ، منحه الله مملكة دائمة ، وعينيين تشاهدان تحولات الزمن على سواحله عبر سني الحياة منذ بدء الخليقة ، وهو مازال يملك التفرد والثبات في القوة والعظمة أمام ما يحيط حول سواحله من أحداث ، فيقول : ((أيها البحر إنك المرآة العظيمة تتجلى فيها قوة الخالق عواصف وزوابع ؛ لأنت تمثال الأبدية وصورة الخلود في كل زمان ومكان ساكناً أو ثائراً تحت النسيم العليل ، أو الصرصر العاتية ، لدى القطبين منجمداً أو عند خط الاستواء فائراً ، أنت النسيج بلا حد ؛ الممتد بلا نهاية ، تطيعك الأقاليم ، وتدين لأمرك المناطق ، متدفق الأمواه هائم التيار مرهوباً مخوفاً منفرداً وحيداً))(٣).

نلاحظ أن الصورة الإيحائية الفنية ظاهرة في المقطوعة السابقة ، وقدرة الشاعر على نقلها في صورة متقابلة بين وهن الإنسان وعدم قدرته على الاستمرار في الحياة وعمره القصير أمام البحر ، الذي لا ينتهي إلا بانتهاء الحياة . وهذه

---

(١) د. الأيوبي ، ياسين : "مذاهب الأدب معالم وانعكاسات" ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م ، ص ١٢٠ .

(٢) انظر : د. مندور ، محمد : "الأدب وفنونه" دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧م ، ص ٣٨ .

(٣) مجلة "البيان" ع١ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٥٣ ـ ٥٤ .

الصورة الشعرية تعود بنا إلى ما سبق ذكره عن "البيان" في معرض اختياراتها من الشعر العربي في باب (النهر التراثي) إذ كانت تنشر مقطوعات شعرية لا قصائد كاملة لكبار شعراء العصر العباسي أمثال ابن الرومي وأبي العلاء . وجميعها حملت المعاني ذات القيمة الموضوعية مع إبراز الصورة الفنية . ولذا عنيت بترجمة الشعر الرومانطيقي حتى توازن في عملية الاختيار من الشعر حسب منهج المجلة فيما بين التراث العربي والوافد الغربي(١).

ولعل "البيان" من جهة أخرى تعمدت ترجمة الشعر الرومانطيقي وحده ، للقاسم المشترك بينه وبين الشعر العربي ، وهي صفة الغنائية ، فإنها تمثل روح هذا المذهب الفني وقوامه ؛ بل أهم منجزاته ، وإن اختلفت عن الغنائية في الشعر العربي بغلبة النزعة الفردية ، والتي تنبع من وجدان الشاعر ومعاناته وهمومه الذاتية(٢) . لما لها من أسباب سياسية واجتماعية ثم فنية ، فقد اقترن ظهور المذهب الرومانطيقي بمرحلة الثورة الفرنسية ١٧٨٩م ، فكانت ثورة على كل القيود الاجتماعية التي أوجدتها الأرستقراطية ، ومن ثم أصبحت ثورة فنية ضد قواعد المذهب الكلاسيكي الذي وضع مقاييس وقواعد حبست الخلق والإبداع منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر إلى أن تردّى الأدب في هاوية الشكلية ، ومن ثم ظهرت الرومانطيقية في جميع أنحاء أوروبا كثورة فنية تقيم من جديد دعائم للأدب في صورة جديدة وأهمها مهاجمة الموضوعية ، والعزوف عن اللغة المنمقة

---

(١) انظر : ما تقدم في موضوع "أمالي البيان" عن "المختارات الشعرية".

(٢) انظر : ما ذكره الدكتور محمد مندور عن الشعر الغنائي : (السابق) ص ٥٣-٥٤ وانظر : ليليان فرست :
(الرومانسية) ؛ "موسوعة المصطلح النقدي" ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة ج١ ، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٦١، ٢٣٤ وما بعدها .

المتقيدة بالقواعد لصالح لغة سهلة شعبية متحررة ، والهروب من العقل الواعي إلى الذات ، وإطلاق العنان للنفس لتبلغ عالم الأحلام(١) .

ومن ذلك قصيدة " الخلود " التي كتبها لامارتين لمحبوبته التي قضت نحبها ، وقد كان يعاني حينها ألم المرض والموت ، قال فيها : ((وأما أنا فيوم ... أسمع الأرض تتنهد منشقة الجوف وتتأوه ، وأرى كرتها مائدة هائمة تضطرب عن كثب من السماوات وتمور ، تبكي إنسانها الفاني ، وابنها الدفين ، مترامية في أحضان الأبدية فانية ، وأدور حولي ، فأجدني الشاهد الوحيد ، والحاضر الفرد ، يحف بي الموت ، وتحوطني الظلمات ، عند ذاك سأنهض واثباً ، لا خوف ولا رعب ، أفكر فيك يا نصف الحياة ، وأحلم ، موقناً برجعة فجر الأبد ، وعودة عالم الخلد ، أرقب لقاءك ، وأرجو زورتك))(٢) .

ولا مراء بأن " البيان " أرادت من خلال طرح الصور والمعاني المختلفة للشعر الرومانطيقي المترجم العمل على نشر هذا الاتجاه في الأدب العربي الحديث ، لأن الرومانطيقية تصبح ضرورة في فترة من الفترات ، لترد الإنسان إلى الحياة الصحيحة ، فيبحث عن ذاته بعد أن عراه الجمود وأوشك أن يقتله التخلف ، يقول الدكتور سيد النسَّاج : " تعتبر الرومانسية صياغة حضارية لأزمة التناقض بين القيم القديمة والعلاقات الاجتماعية الجديدة ، وأدوات الإنتاج المستحدثة ، التي كانت

---

(١) الخطيب : (السابق) ص ,١٨٥ وباب " صحائف الغرب " مقدمة قصيدة " دون جوان " مجلة " البيان " ع١ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٤٩ ، وباب " روايات البيان " مقدمة قصيدة قصرية التعناع " ؛ (السابق) ع٢ ، س٧ ، ١٩١٩، ص ١٠٧- ٨ .

(٢) مجلة " البيان " ع١ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ,١٨

نتاجاً للتقدم العلمي "(١) . ومجلة " البيان " التي عاصرت الحرب الأولى ، آمنت بأن الظروف قد تتشابه ، وإن اختلفت الأحداث من قطر إلى آخر ، فما حدث في فرنسا ومن ثمّ أنتج الرومانطيقية كفن أدبي ، يشبه الأحداث التي مرت بها مصر في غضون القرن التاسع عشر ، وقد عانت من نكسة أدبية نتيجة لنكسة سياسية واجتماعية . ولذلك لم تظهر أي نهضة فنية يتطور فيها الشعر ، وإنما ظهر شعراء مقلدون لأدباء عصور الانحطاط والضعف ، فلم يكن همهم في نظم الشعر إلا إبراز المهارة اللفظية والقدرة على إظهار البراعة في اقتناص ألوان البديع ، فلا شعور ولا عاطفة(٢) . ثم تدرج هذا التقليد الأعمى إلى المحاكاة الرفيعة عبر تحولات الزمن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فظهر رواد أحيوا الشعر العربي القديم ؛ بعدما اطلعوا على نماذجه الرائعة في عصور ازدهاره ، فأعادوا إلى الشعر روحه ، وصاغوه في أساليب جزلة وقوية ، تزعّمهم فيها البارودي ثم شوقي وحافظ ، والأخيران استطاعا أن ينزلا بالشعر إلى ميادين الحياة العامة ، ولكنهما لم يقفا عند النزعات الإنسانية ، ولم يتعمقا في بواطن النفس البشرية ومشاعرها المتأرجحة بين الحزن والألم والسعادة والفرح . وهذا بالطبع لم يرض أصحاب المذهب الجديد من كتّاب ومترجمي مجلة " البيان " وعلى رأسهم أصحاب مدرسة الديوان ١٩٢١م العقاد وشكري والمازني ، ولذا لا غرابة في هذه العناية بترجمة الشعر الرومانطيقي عن غيره من المذاهب الأخرى في مجلة " البيان " وخاصة أن طبيعة ظروف عصر المجلة فرضت هذا اللون الذاتي ، كما سلف ذكره(٣) .

(١) " في الرومانسية والواقعية " دار غريب ، القاهرة ١٩٧٧م ، ص ١٠ .
(٢) انظر : لبعض النماذج الشعرية التي تمثل هذا اللون ، الدسوقي عمر : " في الأدب الحديث " ج١، ص ١٥٦ وما بعدها .
(٣) اعدّ الدكتور شوقي ضيف ظهور الغنائية الرومانطيقية عند الشعراء الفرنسيين داء سرى إليهم بسبب الظروف السياسية والاجتماعية ، وقد انتقل إلى شكري وزميليه ومن ثم شعراء مصر ، لأنها كانت تعيش ظروفاً سياسية متشابهة حطمت أحلام الشباب المتطلع . انظر : " الأدب العربي الحديث في مصر " ص ٦٠ .

ب ـ جوانب التأثر بالرومانطيقية :

أبدت " البيان " اهتماماً جلياً بشعراء الرومانطيقية ، وما قدموه من الناحية الموضوعية والفنية لمذهبهم ، وكل ذلك من خلال مقدماتها للقصائد المترجمة ، وكأنها بذلك تدعو شعراءها المعاصرين إلى الاقتداء بهم . إذ كانت تعرّف بكل شاعر ومذهبه وفكره ، وما الذي فعله لمجتمعه وفنه الذي برع فيه . فعندما قدمت الشاعر بيرون أرادت من أدبائها أن ينزلوا بمعانيهم الشعرية إلى ساحات الشعب لخدمة مجتمعهم . فقالت : ((أنه نصير الحرية ولسانها ، وقد ثار في وجه عصره ورآه مختلاً متشعثاً فأحب أن يسدّ خلله ويلمّ شعثه . وشعره بوق يصدع بمطالب الثورة الفرنسوية ومبادئها . وأكبر قصائده هي هذه التي سنقدم تعريبها ... وهي هجاء للمجتمع الإنساني كما كان في عصره))(١) . كذلك عرّفتهم بالشاعر جون كيتس ؛ ليستوحي منه الأدباء عناصر الجمال في الشعر ، والذي لقبه نقاد الشعر الأوروبي " شاعر الجمال " لأنه أعرض عن الأغراض العامة ، وتفرّغ للإبداع في تصوير الجمال المؤلف للحياة والكون(٢) . وبهذا ، فالبيان كانت تهدف من خلال عرضها للقصائد الرومانطيقية المترجمة ،إلى زرع المعاني الإنسانية في قلوب الشعراء العرب ليخرجوا من نطاق أغراض الشعر إلى ما يخص عالم الإنسان، والإحساس بمظاهر الكون وجماله، فتتسع بذلك النظرة إلى الحياة . ولذا كانت تتدخل بوجهة نظرها في كل قصيدة تترجمها ، حتى تبرز المعاني الجمالية للشعر الرومانطيقي ، فقد وجدت أنها قمينة بالأخذ ، مع العلم أنها لم

---

(١) ع ١ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٩ .

(٢) انظر : ع ٢ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ١٠٧ ـ ٨٥ .

تلفظ باسم الرومانطيقية إلا نادراً . مما يوحي بأن مجلة " البيان " رأت أن التأثر الحميد يتم عن طريق المعاني لا التقليد والمحاكاة للمذاهب الغربية[1] .

أما أبرز الخصائص الفنية التي عنيت بها من خلال مقدماتها للقصائد فكانت على النحو التالي :

١ ـ دعوتها إلى أهمية التجربة الشعرية ، والتي تقترن بالصدق والحقيقة لأنها لا تعود إلى مهارة الشاعر في صياغة القول فيعبث بالحقائق أو يكتب إرضاءً لشعور الآخرين ، وإنما يكتب حينها عن قناعة ذاتية ، بإحساس فنان لما يدور حوله من أمور نفسية وعاطفية ، فيأخذ ذاته وسيلة للتعبير عن الجماعة[2] . وقد كانت "البيان " في هذا معجبة كثيراً بالشاعر لامارتين ، فعندما ترجمت قصيدته "جوسلان " أو " صفحة من فلسفة الحياة " ذكرت بأنها تعمدت هذا الاختيار لأنه يقع لديها في مصاف شعراء العالم الصادقين ، وذلك لأنه حسب قولها : ((وضع كل روحه في أشعاره ، واعتصر قلبه فألقى بخلاصته في كتبه وديوانه ، فلا تقرأ له من رواية ، ولا تستمع له من شعر إلا وجدت قلبه يطفر من خلال سطوره وأجزائه، هذه رواية " روفائيل " ... وهذا كتاب الاعترافات ، وهذه قصائده جميعاً وأبياته ، لا تحتوي غير وقائع حياته ووصف عواطفه وآلامه ومباهجه

---

(١) أوردت " البيان " ذكر الرمانطيقية مرة واحدة ، بلفظ " الرومانتية " وذلك في معرض حديثها عن الأديب الفرنسي شاتوبريان ، فقالت : " وهو في ربيئة كتاب العالم ، وأكبر قواد النهضة الرومانتية المعروفة في الأدب الفرنسي ، والتي كان من فرسانها بعد أن مهد لهم السبيل شاتوبريان بما بثة من الروح الجديدة في الأدب هيجو ولامارتين وغيرهما " ع١ ، س٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٦ .

(٢) هلال ، محمد غنيمي : " النقد الأدبي الحديث " ط٣ ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٧م ، ص ٣٨٣ .

وأحزانه ، فهي من هذه الناحية كتاب الحياة البشرية كلها ، وخلاصة ترجمة عواطف الجنس البشري بأجمعه ، إذ كان البحث في تاريخ إنسان واحد ، كما يقول الشاعر بوب هو البحث في تاريخ النوع الإنساني كله))[1] . ولذا قصدت «البيان » نشر قصيدته " جوسلان " من بين أعماله ، فقد رأتها تجيش بكل معاني الحياة الإنسانية وفلسفتها ، وتصف مدى ضآلة الإنسان وضعفه ، إزاء عظمة الأقدار الإلهية وقوتها ، كما أنها ليست من المخترعات الشعرية أو من نسيج الخيال، بل قصة واقعية حدثت أثناء الثورة الفرنسية لقسيس يدعى جوسلان . استطاع الشاعر أن يجسد هذه الشخصية ، ويضيف إليها كثيراً من ذكرياته الخاصة ، وحوادث حياته ، ومشاعره ، ومجموعة من آرائه الفلسفية ومبادئه[2] . فيقول : عن "جوسلان" وصديقه اللذين لاذا إلى قمة كهف مهجور خوفاً من الثوار ، وكانا فيها يقتسمان وحشة العزلة : ((... وحين نشهد القمر في صميم الليل بازغاً مستهلاً ، ساطعاً على صفحة البحيرة منبسطاً ، فنسجد فوق الصخر الأصم خاشعين ضارعين ، ... نشكر الله اليوم الذي أعطانا ، ونحمد له الليلة التي وهبنا ، ونسأله الشمس تطلع علينا بالغد الهنيء ، ونرسل ضراعاتنا ودعواتنا للذين على الأرض ، مبتهلين للمتوسدين بطونها ، ولورانس يجاهد الدمع ويغالبه ، ومتهدج الصوت في حزن ، ناشجاً في شجن ، يرسل من عينه ما بقي من عبرات الابن لذكرى الوالد ، ... كذلك نختم يومنا ، نمضي في سلام لنهجع في رفق))[3] .

---

(١) ع٤ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ٧١- ٧٢ .

(٢) (السابق) ص ٧٢ .

(٣) (السابق) ع٦ ، ص ١٤٢ .

وأما جوسلان فهو رمز للإنسان الذي يعيش في حالة صراع نفسي بين العاطفة وأداء الواجب ، عندما يكتشف أن صديقه فتاة وليس بفتى ، ولكنه لا يلبث أن يستجيب لشيخه ، فيأخذ العهد منه بعدما حُكِمَ عليه بالموت تحت المقصلة من قبل زعماء الثورة . وكأن " البيان " أرادت بنشر أمثال هذا القصص الشعري ، ومما يمثل بعض مبادئ الدين المسيحي في موضوعها إلى الاستفادة من جوهرها ، بأن صوت الواجب والعقل أقوى من ملذات الحياة ومتاعها ؛ ولأن منها ما قد يصرف الناس عن أداء واجباتهم الدينية أو الوطنية(١) .

وبهذا فالبيان تأثرت بمفاهيم الرومانطيقية من خلال ما ترجمته لشعرائها أمثال : الشاعر لامارتين وبيرون ، فهما لديها مثال الشعراء الصادقين لأنهما تحدثا عن معاناة شعوبهم الإنسانية(٢) . ولذا فصلت الخطاب في أن الصدق هو الأساس للحكم على شاعرية الشاعر ، فليس بشاعر لديها ذلك الذي يلقي على الناس صورة مكبرة من عواطفهم ووجداناتهم ، ويطّلع على نماذج متخيلة ومفتعلة من أخلاق العالم ، وغرائب طباعهم ، إنما الشاعر هو الذي يتصفح القارئ قصائده فكأنما يتصفح أحداث حياته ، ويشعر أنه يقرأ أفكاره ، ويشهد مشاعره ، ومكنونات عواطفه ، وكأنما كتب الشاعر عنه ، لا عن نفسه . ورأت " البيان " أن قليلين من الشعراء الذين التزموا بهذا المفهوم ، مثلما كان الشاعر الفرنسي لامارتين، فتصدر حكماً ثائراً ضد الكذب في الشعر الذي يجيزه كثيرٌ من الشعراء، بأنه هو الذي يفقد الشعر جماله وحقيقته ، كجمال المرأة وحكمهم فيه على الظاهر دائماً متى ما كانت مبتذلة في مساحيقها وكواذب حُلِيِّها ، فتغيب

---

(١) انظر : (السابق) ع٨ و ٧ ، ص ٢١٣ وما بعدها .

(٢) انظر : مقدمة قصيدة " دون جوان " ع١٠ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٤٩ .

حينئذٍ عنهم حقيقة المرأة الجملية ، فتقع تلك موقع المرأة الخفرة الحسناء في بساطة أثوابها وحقائق تقاطيعها ، وهؤلاء الشعراء في رأيها قوم متملقون وكاذبون ، ويفتقدون معنى الصدق ، إذ إنهم كما تقول : ((يرسلون دواوينهم فلا يظهرون لك إلا .. عيوناً باكية ، ووجوهاً كاسفة ، وقلوباً دامية ، وأنت بين ذلك لا تجد لكل هذه العوارض الشعرية أثراً في نفسك ، ولا تحس لها لهيباً في عواطفك ، وما أعجب إلا من أولئك الذين يقولون باستجازة الكذب للشعراء ، فإنّ هؤلاء لا يريدون أن يفهموا معنى الجمال))(١).

٢ ـ ومن فهم " البيان " لصدق التجربة الشعرية كأساس مهم في فهم معاني الجمال لدى الشعراء الرومانطيقين إلى توظيف الخيال وأهميته في استجلاء الصورة الشعرية ، وذلك عن طريق إخضاع الطبيعة لذات الفنان ، التي يعبر عنها حسب حالته الشعورية . فالطبيعة لم تُصوَّر لدى الرومانطيقيين لذاتها ، وإنما خضعت لغاية أبعد ، وهي التعمق في تصوير الحالة النفسية للبطل أو الشاعر(٢). وممن ترجمت لهم في تشخيص الطبيعة الشاعر كولردج في قصيدته " انقباض النفس " منها قوله : ((حزن في غير ما ألم ، أجوف موحش معتم ، حزن مكظوم نعسان هادئ لا يجد له مخرجاً أو مفرجاً في كلمة أو زفرة أو عبرة – بلى يا سيدتي – في هذه الحال من الكمد والخمود استغوتني أغاريد طائر صداح إلى الاسترسال في

(١) ع٤ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ٧١ .

(٢) حاتم ، عماد : " مدخل إلى تاريخ الآداب الأوروبية " ط٢ ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٤م ، ص ٣٠١ .

قال الدكتور غنيمي هلال : أن للرومانطيقين الفضل في توضيح معنى الخيال ، والذي هو غير الوهم والتخيل . انظر : " الأدب المقارن " ط٣ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص٣٩٤ .

التأملات فكنت طوال هذا المساء المتأرجح الساجي أرمق الأفق الغربي وصبغته الوارسة))[١] .

ولقد تحدثت " البيان " عن العلاقة الحميمة بين الشاعر والطبيعة في مقدمة قصيدة " شاعر يتمرد " للامارتين ، وبالغت في قولها وفي تجسيد هذه العلاقة ، وكأنه من الطبيعي أن ينعزل الشاعر عن العالم حينما ترهقه الأحزان والنكبات ، قائلة : ((هي ضمير رجل متمرد ساخط ضاقت نفسه من شرور العالم وآلامه ... حتى حسب الأرض والسماء وعناصر الكون في مناحة تئن أنينه وتنتحب))[٢] .

وكانت " البيان " تؤكد على أهمية الخيال الصادق ، كما فعل شعراء الرومنطيقية في استلهامهم للطبيعة ، وتوظيفها للتعبير عن خلجات نفوسهم ، لما لها من دور في توسيع آفاقهم الفكرية والخيالية ، إلا أنه يشوب هذه النظرة فهم ساذج لدى بعض شعراء " البيان " أمثال محمود عماد ، الذي رأى أن الطبيعة هي الحَكَم في مقدار المخيلة الخصبة لدى الشعراء ، ونفث الشاعر عن مكنونات دواخله، ومن جهة أخرى رأى أن شعراء الغرب فاقوا الشعراء العرب ، لأن الطبيعة أعطتهم المقدرة عن الإبانة والإفصاح فهي وحي وإلهام الشاعر[٣] . وقد أعرب عن رأيه هذا في أعقاب ترجمته لقصيدة إنجليزية لم يذكر اسم كاتبها بعنوان : " جولة في الأصيل " فقال : ((فما صحيفة الشاعر إلا صورة لصحيفة الطبيعة في بلادهم. وذلك مصدر ما نراه من التباين في خيال الشعراء الغربيين والشرقيين))[٤].

---

(١) ع٣٦ ، س ٨ ، ١٩٢٠م ، ص ١٥٤ .

(٢) ع١٠٦ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٥٣٥ .

(٣) أنظر : ع٥و٦ ، س٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٨٠ – ١ .

(٤) (السابق) ص ١٨١ .

والحقيقة أنّ ما قاله الشاعر هو حكم متعسف في حق الشعر العربي ، الذي اتهمه صراحة بقلة الخيال والصور الشعرية إثر قلة المناظر الطبيعية ، وهذا مردّه إلى تأثر أمثال هؤلاء بكل وافد غربي جديد ، وعدم دراية وفهم لحقيقة النقد الأدبي العربي .

٣ ـ مثلما استوقفت " البيان " قراءها عند علاقة الطبيعة بمشاعر الفنان ، كذلك استوقفتهم عند اتخاذ شعراء الغرب عالماً مثالياً ، وظفوا فيه خيالهم للتعبير عن ذواتهم ، كما فعل الشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه في قصيدته «ليلة أكتوبر» ولجوئه إلى ما أسماه بآلهة الشعر ، وهي في الحقيقة رمز لانطواءِ الشاعر على ذاته . قالت " البيان " عن هذه العلاقة ((وهي على شكل خطاب بينه وبين (آلهة) الشعر ، ويعني بها تفكيره ونفسه وخواطره))[١].

((آلهة الشعر ... أيها الشاعر إن الإنسان طفل والحزن معلمه ، ولن يتهذب حتى يحترق بنار الألم ، ويخبز في موقدة العذاب ، تلك شريعة صلبة قاسية ، ولكنها سنة عالية سامية ، قديمة كالعالم ، وكما ترى الحبوب لا تنضج إلا بالري والسقاء ، تشهد الإنسان لا يعيش ويحس إلا بالدموع والبكاء))[٢].

وقد عقبت " البيان " على تلك القصيدة بأنها مفعمة بكل فلسفة الحب والألم والعزلة ، وهذه المعاني جميعها تقع ضمن إطار المفاهيم الجمالية للشعر الرومانطيقي .

٤ ـ إلى جانب ما ركزت عليه " البيان " من النواحي الفنية للشعر الرومانطيقي أشارت إلى ما أسمته بالقصة الشعرية ، في وقت لم يألف الشعراء

---

(١) ع١٠و١١ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ١٣٧ .

(٢) (السابق) ص ١٤١ .

العرب هذا النوع الفني من أجناس الشعر ، وذلك في قصيدة " قصرية النعناع " لجون كيتس(١) . وقصيدة " جوسلان " فقالت عنها : ((هي قصة شعرية مستفيضة بكل معاني الحياة وفلسفتها))(٢) .

وكون " البيان " تترجم لأمثال تلك القصائد فإنها إشارة من المجلة ، دلت بها على أهمية الوحدة الموضوعية ، مما قد يعطي للعمل الفني قيمته من حيث ترتيب أجزاء الحكاية والأحداث . والتي اتخذها الرومانطيقيون وسيلة لبث آرائهم في المجتمع ونُظمه وآفاته كما فعل بيرون في قصيدته " دون جوان "(٣). والملاحظ أن " البيان " جعلت الأمر مبهماً للقارىء ، فلم تقدم له شرحاً وتفسيراً يوضح المقصود من معاني القصة الشعرية(٤) . بيد أن هذا التفسير ظهر من خلال طرحها للقصائد كاملة ، مما يوحي للقارئ بأنه يقرأ قصة لا قصيدة لاعتمادها على توالي الأحداث ، ونمو الصور ، ودلالة هذا النمو على الحركة الشعورية في نظامٍ منطقي(٥). فعندما ترجمت قصيدة " اغتصاب الضفيرة " للشاعر الإنجليزي الإسكندر بوب (ت ١٧٤٤م) ذكرت أنها قصة من أصل حقيقي ، حولها الشاعر في قصيدته من طورها الجدّي إلى الهزلي ، ليحقق بها الغرض الاجتماعي المنشود(٦). والطريف أن الشاعر حلّق فيها بخياله ، فجعل للحسناء صاحبة

---

(١) انظر : ع٢ ، س٥ ، ١٩١٧م ، ص ١٠٨ وما بعدها .

(٢) ع٤ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ٧٣ .

(٣) انظر : ع١ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٤٩ وما بعدها .

(٤) سبق الشاعر خليل مطران في مجلته " المجلة المصرية " مجلة " البيان الدعوة إلى كتابة الشعر القصصي ،وقد أوفاه شرحاً .

(٥) د. هلال : " النقد الأدبي الحديث " ص ٤٠٤ .

(٦) .انظر : ع٢ ، س٥ ، ١٩١٧م ، ص ٣١ .

الضفيرة المغتصبة حراساً من الجن يقومون بخدمتها : ((وبعد فاعلموا أيها الجن والعفاريت أن شأم الفال يهدد اليوم بيلندا نخبة الخرد الغيد لست أعلم ماكنهه وما حقيقته . بل كل ما أعلم أنه خطب سينالها اليوم بطشه أو خديعته ... فبادروا أيها الأعوان إلى المليحة وادفعوا عنها كل طارئ شر وطارق ضر . ولتكن عناية العفريت " نسيم " بالمروحة الرجراجة . وعناية " لؤلؤ " بالجواهر الوهاجة . وليوكل " أبو دقيق " بساعتها العسجدية . وليسكتف (الجعدي) أمر ضفائرها الذهبية ، أما أنا فسأرعى كلبها المألوف ، وأحوطه من المهالك والحتوف))[1] .

وخلاصة ما تقدم ، فمجلة " البيان " كانت إحدى أهم الصحف الداعية إلى تجديد الشعر العربي في عصره الحديث في مطلع القرن العشرين ، فلم تقف عند حدود النشر لما ترجمته من روائع قصائد الأدب العالمي ، بل صرّحت بآرائها في مستهل كل قصيدة ، ونوهت بقيمة المعاني الموجودة في كل منها ، ولم يكن هذا الاهتمام بالشعر فقط بل شمل جميع الفنون الأدبية الأخرى المترجمة على صفحاتها ، كما سيأتي .

وفي خاتمة الحديث ، لابد من التنبيه إلى أن عملية الترجمة للشعر كانت جميعها نثراً ، ماعدا قصيدة واحدة تمت ترجمتها شعراً وذلك في العدد العاشر من السنة الأولى بعنوان : " لامارتين على جبل الكرمل " صاغها المترجم عباس العقاد بذوق عربي :

فرحماك يا بنتَ المشارقِ إنَّ لي فؤاداً بربات الجمالِ تَعَلَّقا
لحسنك [سرفي الفؤاد كسرّه] على المَاءِ أنْ حَكَاكِ فَدقَّقا

(١) (السابق) ع٣ ، ص ٤٦ .

فقدْ رَسَمتْ فيها لِحاظُكِ صورةً   مدى الدهر لا تمحى وتزدادُ رونَقَا[1]

ولعل " البيان " فضلت ترجمة الشعر نثراً ؛ لتضمن للنص المنقول سلامته ، حتى لا يفقد روحه وجماله وترابطه ، ويبقى بذلك محافظاً على معانيه وأخيلته وصوره[2].

ثانياً : أدب الاعترافات :

كان لاطلاع مجلة " البيان " على الشعر الرومانطيقي ، ونشرها بعض قصائد شعرائه له دور بارز في اتساع معرفتها الأدبية عنهم ؛ لتشمل أقرب الفنون إلى نفوسهم ، وهو ما يعرف بأدب الاعترافات . حيث يجد فيه الأديب ملاذاً ليهرب إلى ذاته ، وكأنه بذلك يلقي أحماله وأوزاره النفسية على القارئ الذي منحه الثقة وأطلعه على أخص خفاياه . وعادة ما يجتر الكاتب راحة نفسية بعد أن فرَّغ شيئاً من مخزونه الداخلي ، وأبرز الأنا العليا التي كانت ظاهرة في مجمل أعمال الرومانطيقيين .

وقد أعطت " البيان " إضافة جديدة للأدب العربي ، حينما عرّفت قراءها بأدب الاعترافات بدأته أولاً بترجمة اعترافات الأديب الفرنسي ألفرد دي موسيه بعنوان " فتى العصر " وهي صفحات من آلام روح هذا الفنان[3] . وبعدما اختمر هذا النوع من الكتابة في نفوس القراء ، ووجد لديهم القبول والاستحسان

(١) ع١٠ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ٦٨٧ ،وانظرترجمة القصيدة :العقاد ، عباس محمود: "ديوان من دواوين" ط١ نهضة مصر، القاهرة ١٩٩٦م، ص١١٨ - ٩ .

(٢) أشار الأستاذ الناقد علي أدهم ، وهو أحد مترجمي " البيان " مراراً إلى صعوبة ترجمة الشعر . انظر : "على هامش الأدب والنقد " ص ٢٢٩ .

(٣) انظر : ع٥و٦و٧ ، س٢ ، ١٩١٣م ، ص ٢٢٥ .

باعترافات موسيه ، قدمت تعريفاً نظرياً عن ماهية الاعترافات في معرض ترجمتها لاعترافات " سكير " للكاتب الإنجليزي شارلز لام . وبذلك تركت مجلة «البيان» للأدب الحديث المعاصر أثراً فنياً له قيمته على الصعيد الأدبي . بما يلقي الضوء على معنى الاعترافات في أوائل القرن العشرين (١٩١٣م) . إذ قالت : ((ليس في مناحي الأدب وأبوابه منحى أشد تأثيراً وأعظم وقعاً في نفوس القراء من ذلك المنحى المعروف بالاعترافات))[١] . وقد عللت قوة التأثير الذي يكمن في هذا الأدب بعنصر الصدق فيه ؛ لأن الصدق من شأنه أن يخلد أي عمل أدبي . فقالت: ((ولقد صدق الشاعر بوب حيث قال : أن أصدق بحث في شؤون الإنسانية هو البحث في شؤون الإنسان : أو ليس معنى الاعترافات أن الكاتب يستقبلك بين ثنايا ضميره ، ويرحب بك في أعماق سريرته ، ويقبل عليك بأسراره، ويفتح لك صدره لتطّلع إلى خباياه وأخباره. إن كاتب الاعترافات لا يكتب للساعة التي هو فيها وإنما يكتب للعصور والأجيال . ولا يخاطب رجلاً واحداً وإنما يخاطب الجميع))[٢] .

وفي ثنايا هذا التعريف تظهر دعوة المجلة للأدباء العرب ؛ أن يخوضوا مجال الكتابة عن حياتهم وسيرهم الذاتية ، ولذا فقد عرّفتهم بالكيفية التي تكتب بها الاعترافات ، فقسمتها إلى نوعين ، أولهما : ما يلزم فيه الأديب الحقيقة من غير تزييف ، ودون الاستعانة بأبواب الأدب واستخدام المخيلة الشعرية ، وأول من بدأ هذا النوع الأديب الفرنسي جان جاك روسو[٣] . فكان مطلع اعترافاته : ((إذا نُفخ في الصور ، وقام يوم الحساب ، سأذهب وكتابي هذا في يدي ، فأمثل في

---

(١) (السابق) ع١٠ ، ص ٦١٩ .

(٢) (نفسه) .

(٣) أحد دعائم امتدادات عصر النهضة الأروبية . اعتمد في اعترافاته على الصراحة المكشوفة .

حضرة الملك الأعلى ، فأقول عالي الصوت أي ربي هذا ما صنعت وهذا ما فكرت وهذا ما كنت ، لقد كنت في قول الخير صريحاً ، كما كنت في قول الشر . لم أقتل من الشرور شراً ، ولم أضف على الخيرات خيراً))(١).

أما النوع الآخر : فهو ما حلّق فيه الأديب بشاعريته ، واستعان بمخيلته ، وأول من نحا هذا الاتجاه الأديب الألماني جوته (ت ١٨٣٢م) . ولكن لم تكن له شدة روسو وصراحته(٢).

ثم قدمت نوعاً آخر من الاعترافات لم تضعه " البيان " ضمن التقسيم وإنما أدرجته تحت النوع الثاني . والذي يشبه إلى حدٍ ما القصة لما للكاتب من قدرة على مزج روح السخرية والطرفة فيه ، فقالت عنه : ((ونحن نقدم لقرائنا هذه الاعترافات التي كتبها الكاتب الفكه شارلز لام ، فلم يلتزم فيها النوع الثاني كل الالتزام ، ولئن بدا في اعترافاته شيء من الأدب والفكاهة))(٣) . ومن أقواله : ((والحق المروع المخيف ، هو أن الإدمان على الشراب ينقل المواهب العقلية ، من دائرتها الطبيعية ، ويسلبها نشاطها ، ويحرمها عملها ، حتى لا تعمل إلا بمعاودته ، ولا تسترد نشاطها إلا بمراجعته . وإن السكير ليفقد نفسه في ساع صحوة ، ويتجرد عن روحه في أوقات إفاقته . وإن في الأذى لخيراً له .

فانظرني الآن أيها القارئ وأنا في غلواء الشباب ، قد عدت أبله ممروراً ، ورحت ضارعاً مهزولاً ، وأسمعني أعدّ الأرباح التي جنيتها من كؤوس الليل ، والفوائد التي اكتسبتها من أقداح السَّحَر .

---

(١) (السابق) ع١٠ ، ص ٦١٩ - ٢٠ .

(٢) عنوان اعترافاته (الشعر والحقيقة) إشارة منه إلى أن حياة كل فرد إنما مزيج من الحقيقة والخيال . انظر : د. عباس ، إحسان : " فن السيرة " دار الثقافة ، بيروت ، ص ١١٤ .

(٣) ع١٠ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ٦٢٠ .

كنت من اثنتي عشرة سنة صحيح العقل ، سليم البدن ... أما الآن فلا يفارقني الألم ، إلا إذا فقدت نفسي في بحر من الشراب))[1] .

ومثلما قدمت " البيان " صورة عامة عن ماهية أدب الاعترافات ، وقيمة هذا الفن الأدبي لدارسي الأدب والأدباء خاصة ، بينت أيضاً القيمة الجوهرية من خلف دراسة أدب الاعترافات ، وذلك عن طريق ذات الأديب العبقري وحياته التي يجهلها كثير من الناس ، فحينما يتناول الأديب سيرته ، فإنه يكتب عن عبقرية وحياة تختلف عن حياة الدهماء من الناس ، فيصبح تاريخه ذا قيمة على الصعيد الأدبي والتاريخي[2]. فأدب الاعترافات في أسمى وظائفه يقدم للأدب صورة صادقة أمينة لهذا الكائن العبقري ، وصوراً من نشاطه العقلي والوجداني ؛ فضلاً عن ذلك يقدّم خدمات جليلة وخاصة لعلم النفس ؛ لأن صاحبها يلتزم صدق الحديث ، ولا يتحرج من الكشف عن آلامه ، ومكنونات نفسه ، فتظهر عواطفه الإنسانية على مجهر التفسير النقدي ، بشرط أن يلتزم الأدب في القول ، ولا يتجرأ إلى الإسفاف والإثارة . ناهيك أن القراء يغترفون من سير الأدباء واعترافاتهم الحكيمة ؛ لأنها خلاصة تجارب ناس ليسوا ككل البشر ، فينتهلون منها العظة والعبرة[3] . كاعترافات ألفرد دي موسيه ، والموسومة باعترافات " فتى العصر " أو " صبي من صبية العصر " ، وكان الهدف منها التشهير بعصر الشباب ومساوئه ، وفيها وصف المؤلف لما كابد من عذاب وقاسى من أحزان ، قالت عنها " البيان " :

---

(١) (السابق) ص ٦٢٦ .

(٢) يقول د. محمد أحمد العزب : " أن حياة الكاتب ليست رحلة عناء وكدح على طريق لقمة الخبز ... بقدر ماهي عناء وكدح على طريق امتلاك الكلمة .. التي هي عذابه الواصب ... وفردوسه المفقود . " " دراسات في الأدب " ، ص ١٧٢ .

(٣) انظر : د. فياض : " الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب الحديث " ص ٣٨٣ .

((وقرّاء البيان سيجدون في (ألفرد دي موسيه) مهبط حكمة ومحط صدق ومعانٍ تأخذ بمجمع النفس ، ودروس عفاف تُطهّر أرواح فتياتنا ، وتهذّب عواطف شبابنا ، وإن فيها لبلاغاً للناس))(١) .

ولقد وصل هذا الشاعر إلى حل مع نفسه فآثر القراءة والدرس على لذة الهوى، وعبث الصبا ، قائلاً : ((لقد قضيت ريعان شبابي وريق صباي في الحب الطاهر والهوى العذري ، فأصبحت كل معاني اللذة عندي مقرونة بذلك الحب ، منحصرة فيه ، ولكني علمت أن مثل هذا الحب لم يكن إلا ضرباً من المحال ، وشيئاً لا يكون في هذه الحياة . فأصبحت مصيبتي وبلائي أني كنت أبداً أفكر في النساء ، وأبداً أقرن بخيالاتهن في مصورتي معاني الدعارة والفسق والفجور والحب الكاذب وغدر النساء وخياناتهن وكيدهن . وكان اتصالي بأي امرأة هو في مذهبي حبها الحب الطاهر ، فأورثني هذا الشعور ثورة نفسانية وهياجاً ونوعاً من الخبل والجنون . فجعلت أحياناً أقترح على نفسي أن أفعل كما يفعل الرهبان ... والله وحده شهيد أني لم آل جهداً ؛ ولم أدخر وسعاً ؛ في سبيل الاستفاقة من هذه الغمرة الكاربة ؛ والاستشفاء من هذا الداء الأليم . ففي أول الأمر وقد قام بعقيدتي أن مجتمع الرجال هو بيئة الفسق ... وأن الرجال كلهم فجرة خونة ، فشأنهم شأن حبيبتي ، اعتزمت اعتزالهم جميعاً ، والركون إلى الوحدة والانفراد ، ثم عاودت الاشتغال بالدرس والقراءة ، فأقبلت على كتب التاريخ ودواوين الشعر القديم ومباحث علم التشريح ..))(٢) .

---

(١) ع٥ و٦ و٧ ، س٢ ، ١٩١٣م ، ص ٢٢٥ – ٦ .

(٢) ع ٣ ، س٨ ، ١٩٢٠م ، ص ١٢٤ ـ ٥ .

كذلك نشرت في عام ١٩٢٠م اعترافات الأديب الفرنسي شاتوبريان بعنوان (رينيه) ، وتعد سيرة ذاتية لمؤلفها في قالب قصصي ، فرينيه هو نفسه شاتوبريان الذي تحدث عن مداخل شعوره وتقلب أحواله ونفسيته المعقدة ونظرته إلى الحياة المليئة بالأحزان والأوهام ، وانطوائه على ذاته ، وصداقته العميقة بأخته (لوسيل) ، والتي سمّاها في قصته (إميليا) . أكثر من حديثه عن حياته وأسرته . وقد وصفتها " البيان " بـ (الاعترافات النفسية) وصدّرتها بمقدمة طويلة عن حياة الكاتب ، ومكانه في الأدب ، كما عرضت لمزاجه ونفسيته حتى يستطيع القارئ أن يفهم (رينيه) عن قرب ، وتتضح له صورته النفسية المعقدة ، ومن ثمَّ يستطيع أن يتقبل أطوار شخصيته الغريبة(١) .

وبعد :

فرغم هذه المعطيات التي أدتها " البيان " لأدب الاعترافات فإنه لم يكن له أهمية الصدارة كالفنون الأخرى التي ترجمت لها مثل الشعر والقصة . إذ لم تنشر طوال سني حياتها إلا ثلاثة اعترافات ، وفي سنتين متفاوتتين ، فقدمت أولاً اعترافات دي موسيه ، ثم اعترافات سكير في عام ١٩١٣م ، ثم توقفت عن الاسترسال فيها وذلك لاشتغالها بالموضوعات الأدبية الأخرى ، والأهم في نظرها، ثم عادت مرة أخرى في العدد الأول من السنة الثامنة ١٩٢٠م ، بنشر قصة (رينيه) كاملة ، واعترافات دي موسيه بترجمة لا تقل جزالة وقوة عن سابقتها ، فقالت : ((... بيد أن كثيراً من قرّاء البيان اليوم طلبوا إلينا ملحين أن نعود إلى ترجمة الاعترافات ؛ ولأن العهد بالسنة الثانية قد طال وأصبح الكثير من قرّاء البيان غير

---

(١) انظر : ع١ ، س٨ ، ١٩٢٠ م ، ص ٣ ومابعدها .

قرّائه بالأمس ـ لذلك لم نجد ندحة عن استئناف ترجمة هذه الاعترافات من أولها))[1]. ولاسيما أن " البيان " تركت على الساحة الأدبية أثراً كبيراً في ترجمتها لهذا الأدب ، رغم التفاوت الزمني في نشره . فظهور الاعترافات كفن أدبي وافد ؛ سواء عن طريق الترجمة أو الوضع في مطلع هذا القرن ؛ يعد حدثاً مهماً في تاريخ الأدب الحديث ؛ لأنه ظهر مقابلاً لموقف فئة من الأدباء ، ظلوا لفترة طويلة متحرجين من الإعراب عن مكنونات أنفسهم ، متحفظين عن الخوض في الموضوعات الشخصية والاجتماعية ذات الطابع الشعبي ، وأدب الاعترافات بدوره يجعل الأديب العربي المتذوق له ؛ ينطلق بموضوعاته ؛ ويطوع لغته الأدبية باستخدام ألفاظ تشف عن محسوساته ومرئياته ، مما يجعله قريباً من الواقع المتعايش معه[2] . ولقد أتت بعدئذٍ مجلات أدبية أخرى تأثرت بهذا اللون الأدبي ، كمجلة " الآداب " ١٩٢١م في إعلانها عن اعترافات شيخ عصري : ((نبشر قراء اللغة العربية بكتاب لا نظنه سيكون أقل درجة من اعترافات روسو . وستكون هذه الاعترافات العربية المصرية بقلم شيخ نشأ في الأزهر المعمور ، وفي مدرسة دار العلوم ، وله باع طويل في الأدب العربي ، واطلاع واسع على تاريخ الأولين والآخرين ، ... ولا يتوهمن أحد أن اعترافات الشيخ الأستاذ قاصرة على وصف طرق التعليم في الأزهر ودار العلوم، كلا وإنما أراد كيف ربيت من الصغر ، وكيف نشأت ، وكيف تعلمت ... وكيف عاديت وصادقت ، وكرهت وأحببت ...))[3] .

---

(١) ع٢٤ ، س٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٦٩ – ٧٠ .

(٢) انظر : د. فياض : " الصحافة الأدبية وأثرها في تطوير الأدب الحديث " ص ٤٨٣ – ٤ .

(٣) د. فياض : « السابق » ص ٤٨٤ .

ثم تلاحقت بعدئذ اعترافات كتبها أدباء عرب إلى أن ظهرت " الأيام " لطه حسين ، و " حياتي " لأحمد أمين ، والتي لا يمكن دراستها مستقلة عن هذا المناخ الذي أثر في ولادتها لا محالة(١) .

ثالثاً : القصة المترجمة في « البيان » .. اتجاهاتها وغاياتها :

من يتصفح مجلة " البيان " أول ما يثير انتباهه وفرة القصص المترجمة ترجمة وافية . فقد فتحت نوافذها لاستقبال قصص من عيون الأدب العالمي ، سواء من الأدب الإنجليزي أو الفرنسي أو الأمريكي أو الروسي ، على نحو ما سيرى ، ونادراً ما خلت سنة من غير أن تنشر فيها قصة مترجمة ، فكانت في العدد الواحد أحياناً تترجم قصتين ، كما هو في العددين الخامس والسادس من السنة الأولى ، فنشرت قصة " صريع الكأس " لتشارلز دكنز " ورواية " الأستاذ " لوليم ثكاري . والحقيقة أن " البيان " أرهقت نفسها بالكم الذي ترجمته من القصص ، ونشرته غالباً دفعة واحدة ، وحتى المطول منه. فترجمت في العدد الثاني من السنة الثانية رواية "نشيد الميلاد " لتشارلز دكنز في ثمان وثمانين صفحة ، وهذا بحد ذاته كافٍ لنشر عدد واحد أو عددين من المجلة ، ولعل ذلك ما أفقرها وسارع بانتهائها ، مع إخلاله بتوازن المجلة ، وتنوع موضوعاتها ، والتي لم تكمل إصدارها في السنة الخامسة ١٩١٧م ، ثم استأنفت النشر بعد ذلك في مستهل عام ١٩١٨م إلى ١٩٢١م .

وقد نوعت " البيان " في نشر القصة ما بين الرواية ، والقصة ، والقصة القصيرة جداً ، والمسرحية(٢). ولكنها عممت بكلمة (رواية) وأطلقتها على

(١) انظر : د. ضيف ، شوقي : " الترجمة الشخصية " ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٧م ، وعباس ، إحسان : " فن السيرة " .

(٢) نشرت " البيان " أقصوصة واحدة فقط بعنوان " المستر دير " غفلاً من التوقيع في ع٢ و٣ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٢٠٩ .

جميع تلك الأنواع . في مثل قولها عن قصة " مملكة العميان " : من أبدع روايات العصر الحديث(١). وقد وصفت قصة " مسألة تحتاج إلى بوكاسيو " بأنها رواية بديعة ومن أغرب ما كُتب من الروايات(٢) . وأحياناً تتساهل في تحديد اللفظ الصحيح لنوع القصة ، فقد قالت عن قصة " محمد بك " للكاتب فاسيلي دانشينكو : ((نقدم إلى القراء ، في هذا العدد رواية روسية بديعة ، من أبلغ الروايات القصيرة))(٣)، أو إيراد كلمة صغيرة بدلاً من قصيرة : ((وإلى القراء قصة له [أي واشنجطون إرفنج] صغيرة سماها القلب الكسير))(٤) .

والحقيقة أن " البيان " ليست بملومة على هذا التساهل في تحديد المسمى الصحيح لنوع القصة ، وإن كانت على معرفة بالفرق بين الرواية والقصة القصيرة، فقد قوبل في عصرها أدب القصة بالرفض من المحافظين قرّاءً وأدباء ، وعلى الرغم من ذلك نظرت " البيان" إلى فن القصة على أنه فن أخلاقي يستحق الإجلال والاحترام والترجمة له ، والدعوة إلى كتابته في الوطن العربي ، وقد استطاعت أن تتدرج مع قرائها لقبول هذا الفن ، كما سيأتي .

١ ـ القصة وباب الفكاهة :

بدأت مجلة " البيان " بوضع كثير من القصص المترجمة تحت باب الفكاهات والملح ، كقصة " كاره الدنيا " للكاتب ويلكي كولنز (ت ١٨٨٩م) نقلاً عن قصة " السر الميت " وقد نشرتها في العدد الثاني من السنة الأولى

---

(١) ع١، س٤ ، ١٩١٥م ، ص ١ (مستقلة) .

(٢) ع ١ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ٣٣ .

(٣) ع٢و٣ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ١ (مستقلة) .

(٤) ع٤ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ١١ .

١٩١١م ، رغم خلوها من أي فكاهة وطرفة[١] . كذلك قصة « التذكرة الصفراء» والتي نشرت في العدد العاشر من السنة الثانية ١٩١٢م[٢].

وكثيراً ما كانت تطلق لفظ فكاهة أو ملاحة الفكاهة على قصصها كما فعلت في قصة " الأماني الأربع " للقاصة شارلوت برونتي (ت ١٨٥٥م) فوصفتها " البيان " بأنها : قصة فكاهية ذات مغزى بديع[٣] . ولم تكن " البيان " وحدها في ذلك ، بل سبقتها " الضياء " ١٨٩٨م لإبراهيم اليازجي ، الذي أفرد باباً بعنوان " الفكاهات للقصص والأقاصيص " ، كذلك ظهرت مجلات خاصة بنشر القصص اتسمت بالفكاهة ، منها : مجلة " سلسلة الفكاهات " ١٨٨٤م ، لنخلة قلفاط في بيروت ، ومجلة " الفكاهات العصرية " ١٩٠٨م لعبد الله الحلبي، و" مسامرات الشعب " ١٩٠٥م[٤].

وسبب ذلك أن المجتمع في ذلك الوقت المبكر لم يكن ينظر إلى القصة على أنها لون من ألوان الأدب الرفيع . هذا إلى جانب ما ذكرنا من شيوع التأليف والترجمة للقصص الرخيصة ذات المستوى الهابط سواء في مضامينها أو أساليبها . فلا غرو أن تضع " البيان " قصصها تحت باب الفكاهات مسايرة لعصرها ، وسعياً لنشر المزيد من القصص المترجمة لتغير نظرة قرّائها الذين هم من خواص الأمة نحو فن القصة[٥] .

---

(١) انظر : ص ١٩٨ .

(٢) انظر : ص ٦١١ .

(٣) ع٢، س٧ ، ١٩١٩م ، ص ١١٧ .

(٤) د. نجم ، محمد يوسف : " القصة في الأدب العربي الحديث ١٨٧٠ - ١٩١٤ " دار الثقافة ، بيروت ، ص ١٩- ٢١ .

(٥) انظر : ما تقدم عن " الترجمة قبل البيان " ص ١١٦ وما بعدها .

وقد نجا من هذا الحكم الظالم الشعر المترجم ، وجاء أدب القصة مندرجاً تحت باب الفكاهة . بل أحجمت بعض الصحف في مستهل صدورها عن نشر القصة وترجمتها ، من ذلك مجلة " المقتطف " فأنكرت الروايات لما فيها من قصص غرامية ، وما قد تسببه من قلق للشبان والشابات ، فكانت تحث القراء على قراءة الموضوعات النافعة ؛ التي تربي القوة العقلية والفكرية ؛ ثم بدأت بعد ذلك ترضخ لمطالب القراء ، فترجمت ما توافرت فيه الفائدة العلمية(١).

واستمرت النظرة إلى فن القصة مشوبة بالزراية إلى زمن " البيان " علماً بأنه لم تظهر القصة العربية وقتئذٍ ، بل لم يجرؤ أحد الأدباء على كتابتها إلا قلائل ، من هؤلاء : الكاتب محمد حسين هيكل وقصته " زينب " نشرها في عام ١٩١٣م باسم مستعار وهو " فلاح مصري "(٢) . ولذا يعد إقدام " البيان " على ترجمة القصص من الآداب الغربية ، وهي أحد الصحف الأدبية التي تحظى بمكانة عالية بين كبار الأدباء المحافظين جرأة كبيرة ، مما دعا بعض قرائها أن ينكروا عليها عنايتها بهذا الفن .

٢ - القصة فن أخلاقي :

واجهت " البيان " اللوم من بعض قرّائها لاهتمامها بترجمة القصة ، وعنايتها بالروايات تلك العناية على قلة جدواها ، وأن هناك من الموضوعات الأدبية ما هو أجل وأفخم وأعود على القارىء بالنفع ، بل ما هو أولى بعناية " البيان " والتي رصدت نفسها للأدب العربي وترقيته . واستنكرت " البيان " هذا الاتهام ، وردت

(١) د. نجم (السابق) ص ١٧ ، ٣٥ .

(٢) قالت " البيان " كلمتها عن قصة زينب في نفس عام نشرها ١٩١٣م ، وسوف نعود إلى ذكرها في خاتمة هذا المبحث .

عليه بقوة دفعاً لهذا الهاجس الذي اعترى بعض قرائها ، بأنّ فن القصة يحوي الخير الكثير للأدب ، فقالت : ((لو علم صاحب هذا الهاجس أن الروايات الأدبية ـ الأخلاقية والتاريخية والاجتماعية والشعرية ـ كالروايات التي ينشرها البيان هي آخر ما وصل إليه الأدب عند الغربيين وبعبارة أخرى هي الحلقة الأخيرة التي ارتقت إليها آدابهم ... ولو علم كذلك أن مثل هذه الروايات إنما وضعها واضعوها لغرض هو أنبل وأسمى مما يظن بالروايات فهم إنما يقصدون برواياتهم إلى بث فكرة صالحة في الأخلاق أو الاجتماع أو التاريخ أو ما إلى ذلك مما كان من حقه أن تنشأ له المقالات الحافلة أو الأسفار العريضة الطويلة ، ولكنهم آثروا هذا النوع من القول لما يمتاز به من معاني التشويق والاستهواء حتى يكون ذلك أدعى إلى استمكان ما يقصدون إليه من نفوس القارئين . ولو علم أن أفضل خدمة تقدم إلى هذه اللغة وتزكيها وتنمي ثروتها ، وتضاعف بركتها . هو نقل ما تعده الأمم الراقية أنفس آدابها ، وأطيب ثمرات ألبابها ، نقول لو علم صاحب هذا الهاجس ذلك كله لما لامنا على عناية " البيان " بمثل هذه الروايات بل ولاستحال لومه تحبيذاً ونقده مدحاً وتقريظاً))(١).

ويتضح مما سبق أن " البيان " كانت مدرسة للأدباء ، وقد أرادت أن تعمل على تغيير النظرة إلى القصة المترجمة ، فأنارت الطريق لهم بما نشرته من القصص العالمي لأكبر وأشهر كتابه ، فأرشدتهم إلى النماذج الراقية فكرياً وفنياً من أدب القصة الواقعية الإنجليزية والروسية خاصة .

---

(١) حديث " البيان " مع قرائه الأفاضل ، ع٢ و ٣ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص ١٢٥ - ٦ .

٣ ـ الدعوة إلى الواقعية :

كانت " البيان " من أولى الصحف التي دعمت وجود وكتابة القصة الواقعية ، وتوجيه الأدباء المصريين نحو هذا المذهب ، ومن هنا ذكرت أهم المبادئ والأسس التي يجب أن يأخذ بها كاتب القصة ، وهي أن تكون على مبدأ (الرياليزم) أي الواقعية لا (الرومانتزم) أي الرومانطيقية ، بعكس الشعر العربي الذي احتفت فيه بأعمال الرومانطيقين ، كما اتضح في مستهل هذا الفصل .

أما الواقعية التي طالبت بأن يكتب بها الأدباء فهي : القائمة على تصوير العلاقات بين الفرد والمجتمع ؛ لأن الإنسان ابن عصره فمن الطبيعي أن تؤثر الظروف الاجتماعية والبيئية على سلوكه وتصرفاته ، فرأت " البيان " ألا يقتصر الروائي على وصف جلال الطبيعة ومناظرها ، بل لابد أن يأخذ من حال مجتمعه الحاضر وعلله مع مبدأ المحافظة على القديم المتأصل في نفوس الشيوخ وبعض الشباب ، والحال الذي كان عليه الآباء من العادات الصالحة والفاسدة ، ومن ثم يصيغها في أسلوب روائي على مبدأ (الرياليزم) . ورأت أيضاً أنه لا ضير على كاتب القصة الأخذ من المذهب الرومانطيقي وكتابة الروايات الخيالية ، طالما رمى بها إلى مبدأ سامٍ أو فكرة رشيدة ، قصد بها تهذيب العواطف ، وإقامة أود الأخلاق[١] .

ولم يكن حديث " البيان " عن الواقعية إلا معمماً ، فلم تشر إلى أنواعه ، وتفصّل الكلام فيه كمذهب أدبي ، بل كل ما ذُكر هو واقعية " البيان " في النظر إلى أدواء المجتمع والقائمة على الحقائق[٢] . وعلى الرغم من ذلك كانت المرشد إلى

(١) انظر : ع٨ و٩ ، س٢ ، ١٩١٣م ، ص ٥٦٢ .

(٢) انظر : حديث الدكتور مندور عن مذهب الواقعية " الأدب ومذاهبه " ص ٩٣ .

المنابع والروافد المختلفة التي يستقي منها الأدباء العرب تجاربهم وطرقهم في الكتابة الفنية للقصة ، فقدمت عدة نماذج من القصة الواقعية الإنجليزية ولأشهر كتابها أمثال : دكنز ، وثكاري ، وكولتز ، وشارلوت برونتي ، الذين مثلوا بقصصهم مشاكل حاضرهم المعقدة بمختلف جوانبه . فربطوا أنفسهم بعصرهم ، وأصبحوا الناطقين بلسانه ، فكانوا خير من مثل القصة الواقعية الاجتماعية في العصر الفيكتوري ، وما أثمرته متناقضاته من الخراب الذي خلفته الثورة الصناعية في استشراء الفقر والتشرد والجوع . ولقد تناولت " البيان " مترجماتهم من هذا الجانب(١).

وكذلك اغترفت من القصة الواقعية الروسية باتجاهاتها ، وما مثل حياة الشعب الروسي ومشاكله الاجتماعية والنفسية ، وعلاقة الإنسان بخالقه وبأخيه الإنسان ، وبالعالم كله(٢)). لأنها كانت ترى على حد قولها : ((إن الآداب الروسية أشبه الآداب بنا وأجداها علينا لما يربطنا بها من صلة شرقية ، جعلت عيوبنا وعاداتنا متجانسة متشابهة))(٣) .

ولا مراء بأن " البيان " كانت سبّاقة عن غيرها من الصحف الأدبية في نقل القصة الروسية ، بعد صحيفة " النفائس المصرية " ١٩٠٨م ، لخليل بيدس ، وذلك لما للواقعية الروسية من أثر كبير على الحركة الأدبية القصصية في أوروبا ، بما قدمت من تراث إنساني خالد عن طريق كبار كتابه الذين نشرت " البيان " شيئاً

---

(١) والتر ألن : " الرواية الإنجليزية " ترجمة : صفوت عزيز جرجس ، ومراجعة د. مرسي سعد الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ١٣٦ - ٧ .

(٢) والتر ألن (السابق) ص ٩٤ .

(٣) مجلة " البيان " ع٤ ، س٩ ، ١٩٢١م ، ص ١٩٠ .

من أعمالهم . وقد قالت كلمتها عنهم وأشارت إلى مكانة الأدب الروسي بين الآداب العالمية ، في مقدمة ترجمتها لقصة " هل كان مجنوناً ؟ " للروائي ليونيداس اندريف : ((وناهيك بما للأدب الروسي الآن من السلطان الفكري في أوروبا ، بل لقد بزّ الآداب الفرنسية والإنجليزية والألمانية والطليانية ، وسما عليها جميعاً في الروائيات والنفسيات ؛ حسبه أنه أخرج للعالم تولستوي ، ومكسيم غوركي ، وتورجنيف ، ودستؤفسكي ، وأندريف ، وجوجول ، وبوشكين ، وكوربوتكين ، مهذبي الفكر الحديث ، وهادمي الآداب البالية العتيقة))(١).

وبهذا استطاعت " البيان " أن تدعم المذهب الواقعي في الوطن العربي لا من خلال الفلسفات النظرية ، فالواقعية كما نعلم تحتضن عدداً من الاتجاهات ، كالواقعية الاشتراكية وواقعية المذهب الطبيعي ، فالبيان لم تقصد هذه الاتجاهات ، وإنما عملت على نشره بصورة تطبيقية ، فترجمت النوع الهادف لخدمة المجتمع من القصص الإنجليزي والروسي ، وأغلب ما ترجمته من قصص كانت موضوعاتها تمس ولو بطريق غير مباشر قضايا قريبة من المشاكل الموجودة في المجتمع العربي وفي مصر خاصة آنذاك ثم إن " البيان " كانت تقف غالباً عند أي قصة تترجمها وتشرح مداخلها وملابساتها من خلال وجهة نظر المجلة وبشكلٍ متزن .

٤ - اتجاهات القصة في " البيان " :

جميع ما ترجمته " البيان " لفن القصة القصيرة أو الرواية ، كانت تعالج قضايا إنسانية ذات قسمات مشتركة بين بني البشر من اجتماعية أو نفسية ، ورفضت رفضاً تاماً نشر الروايات البوليسية ، فأمثال هذه النوعية من القصص في رأيها لا تحقق هدفاً سامياً . فقالت : ((أما الذين لا تحلو لهم إلا الحوادث المدهشة

(١) ع١٠ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٥٤٦ .

والوقائع البوليسية الغربية فعليهم بشرلوك هولمز ...))[١] ويؤكد صحة قولها هذا ما سيتقدم من عرض بعض النماذج من القصص الاجتماعية والنفسية .

أ ـ **القصة الاجتماعية :**

إذا كانت الرومانطيقية ترى أن الإنسان يدرك الحياة ومشاكلها بخواطره وتأملاته ، فإن الواقعية ترى أن ذلك يكون بتجاربه العملية الواقعية ، وهي دائماً تربط الفكرة بالمجتمع ، ولا تسمح للخيال أن يزيف الحقيقة ، فالقصة الاجتماعية لابد أن تحمل تصوراً للواقع وهمومه على مستوى طبقة اجتماعية كاملة . وليس على مستوى الفرد الذي لا يمثل إلا ذاته ، بل يجب أن يكون الفرد أقرب إلى النموذج الاجتماعي ، فيحمل خصائص شريحة من طبقة اجتماعية بذاتها ليعبر عن أفكارها وقيمها[٢]. وهذا النوع من القصص هو ما رأته " البيان " صالحاً لعلاج المشاكل المتفشية في مجتمعها ، ولذلك اعتمدت ترجمته وعرضه إذ قالت : ((ونحن إنما نتوخى من الحكايات أصدقها وصفاً للحياة ، وأظهرها لعيوبنا الأخلاقية والاجتماعية ، عسى أن يكون في عرض المعائب بارزة ما يدعو إلى إصلاحها))[٣]. فنشرت قصصاً تحكي عن التحلل الأخلاقي ونتائجه ، كشرب الخمر مثلاً ، فقدمت لدكنز قصته القصيرة " صريع الكأس "[٤]. وللروائي الروسي أنطوني تشيخوف " رأس العائلة " وهي تعرض قصة شقاء أسرة بسبب رب البيت

(١) قالت " البيان كلمتها هذه في مقدمة القصة الروسية " رأس العائلة " لتشيخوف في ع٤ ، س٩، ١٩٢١م ، ص ١٩٠ .

(٢) انظر : د. السيد ، شفيع : " اتجاهات الرواية العربية في مصر " ط ٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ١٠١ ، وانظر : د. النساج : " في الرومانسية والواقعية " ص ٧٦ – ٧٧ .

(٣) (السابق) ع٤ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ١٩٠ .

(٤) انظر : ع٥ و٦ ، س١ ، ١٩١١م ، ص ١١٣ وما بعدها .

الذي فقد رجولته وهمته جراء استسلامه للشهوات من خمر وقمار مع الإسراف فيها ، وعادته بعد صحوه من الثمالة أن يصب جم غضبه وسخطه على ابنه الصغير (فيديا) . ومن وصف المؤلف لانعكاسات أحوال الأب على علاقته بابنه قوله : ((آه ... أنت تبكي ؟ أمع خبثك هذا تبكي ؟ اذهب وقف في ركن الغرفة ...)) فيترك فيديا كرسيه ويذهب إلى ركن الغرفة وينتحب ويرتعد . ويستمر أبوه قائلاً ((أتظن أنك تنجو من يدي بمثل هذا ؟ وإذا كان لا أحد يهتم بتربيتك ، حسناً فسوف أبدأ أنا ... وسوف لا أدعك تبكي مرة أخرى على المائدة ! أيها المجنون يجب عليك أن تؤدي واجباتك ، أتفهم ما أقول ؟ قم بواجبك ، إنّ أباك يشتغل ؛ فعليك أن تشتغل أيضاً ، لا أحد يأكل خبز الكسل ، كن رجلاً ، رجلاً ...)) (١).

وأهم ما في هذه القصة أن " البيان " لاحظت واقعية " تشيخوف " عندما ذكرت : بأن بعض القراء قد لا يعيرون الحكاية اهتماماً ، ولو تأملوا قليلاً لوجدوا أنها صورة حية لحادثة منزلية ، كثير من أشباهها تقع في البيوت المصرية . وذلك لأن الروائي تشيخوف من كتّاب القصة الذين لجأوا إلى أسلوب جديد ، فحاول تصوير الحياة على حقيقتها ، وبكل ما فيها من شفافية فعكس في قصصه مشكلات تبدو بسيطة للوهلة الأولى ، ولكن النظر إليها بعمق وعلى نحو دقيق يفتح الأعين والأذهان على أغوار الحياة الحقيقية وصراعاتها ونقائضها (٢).

وتوخت " البيان " أيضاً فيما ترجمت من قصص ما مسّ حاضرها الاجتماعي في وقت أصبح المجتمع العربي في مصر أكثر تشبثاً بأخلاق الأوروبيين،

---

(١) ع٤ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص١٩٣ .

(٢) (السابق) ص ١٩٠ . وانظر : د. النساج : (السابق) ص ٩١ .

ومال الناس إلى النموذج الأوربي في طرق الحياة ، وخاصة بعد الاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢م ، وشمل هذا التغيير المرأة وعلاقتها بالرجل ، فعملت بعض الصحف على نقل أحوال المرأة الأوروبية وتطلعها إلى الحرية كدعوات قاسم أمين (ت ١٩٠٨م) في " المؤيد " ١٨٩٨م[١] . وكان للبيان دورها في هذه القضية من بين الصحف الأخرى فأبدت رأيها بالرفض عن طريق ما ترجمته من روايات فنشرت رواية " المرأة التي فعلت " لجرانت ألن ، وقد رأى مترجمها عباس حافظ أنها رواية غريبة ؛ وذلك لأنها مثلت شخصية امرأة خرجت عن الطبيعة التي جبلها الله عليها ، في أن تكون زوجةً وأماً وربة أسرة من أجل مبدأ آمنت به بأن لا تكون أسيرة لرجل قط[٢]. وترجمت أيضاً رواية " الأستاذ " للكاتب الإنجليزي وليم ثاكري ، وقد وضعها مؤلفها لغرض تعليمي تهذيبي ، مثّل فيها فلسفة خاصة بالمذهب الواقعي لفهم الإنسان والمجتمع . إذ ترى أن الشر أصل موجود في الحياة ، وأن التشاؤم والحذر هما الأجدر ببني البشر لا المثالية والتفاؤل . فالشر يظهر الخير ، والقبح يظهر الجمال ، والشر في القصة هو الاختلاط وما يحدثه من عواقب وخيمة تنتج عنه علاقات غير سوية ، وخاصة في بعض المدارس وما يُسمح فيها بدخول الرجال بين الطالبات[٣]. وتدور أحداث الرواية حول فتاة اسمها " اديليزا " وفتى حقيقته مجرم مشهور واسمه " دندولو " استطاع أن يتزلف إلى مديرة أحد المدارس ليعمل

(١) انظر : د. فياض : " الصحافة الأدبية بمصر " ج٢ ، ص ٥١-٥٢ . وانظر : الباب الرابع ، الفصل الثاني موضوع (البيان وقضايا المرأة) .

(٢) انظر : ع٦ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ١ وما بعدها (مستقلة) .

(٣) انتهت القصة بالمقولة التالية على لسان القاص : " هذه قصتي قد قلتها ، فإن صلحت عليها نفس فاسدة وتطهرت بعظاتها من أدران الخبث روح واحدة ، فقد نلت غايتي " مجلة " البيان " ع ٥ و ٦ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٤٥ . وانظر : د. النساج (السابق) ص ٨٠ .

فيها أستاذاً للرقص . وما لبث أن أوقع في شراكه التلميذة المسكينة ، فظنت لفرط قراءتها للقصص الغرامية والخيالية أنه أحد أبطالها ، يقول القاص مبيناً على لسان الأستاذ ؛ سخريته من عواطف الفتاة وامتهان عقلها : ((... ثم اذكري أنه لم يجيء بي إلى هذه المدرسة إلا حبك الذي دفعني إلى مصادقة ربة المدرسة ... ولم يقم لي ذلك حتى تنكرت في زي أستاذ للرقص كما ترين . (وهنا كان يعلو وجهه ابتسامة جهنمية وتبرق في عينه نظرة شيطانية) . ويمضي في كلامه فيقول: نعم لقد أسقطت مروءتي وامتهنت شرفي ووصمت سمعتي ، وحملت الخزي ، ولبست العار بين طرتي هذا الثوب الخبيث والبرد الخسيس . وما تجشمت كل ذلك إلا من أجلك وفي سبيل هواك " يا اديليزا " وهنا يهم السنيور دوندولو أن يركع تحت قدمي الفتاة ، فلا يمنعه إلا وحل الطريق وبلله))(١) .

كما ترجمت المجلة قصصاً تجسدت فيها النواحي السلبية المتأصلة في أخلاق بعض الناس كمرض البخل مثلاً ، وأشهر ما نشرت في ذلك رواية " نشيد الميلاد " لتشارلز دكنز في السنة الثانية ١٩١٢م . وكثيراً ما أشادت بها " البيان " حتى بعد نشرها ، وفضّلتها بالدعاية عن غيرها . وذلك للناحية الموضوعية الأخلاقية فيها ، فقالت : ((إنها أفضل من عشرين كتاباً في الأخلاق))(٢). كما قالت فيها أيضاً : ((نشيد الميلاد لأكبر روائيي الإنجليز دكنز . وموضوعها شائق جداً وفيه عبرة لمن اعتبر))(٣). وقد نقلتها " البيان " كاملة في خمسة فصول . ويرتكز محورها على شخصية واحدة وهي شخصية " سكروج " التاجر البخيل ، الذي عاش بمعزل عن

---

(١) ع ٥ و ٦ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٢٩ .

(٢) ترجمة محمد السباعي ، ع ٢ و ٣ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ١٣٢.

(٣) باب (مطبوعات البيان) ع٩ ، س ٣ ، ١٩١٤م .

الناس ، منطوياً على ذاته يكره العائلة والأسرة ، وحرّم على نفسه الزواج ، فكان همه جمع المال لا ليهنأ به بل ليكتنزه فقط ، حتى جعله بخله قاسي القلب لا يرحم ضعيفاً ، ولا يرق ليتيمٍ أو أرملة .

أما الشخصيات الأخرى في الرواية فما أتت إلا لتبرز الجوانب النفسية والخلقية للبطل ، وتكشف عن المدى الإنساني لديه . وذلك بالطبع من خلال الحوار ، إلى جانب الناحية الفنية التي حوتها القصة ، وهي استعانة القاص بالخيال والخرافة حين تحدث عن وجود عفاريت وأرواح لأشخاص عرفهم بطل القصة تظهر عليه بعد موتها تتحاور وتتجادل معه في كل موقف فعله في حياته .

وأولها خيال صديقه وشريكه الراحل " مارلي " الذي زاره ومن خلفه سلسة يجرها من ورائه وهي رمز لأعماله التي كانت في الحياة الدنيا ، وحينها قال الخيال: ((ألا ليتك تعلم ثقل ما تجر أنت من حلق الحديد ؛ وطول ما تسحب ، لقد كانت سلسلتك مثل هذه ثقلاً وطولاً منذ سبعة أعوام ؛ وما زلت منذ ذاك الوقت تزيدها بإجرامك ثقلاً وطولاً ، يرحمني الله وإياك إن سلسلتك والله جد ثقيلة !))(1).

ومن روائع الموضوعات القصصية التي ترجمت في " البيان " ما دار حول تغيير المجتمع إلى الصالح العام . فترجمت " الزوج المنكود " في السنة الثالثة ١٩١٤م للقاص الأمريكي واشنجطون إرفنج(2). وفي السنة الرابعة ١٩١٥م ترجمت قصتي " مملكة العميان " و" مملكة النمل " للكاتب الإنجليزي ويلز

---

(١) ع ٢ و٣ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص ١٧ (مستقلة) .

(٢) لم تذكر "البيان" اسم المترجم ، انظر : ع١ ، ص ١ ومابعدها (مستقلة) .

(ت١٩٤٦م) [١]. ولعل "البيان" أرادت بأمثال تلك القصص تلبية الحاجات الاجتماعية والفكرية لأبناء عصرها ، فمنهم من اندفع وراء كل وافد وجديد من الحضارة الغربية من غير روية وتبصر ، وآخر جمد على القديم ورفض التطور [٢]. فقصة "مملكة العميان" على سبيل المثال قد قامت بتصوير الحال بين نقيضين وهما: الظلام والنور ، أو العمى والبصيرة ، أو الجهل والعلم . وقد تناولتها «البيان» باهتمام كبير ، ووقفت على مغزاها بكلمة أشبه بالتحليل لمداخل القصة . فذكرت أنها من أبدع روايات العصر الحديث وخلاصة الفكر الإنساني كله ، وذلك لأنها تستبطن الحكمة ، فيما يلاقيه الرأي الصالح الجديد أو المصلح ، والذي يمثله في القصة شخصية "نونيه" البصير أمام أمة جامدة منحطة مثلت البيئات العمياء المتقهقرة ، فجعلت من حدود مكانها قارة ، وأرادت أن ينزل العالم على حكم شرائعها ، ولم تكن تعترف بحقيقة خارجة عن فكرها . وهم في هذه القصة رعية « مملكة العميان » نسبة إلى إصابة أهلها بداء العمى[٣]. وأصدق ما صور به المؤلف عقلية أبناء تلك المملكة في تهكمٍ ونقدٍ لاذع ، وانهزام "نونيه" أمامهم بعد أن حسب نفسه سيكون سلطاناً عليهم ببصره واتساع معرفته عن العالم الخارج عن حدودهم : ((... وقضى أربعة أيام مريضاً ؛ وقضوها هم في تمريضه ومؤاساته ؛ فخفّت بعطفهم بلواه ورقّت برحمتهم مصيبته ، ولكنهم أصروا على أن ينام في الظلام مثلهم ، وكانت المصيبة الكبرى ، ووصوا به فلاسفتهم فجاؤوا يعلمونه

---

(١) لم تذكر "البيان" اسم المترجم ، انظر : ع١ ، ص ١ (مستقلة) ، وانظر : ع ٤ ، ص ١١ وما بعدها .

(٢) في رأيي أن هذه القصة تمثل منهج "البيان" انظر : ماورد في الباب الأول عن موضوع "وصل الحاضر بالماضي".

(٣) ع١ ، س٤ ، ١٩١٥م ، ص ١ ، ٢٤ . (مستقلة) .

العلم وينصحون له ويظهرون له خفة عقله ، ويؤنبونه على شكوكه في أمر السقف الحجري ، وأنه غطاء العالم وقبته حتى بدأ أنه من أمر السماء واهم ، وأنه لا ريب ضال مخطئ . وجعل ينظر فوقه يحاول رؤية السقف ويدقق البصر ويمعن !

وكذلك أصبح نونيه رعية في أهل مملكة العميان ، وكذلك ألفهم ونزل على حكمهم ، وهذا والعالم الخارجي يتوارى عن عينيه ، ويبعد عن ذكراه ، ويستحيل عنده خرافياً كاذباً))(١) .

ولم تترك " البيان " القصة من غير أن تنبه إلى الغرض الذي من أجله أنشئت، وخاصة أن هذه القصة مثّلت فكر المجلة ، ووافقت منهجها في الاختيار من الآداب الأجنبية ، وحققت بها غاية اجتماعية - كما سبق ذكره - فقالت : ((ونحن لا نزال نرى الحرب المحزنة بين العقائد الموروثة المظلمة ؛ وبين كل فكرة صالحة تمشي بالعالم إلى القوة والنشاط ؛ وبالجملة إلى الكمال الإنساني ، على أن التاريخ الإنساني كله كأنه هو تاريخ الحروب بين الوراثة والتجديد . ولا يزال أولئك الذين يعيشون بروح الماضي والذين تحركهم أرواح أجدادهم من وراء القبور هم الحلم المزعج للإنسانية لو تخلصت منهم لوثبت في المستقبل ظافرة منتصرة ، ونحن سنرى كيف يلاشي المستقبل الظافر كل مخلفات الماضي وكيف يسخر منها وكيف يكتب للعالم تاريخ جديد))(٢).

وكما هو واضح فكلمة " البيان " السابقة معممة ومبهمة ، وكان الأولى لها أن تبين ما قصدته من عقائد موروثة من روح الماضي ، حتى لا يلتبس الأمر على القارئ ، ولكنها بالتأكيد كانت تقصد العقائد الخاطئة التي ورثها المجتمع إبانئذٍ من

---

(١) (السابق) ص ١٨ .

(٢) (السابق) ص ٢٤ .

العصور المتأخرة ، فعاش في عزلة ثقافية رزح تحتها قروناً عدة ، وما قد سرى من ذلك الجهل في المجتمع على جميع نواحي الفكر ومنها الأدب وجموده . ويؤيد هذا منهجها ، إذ جعلت الصدارة فيه للتراث الإسلامي والعربي ثم بعد ذلك النهل من معين الفكر الأجنبي .

ب ـ القصة النفسية :

انبهرت مجلة " البيان " بقصص التحليل النفسي الروسي ، والتي تهتم بأدق الجوانب النفسية على مستوى الأفراد والجماعات في عصر وموقف معينين . وابتدأت بترجمتها في العدد العاشر من السنة الثالثة بقصة " هل كان مجنوناً ؟ " للروائي ليونيداس اندريف . كما ترجمت قصة قصيرة بعنوان " قصة عجيبة " لإيفان تور جنيف في العدد السادس من السنة السابعة، ورواية "الصورة المشهورة" لنيغولايف جوجول (ت ١٨٥٢م) في العدد الأول من السنة السادسة ، وقد أرادت البيان بأمثال هذه القصص مواكبة التطور في الأدب ، وإظهار مستجدات الأدب العالمي على مائدة الأدب العربي ، وخاصة أنه قد راج هذا النوع من القصص في الأدب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وامتد تأثيره بعدئذ على جوانب التحليل النفسي في القصص الأوروبي[1]. وغالباً ما كانت تُعرَضُ تلك الأعمال في " البيان " للنقد والفهم الواضح . فقصة " هل كان مجنوناً ؟ " استهلتها بمقدمة شرحت فيها مدى الهالة التي أوجدتها على ساحة الأدب الروسي والأوروبي ، ثم دللت بها على علاقة الأدب بالعلوم الأخرى ، وذلك لغرابة موضوعها وحوادثها ، إذ بلغ من أهميتها أن عُقِدَ مجمع للأخصائيين في الأمراض

(١) انظر : كلمة مجلة " البيان " عن القصة الروسية ، ص ١٥٦ ، وانظر : د. هلال : " النقد الأدبي الحديث " ص ٥١٩ .

العقلية للتباحث في أمرها ، وتحليل دقائقها تحليلاً طبياً نفسياً إلى درجة أنها كانت مثاراً لتضارب آراء المفكرين والباحثين ، وانقسامهم حولها(١).

وقد امتازت هذه القصة - شأن كثير من القصص الروسي - بعنصر الصدق والبساطة في سرد الأحداث ؛ رغم ما يحيطها من غموض . فهي قصة طبيب قتل صديقه المحامي ورفيق دربه في المراحل الدراسية ؛ في حين لم يكن للقتل سبب ظاهر ، فقد كان صديقه "ليكسيز" رجلاً طيباً ، وثّابٌ الشعور ، وذا شخصية كبيرة تدعو إلى الاحترام . ولم يصادف الدكتور "أنطوني كرجنترف" في الدنيا أحداً كصديقه ، والذي يعده رجلاً بريئاً لا يستحق القتل .

وتدور محور الأحداث بعدئذٍ على سؤال القاتل لنفسه لماذا قتل صديقه ؟ في مذكرة يقدمها إلى أطبائه في مستشفى الأمراض النفسية ، راح يبسط فيها ما وقع من أمره ، محاولاً البحث عن حقيقة ذاته في الدوافع من وراء القتل هل هو الانتقام أم أنه مصابٌ بداء الجنون . وتظهر الحقيقة من خلال إفضاء البطل بما يدور بأعماق نفسه من حقائق من الصعب الإسرار بها في مثل قوله : ((ولا أستطيع أن أتذكر متى كان أول تفكيري في قتل الكسيز ، وكل ما أعلم أنني ألفت هذه الفكرة حتى لكأنها ولدت معي وأعرف أنني كنت أريد أن أنزل بتاتيانا [ذوجة المقتول] العذاب والألم ، ... وكنت أعرف ما هو القتل ، وأعلم أنه جريمة يشتد القانون في العقاب عليها ، ولكن أليست كل أعمالنا جرائم مختلفة الضروب والأنواع .

كنت لا أشعر بخوف من نفسي ، وهذا كل شيء عند المجرم ، إن أخوف ما يخافه القاتل والمجرم ليست الشرطة ولا القاضي ولا العقاب ، وإنما نفسه التي

(٢٨٣) لم تذكر "البيان" اسم المترجم ، انظر: ع١٠ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٥٤٥ .

يخاف ، هي أعصابه وإرادته وضميره ، وجعلت أفكر في هذا الموضوع وأروئ فيه البصر ، جعلت أدرسه وأعيه وأفحصه ... والآن وقد تحققت خطتي عساكم تسألون ترى أيحزنني الآن ضميري ، وهل أشعر بندم أو أسف ؟ وأجيبكم كلا ، ولا ذرة من ندم . أشعر بألم ، نعم ، بألم شديد هائل ، ما أظن أحداً غيري في العالم عاناه))(١).

٥ - إبراز قيمة النص :

كانت معظم القصص المترجمة تتعرض للنقد والتحليل من قبل قلم تحرير «البيان» فعملوا على إبراز قيمة النصوص المترجمة ، من خلال التنبيه على مواطن الجمال الفني والموضوعي لما تحتويها . وكان يتم ذلك إما بوضع مقدمة للقصة المترجمة كعادتها في معظم أعمالها المنشورة ، وكثيراً ما شاب تلك المقدمات المبالغة في الإطراء ، أو تذييل القصة بكلمة نقديه ذات طابع تحليلي دقيق لمداخل القصة من حيث الموضوع والشخصية . لتكون هذه الأعمال أقرب إلى ذهن القارئ وروحه ، ومن ذلك كلمتها في مقدمة القصة الروسية الموسومة بعنوان (محمد بك) للروائي دانشينكو(٢) . فقد أفاضت عنها الحديث لأنها حكت عواطف إنسانية حدثت في زمن الحرب التركية الروسية عام ١٨٧٧م ، ومثلت هذه الحرب وما فعلته بالبشر . وقد استهلت " البيان " كلمتها بقول فيه شيء من المبالغة والتعميم إذ اعتبرتها ((من أبلغ الروايات القصيرة ، الكبيرة المغزى ، الجليلة الموضوع ، الغزيرة الفكر ، كانت أكبر ضربة يمكن أن تُضرب بها الحرب ... ، هي روح متمردة تهدم فكرة الحروب ، وتنعي على مثيريها ومضرميها ، وهي من أولى

---

(١) (السابق) ص ٥٥٠ .

(٢) لم تذكر "البيان" اسم المترجم.

الروايات الإنسانية المبكية المحزنة ، لأنها مأساة تفيض تأثيراً وعظمة وسمواً وعلاء"[(١)] . وأما موطن الجمال في هذه القصة عند " البيان " فهو أنّ القاص جعل وقائعها عامة ؛ لم تختص بها أمة أو ينفرد بها شعب ، أو قصد أن يمدح قومه الروس وينتقص من قدر الترك ، بل حملت مشاعر إنسانية اشتركت فيها جميع الأمم فكانت من أسمى قصص دانشينكو القصيرة ، وقد مثّلت " البيان " لهذه المشاعر من خلال تحليلها لأشخاص القصة ، وهما الضابط الروسي ، والأسير التركي واللذين دار حولهما محور القصة ، فقالت : ((ولئن كانت شخصية الروس في هذه الرواية زاهية مشرقة لامعة ، فإن شخصية " محمد بك " وهو الأسير التركي فيها ألا أسمى وأروع من الضابط الروسي معتقه ؛ لأنه هو الذي أثار في تلك الأثواب العسكرية الخشنة تلك الروح السامية العالية ، هو الذي خلق من ذلك القلب للجندي الفظ ، ذلك الفؤاد الرقيق الإنساني النبيل ، هو الذي جعل الضابط يخرج على شرائع الحرب ويهزأ بقوانين الأسر ، ويعصي مصطلحات الجندية ...)) [(٢)].

وهذه الكلمة تحمل في طياتها رؤية انطباعية للمجلة لمعايشتها الحرب العالمية الأولى والاحتلال الإنجليزي ، فأرادت أن تمثّل بتلك القصة ويلات الحروب ، مما جعلها تبالغ في أقوالها ، وبعكس ذلك ما قدمته من تحليل وافٍ ودقيق في نهاية بعض القصص ، مما يعد رؤية نقدية موضوعية عن ملابسات الموضوع والشخصية، ، وكأن البيان بهذا تقوم بدور المعلم للقارئ والأديب الناشئ في كيفية تذوق النص المترجم ، من خلال وضع أصابعها على مغزى القصص والمناحي الجمالية

---

(١) ع٢و٣، س٤ ،١٩١٥م،ص١ (مستقلة).

(٢) (السابق) ص ٢ .

فيها ، وقد تكرر ذلك في قصة " مملكة العميان " و" مملكة النمل " للكاتب الإنجليزي " ويلز " و " قصة عجيبة " للكاتب الروسي إيفان تورجنيف . وفيها قامت بتفصيل مداخلها وابتدأتها أولاً بكلمة عامة عن هدف القصة: ((هذه القصة العجيبة هي بحث (سيكولوجي) يراد به إيضاح الفرق الأساسي الذي يميز الشعب الروسي عن الشعوب الغربية))(١) . وهذا الفرق أبرزه القاص من خلال شخصية فتاة غفل تدعى " صوفيا " آمنت بمبدأ خاطئ في ذاته نادى به أحد المشعوذين ، ادعى فيه أنه رجل قديس وولي من أولياء الله ، وانتهى بها إيمانها بأقوال ذلك الرجل إلى الموت . وقد اعتمدت المجلة في تحليلها للقصة على كلمة قالتها بطلتها عن الإرادة حسب مفهومها ، ويدور حولها الحدث الأساسي في القصة وهي : ((إنك تحدثني عن الإرادة ، والذي أرى وأعتقد هو أن الإرادة يجب أن تُسحق وتُمحق))(٢) .

فما صوفيا في هذه القصة إلا رمز لشخصية وإرادة الفرد الروسي ، فكلمتها تلك ـ كما ذكرت " البيان " ـ تبين بوضوح جلي أرسخ عقائد النفس الروسية ، وأعمق أمانيها وأغراضها ، فالروسي لديه رغبة دائمة في تعريض نفسه لآلام الحياة ومنغصاتها ، وذل النفس بقهرها لتداس تحت أقدام الغير ، وهذا يدل على إرادته الضعيفة فالاستسلام والاستكانة أسهل عليه من أن يكون مقتدراً وقوياً وعالي الهمة ، بل إن هذا الاستسلام منبع فضائله ومناقبه المميزة له عن غيره ، والتي تميزه عن طبيعة الإرادة عند الغرب . وطبيعة الشعب ظهرت من ناحية تطبيقية في شخصية " صوفيا " فقالت " البيان " : ((وكذلك إذا تأملنا سيرة " صوفيا " بطلة

---

(١) ع٦٤ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ٣٤٠ .
(٢) (نفسه) .

هذه القصة وجدنا أن فرط رغبتها في تضحية نفسها وراسخ عقيدتها في أن الحق والصواب هو تعريض النفس لمكابدة الآلام والمشاق هو أشبه بأخلاق الروس وغرائزهم ... ومن ثمّ مصدر تلك الروح المخيفة - روح الجيل الحديث الذي ضحى نفسه في حركة " (النيهلست)(١) فإنّ باعث " تضحية النفس " كان يدفع بالشاب " الغيور المتوقد إلى غايته المقصودة على الرغم من كافة المؤثرات والعوامل الحائلة بينه وبين غرضه . وعلى ذلك فإنّ " صوفيا " بطلة القصة هي فتاة نهلستية سابقة لأوانها))(٢).

ذلك ماذكرته " البيان "إن حقيقة ، وإن على نحو ماصورته بعض القصص، من سمات الشخصية الروسية.

٦ - إبراز مكانة القاص :

اتضح فيما سلف أن " البيان " كانت على وعي تام بما ترجمته من قصص أبرزت في كثير منها أهم مواطن الجمال فيها ، إلى جانب ذلك عنيت بإبراز مكانة

---

(١) النيهلست : تعني العدمية ، وهي نظرية تقول بأنه ليس يوجد شيء على الإطلاق ، وإذا كان هناك شيء فالإنسان قاصر عن إدراكه ، وإذا أدركه فلن يستطيع أن يبلغه لغيره من الناس ، وللأسف تنكر القيم والأخلاق ، كما أنها عقيدة حزب سياسي في روسيا ، تدور على تحرير الفرد من كل سلطة ، وأول من أطلق لفظ العدمية الأديب الروسي تورجنيف في رواية " آباء وأبناء " . وفي الفن والجمال دخلت العدمية في تيار الطليعة . والكاتب جان بول سارتر أحد من ربط العدمية بنظرياته الوجودية في رسالته (الوجود والعدم) .
انظر : " الصحاح في اللغة والعلوم " تجديد صحاح العلامة الجوهري و" المصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية " إعداد وتصنيف : نديم وأسامة مرعشلي ، ط١ ، دار الحضارة العربية ، بيروت ١٩٧٤ ، باب " عدم " ، د. كمال عيد : " فلسفة الأدب والفن " الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، ص ١٩٧ .

(٢) مجلة " البيان " ع٦ ، س٧ ، ١٩١٩م ، ص ٣٤١

كتّاب القصص ممن ترجمت لهم ، ودورهم في تطوير أدب بلادهم من خلال إبداعاتهم المتميزة ، فهي لم تنشر إلا لأقطاب أدب القصة العالميين ، وعادة ما كان التعريف بهم يأتي في مستهل كل قصة مترجمة ، حتى يكون القارئ على دراية تامة لما يقرأ أو لمن يقرأ ، كما كان من أهدافها أن يحتذي الأدباء العرب طريقتهم في الكتابة ، وليعلموا أن هؤلاء لم يصلوا إلى مرحلة الإبداع إلا من خلال ثقافة واسعة لم تقتصر على النظر في الكتب بقدر اتساع نظرتهم في الحياة ، وممن احتفت بهم ونوهت بأسلوبهم وطريقتهم في الكتابة ، واشنجطون أرفنج(١) . فقد جعلته في مقدمة كتاب أمريكا لأسلوبه الذي امتاز بالرشاقة وخفة الروح ، وقدرته على إدخال عنصر الفكاهة في كتاباته ؛ ولأنه أيضاً من أقدر الكتاب على وصف أخلاق الناس وصورهم وأنماطهم في الحياة ، وكذلك قدرته على وصف الطبيعة ، وهذا يرجع إلى ثقافته المتشعبة ومنها ثقافته السياحية إذ كان له ولع بالتجوال والترحال مما أكسبه إبداعاً في التصوير . كما أنه في رأيها من أفضل الروائيين الغرب بل تفوق على كثير من كتاب القصة في أوروبا ؛ لأنه لم يتعمد التصنع في حبك رواياته ، وتجنب قصص اللهو البوليسية والغرامية ، التي وضعت لتسلية الناس فقط(٢) .

ومثل إرفنج كان للروائي الإنجليزي "كولنز" حظه من الذكر في مقدمة قصته " ماجدولين الجديدة " فأشادت بما له من مقدار ظاهر من الجلال الفني في

---

(١) ترجمت له " البيان " من كتابه " الصور " قصتي " الزوج المنكود " و " القلب الكسير " في ع ١ و ٤ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، وأيضاً مجموعة قطع وصفية من الكتاب المذكور في ع ١ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ٨٥ .

(٢) انظر : مقدمة قصة " الزوج المنكود " ع ١ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ١ (مستقلة) ، و(السابق) ع ٤ ، ص ١١-١٢ .

جميع رواياته وقصصه ، ومن روح فلسفية فياضة في كل قطعة من أدبه ، فليس هو كبقية الروائيين العاديين الذين يقعون على التافه من الموضوعات ، بل اجتهد في أن يبث في رواياته كل فكر جديد أو مغزى اجتماعي صالح ، أو تحليل نفساني غريب(١). كذلك أبدت إعجابها بالروائي الروسي تشيخوف في حديث معمم لها عنه - يفتقر إلى التوضيح - لعدة مميزات فاق بها أقرانه ، منها أن له يداً طولى في نهضة الآداب الروسية الحديثة ، ومقدرة فائقة في تصوير الطبقات المتوسطة ، ثم مقدرته الفنية التي خلف بها تورجنيف ، وسوداويّته التي شابهت إلى حد ما سوداوية شوبنهور وإن كانت أخف منها للروح الإنسانية والفكاهة التي سادت حكاياته(٢).

وخلاصة القول إنّ صحيفة " البيان " بما اهتمت به من إبراز قيمة النصوص القصصية المترجمة ، ومكانة كتّابها ، وكيف كان لكل منهم طريقته المتباينة عن الآخر ، وما قدموه من خدمة لآداب بلادهم ، أدت في مطلع القرن العشرين دوراً كبيراً في التعريف بهذا اللون الرفيع من ألوان الأدب ، ودللت بذلك على المقدرة المعرفية لدى محرريها عن الأدب العالمي . وهذه ضرورة لمثل هذه المجلة التي وضعت نفسها مرشداً للأدباء العرب المتطلعين لكتابة قصص عربية .

فهذا محمود تيمور ؛ أحد رواد القصة العربية ؛ ممن ظهروا في بدايات القرن العشرين ؛ ظل طوال حياته متعلقاً بالأدب الروسي ؛ وواقعاً تحت تأثير تشيخوف ؛ بل إنه كتب قصصه وحياً من فنه (٣) .

---

(١) ع٢ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٣٦ . وترجمت " البيان " لكولنز أيضاً قصة قصيرة بعنوان " كاره الدنيا " نقلاً عن مجموعة " السر الميت " في ع٢و ٣ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٢٠١ .

(٢) ع٤ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ١٩٠ .

(٣) انظر : محمد ، إبراهيم عبد الرحمن: "الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق "مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٧٦م، ١٣٤ .

وبذلك تكون "البيان قد استطاعت أن تدعم الواقعية، وتفرض وجودها، وتحث أدباء القصة العرب أن يكتبوا على منوال كتّابها ، بعد أن أثارها خلاء الساحة العربية من أدباء فن القصة.

٧ ـ دعوة " البيان " إلى كتابة القصة العربية :

حينما صدرت " البيان " عام ١٩١١م ، لم تظهر في وقتها القصة العربية الحديثة إلا من بعض الهواة الذين لم يتفرغوا لكتابة القصة ، وإنما كانوا في محاولة بحث دائب عن الشكل الفني الأمثل لكتابتها(١) . كقصة " زينب " للأديب محمد حسين هيكل ، فقد أثارت شجون " البيان " في سنة نشرها ١٩١٣م ، وساءها خلو الأدب الحديث من فن القصة وكتّابه على الساحة العربية ، ورأت أن سبب هذه النقيصة عائد إلى الأدباء أنفسهم ممن اتسموا بقلة ملاحظاتهم حتى لأبسط المحسوسات ، ولم ينفتحوا بخيالهم على طبيعة بلادهم ، كما أنهم لم ينظروا إلى واقعهم المعاصر . ولذا وجهتهم إلى القصة الواقعية من مختلف منابعها الإنجليزية والفرنسية والروسية . وكانت ترجمتها عن هذه اللغات بدافع تقديم الأنموذج وسد الحاجة(٢) . وقد أعربت عن ذلك عندما أشادت برواية «زينب»، إذ رأتها فتحاً جديداً في مجال كتابة القصة الواقعية العربية : ((نقول ذلك وفي يدنا رواية صالحة ، هي بدء عهد جديد في عالم الكتابة ، نستقبله بالغبطة والروح ،

---

(١) في فترة ما بين سنة ١٩١١م ، وسنة ١٩١٧م ظهرت قصص بأقلام محمود ومحمد تيمور ، وطاهر لاشين ، عيسى عبيد ، ثم تطورت القصة المصرية بعد ثورة ١٩١٩م ، وظهرت بعدها مرحلة الاحتراف فأصبحت الكتابة من أجل درس الظواهر الإنسانية المختلفة وتحليلها ، ومناقشة القضايا الحياتية المختلفة . انظر : محمد ، إبراهيم عبد الرحمن : " الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق " ص ١١٣-٤ .

(٢) انظر : ع٨ و٩ ، س٢ ، ١٩١٣م ، ص ٥٦١ - ٢ .

تلكم رواية (زينب) وضعها صاحبها يصف فيها حال الريفيين في طهرهم وعفافهم ، وسلامة قلوبهم ، وشريف حبهم ، وجمود كبارهم ، وتقوى كهولهم ، وضمّنها مبادئ له عصرية ليس فيها إلا الرشيد القويم ، متبعاً في ذلك مذهب دكنز وبلزاك وثكاري ... وقد جمع إلى ذلك مبدأ إنكار الذات في سبيل الخدمة العامة، فاكتفى بكتابة (فلاح مصري) وإنا نجل هذه منه كما نجل هذه الرواية البديعة النافعة ، ونرجو أن يفرغ الدكتور حسين هيكل إلى وضع الروايات فنحن بحاجة شديدة إليها ، وإلى ما يخرجه ذلك العقل الكبير ، ونتوقع أن تقل حاجتنا إلى معربات دكنز وديماس ودوديه وأمثالهم ، بما ينشئ من جلال الروايات))[1] .

وفي ختام الحديث عن القصة المترجمة في " البيان " لابد من الإشارة إلى أنها كانت تبحث فيما نشرته من القصص الواقعي عن عنصري الفائدة والمتعة ، فالفائدة تكمن فيما تحمله تلك القصص من مبادئ وأفكار صالحة توافق المجتمع العربي المسلم لتصحح بذلك النظرة الخاطئة بأنّ فن القصة يتميز بالإباحية والتفاهة في سرد الأحداث – على نحو ما ذكر – أما المتعة فتأتي عن طريق تتابع أحداث القصة والتصوير الجميل للشخصيات ... إذ قالت : ((يرى قرّاؤنا الأفاضل أننا ذيلنا هذا العدد بقصة من أحسن القصص القصيرة التي تلتقي فيها الفائدة باللذة والفكاهة ... وكل ذلك قصْد إجمام النفس وترويح الخاطر مما عساه يعزو القارىء من إطالة النظر في المباحث الجدية))[2] .

واستطاعت " البيان " أن تحافظ على ذلك المبدأ في جميع مراحل عمرها ، فلم تختر إلا ما يوافق منهجها ، فضلاً عن ذلك أنه لم ترد في جميع ما نشرته من القصص كلمة نابية تخرج عن الآداب العامة .

(١) (السابق) ص ٥٦٢ .

(٢) ع٢و٣ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص ٥٢ .

وكما باشرت " البيان " ترجمة القصة العربية بأنواعها من أقصوصة وقصة قصيرة ورواية ، كذلك كان للمسرح المترجم مكانته على صفحاتها ، وهو لا يخرج عن الإطار القصصي ، وإن كان له قواعده وأصوله الخاصة به .

رابعاً : المسرح المترجم :

لقد وجد المسرح المترجم مكانه على صفحات " البيان " في الفترة الأولى من حياتها ، بالرغم من أنها لم تتوسع في الترجمة له ، إذ جعلت مدار اهتمامها بالشعر والقصة خاصة ، فكان أول نص مسرحي قدمته (الفصل الأول) من مسرحية " فاوست " للشاعر الألماني جوته في العدد العاشر عام ١٩١١م ، والملاحظ أن " البيان " وضعته في باب (القصص والفكاهات) وقد أطلق المترجم صالح حمدي حمّاد على هذا الفصل " غواية فاوست " واستهله بمقدمة[١] ، لم يشر فيها إلى معانيها القيمة ، بل اكتفى بقوله : ((فوست رواية تمثيلية لجيتي ... أشعر شعراء ألمانيا في القرن الماضي ، وقد باشرت تعريب هذه الرواية بتصرف يناسب المقام ، ورأيت أن أتحف قراء مجلة البيان الفيحاء بالفصل الأول منها))[٢]. وهذا القول يتضح منه أن فهم الكتاب والمترجمين للتأليف المسرحي - إبانئذٍ - كان مرتبطاً في أذهانهم بفن التمثيل - على نحو ما عرفوه - والذي من أجله خضعت ترجمة المسرح للعامية الدارجة ، ولذا من الطبيعي أن ينظر الأدباء الغيورون على الفصحى إلى المسرح بنوع من الزراية والانتقاص ؛ لأن الترجمة للمسرح طوعت وقتئذٍ لصالح التمثيل للعامة ، لا لصالح الأدب ورقي اللغة العربية

(١) أشهر ترجمة لمسرحية (فاوست) ما قام به الدكتور محمد عوض محمد في الخمسينات من القرن العشرين .

(٢) ع ١٠ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٦٣٠ .

الفصحى . ولعل هذا السبب هو الذي أدى إلى تأخر نضوج أدب المسرح العربي حتى العقد الرابع من القرن العشرين[1]. ولهذا كأنما كانت " البيان " على استحياء من قرائها في نشرها لمسرحية " فاوست " فأرادت استماحتهم العذر بوضعها في باب (القصص والفكاهات) رغم خلو المسرحية من الفكاهة وميلها إلى الحكمة والعقلانية[2]. وكما هو واضح كان هدفها أن يستجلي قراؤها وخاصة الأدباء أصحاب الاختصاص بالمسرح مكامنها ، وذلك بالنظر إلى أمرين مهمين برزا في أسلوب الترجمة وموضوعها . وهما :

١ - استخدام الفصحى بدلاً من العامية سواء في الترجمة أو التأليف للمسرح ، وخاصة أن المسرح هو الذي حرف الترجمة عن مسارها – آنذاك -- لأن أغلب الترجمات استهدفت المسرح العامي – كما ذكر سابقاً – مما أدى إلى ظهور

---

(١) يرتبط هذا التاريخ بظهور مسرحية أهل الكهف عام ١٩٣٣ م ، على يد الكاتب توفيق الحكيم ، ومن بعدها أصبح رائداً لأدب المسرح العربي في مصر . انظر : د. ضيف ، شوقي : « الأدب العربي المعاصر في مصر » ص ٢١٦ .

(٢) ابتدأ المسرح في مصر منذ أسس " يعقوب بن صنوع " مسرحاً للتمثيل عام ١٨٦٩م ، ثم أنشأ بعد ئذ صحفاً هزلية حولها إلى مسارح مقروءة منها " أبو نظارة زرقاء " ١٨٧٨م و"أبو صفارة " ١٨٨٠م ، و" أبو زمارة " ١٨٨١م ، وقد ضمن مسرحياته المترجمة والمنشأة من أقوال العامة وحكمهم مع إيراد بعض الألفاظ الأجنبية ، ثم أصبح بعد ذلك التمصير غالباً على المسرح المترجم والذي نشطت به الفرق السورية ، فكان تقريباً إلى بدايات القرن العشرين مزيجاً من التمثيل والغناء ، وهذه الأسباب فيما أرى جعلت الحركة المسرحية في بداياتها جادة كفن أدبي له قيمته . انظر : د. عبده ، إبراهيم : " أبو نظارة إمام الصحافة الفكاهية المصورة وزعيم المسرح في مصر ١٨٣٩- ١٩١٢م ، ط١ مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٣م ، ص ٢٥ ، ٤٥وما بعدها . وانظر : د. المغازي ، أحمد : " الصحافة الفنية في مصر نشأتها وتطورها من الحملة الفرنسية ١٧٩٨م إلى مصر الدستورية ١٩٢٤م " ج١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م، ص ٥٧، ٦٠ ، وانظر : د. ضيف ، شوقي : " الأدب العربي المعاصر في مصر " ص ٢١٣ .

فكرة التمصير والتعريب والاتجاه إلى العامية والسقوط إلى القصص التافهة لإرضاء الجماهير(١) .

٢ ـ البحث عن الفكرة الجيدة ، التي يستقي منها القارئ أو المشاهد الحكمة والعظة وتجنب الموضوعات التافهة أو الألوان الرخيصة المترجمة . وقد استطاعت مجلة " البيان " إبراز قيمة مسرحية " فاوست " بدءاً من وضعها عنوان الفصل الأول لها باسم " غواية فاوست " فقد جسّد كاتبها الشاعر جوته من خلالها الصراع الأزلي بين الإنسان والشيطان ، عن طريق استخدامه لإسطورة " فاوست " التي استلهمها لبث أفكاره الفلسفية في الإنسان ؛ وما قد يعتريه من لحظات ضعف أمام ملذات الحياة ، والشيطان الذي لا يتوانى لحظة عن اقتناص الفرص للكيد ضد ذلك الكائن الضعيف أمام أهوائه(٢) . فالشيطان في هذه المسرحية استطاع أن يتسلل إلى نفس فاوست الطبيب العالم ، ويصوّر له بأنه لم يفد من جميع ما برع فيه من العلوم غير التعب والنصب ، ولم يجن غير الألقاب الطنانة ، فلا جدوى من تلك العلوم لأنه حرم من مسرات الحياة وملذاتها . فلم يجد له مندوحة إلا الاستعانة بعلوم السحر ، ليعرف أسرار الحياة ، ويستكشف قواها العاملة المؤثرة ، لينال من ورائها ما تصبو إليه نفسه . ويقول جوته على لسان " فاوست " واصفاً حاله وهو حزين كاسف البال يتجول في أرجاء غرفته : ((فوست – فهذا المكان هو سجني ؛ نعم هذا المكان محبسي ؛ ولكن لمَ أجلب على قلبي الهموم

(١) الجندي : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " ص ٩ .

(٢) ذكر الدكتور محمد غنيمي هلال أن شخصية " فاوست " أسطورة شعبية ألمانية . أصبحت بفضل جوته شخصية عالمية ، وعالجها من بعده مشاهير من أدباء العالم . انظر : « الأدب المقارن» ص ٣٠٧ .

والأكدار ؟ وأحمّل نفسي الأحزان في حياتي والأشجان ؟ إني خلقت حياً في طبيعة حية ، فعلام أضع نفسي باختياري في القبور بين الأموات ؟ أجل هذا المكان لعمري قبر ، وهو لا يحوي إلا أشياء تافهة ، فلأكسرنّ هذه السلاسل ، ولأحلنَّ هذه القيود ، ولأزجن بنفسي في مجاري الحياة الصافية ، استقي منها على لذة كؤوساً مترعة .

ثم يتناول بيده كتاب السحر ويقول : ((... فوست - هذا الينبوع الصافي والمورد العذب الذي أريد الاستقاء من زلاله والتشبع من شرابه حتى أنال إربي وأحظى بالحب والغرام ... هذا كل ما أريد وأرغب فيه وتتشهاه عليّ نفسي))[1].

ولم تتوقف " البيان " عند نشر مأساة " فاوست " . بل أبدت في السنة الثانية ١٩١٢م - ١٩١٣م تفهماً أكبر لدور المسرح والتأليف المسرحي في تطوير المجتمع ورقيه فكرياً ، وذلك حينما يوظف الكاتب القضايا الوطنية والاجتماعية لصالح الإنسان ، فأرادت أن تشارك وقتئذ بقوة في تطوير المسرح العربي ، من خلال دورها كصحيفة أدبية ، رصدت نفسها لترقية الأدب العربي . فأخذت بترجمة أرفع النصوص المسرحية في الغرب . فكانت مسرحية " وليم تل " للكاتب الألماني فردريك شيلر[2] ، والتي ترجمها للبيان الأستاذ أحمد الخازندار . وقد استمرت في عرضها لمدة عامين، نشرت منها الفصلين الأولين بتعدد مناظرهما[3] .

---

(١) ع١٠ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٦٣٢ - ٣ .

(٢) يعد الألمان " شيلر " من عباقرتهم في الأدب والشعر بعد " جوته " وهو من أدباء الكلاسكية الألمانية ، ولد عام ١٧٥٩م وتوفي ١٨٠٥م . من أشهر أعماله مسرحية " اللصوص " ترجمها غبده حسن الزيات . انظر : ضياء ، عزيز : " جسور إلى القمة " ط١ ، تهامة ، جدة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٧١-٧٢ .

(٣) انظر : ع٤ و٥ و٦ و٧ ، س ٢ ، ١٩١٢ - ١٩١٣م ، وع١ و٤ ، س ٣ ، ١٩١٤م .

وأما سبب هذا التحول لدى " البيان " والإقدام على الترجمه للمسرح فمبني على نتيجة التطور الذي بدأ يحدث عام ١٩١٣م ، في التأليف للمسرح العربي ، على يد ثلاثة من أدبائه برزوا به ، وهم : إبراهيم رمزي (ت ١٩٤٩م) ، ومحمد تيمور (ت ١٩٢١م) ، وفرح أنطون (ت ١٩٢٢م)(١) . وقد حيَّت " البيان " الأخير منهم ، وأشادت بالقيمة الفكرية لمسرحية " مصر الجديدة ، ومصر القديمة " في عام تأليفها ، فقالت: ((هي الرواية الجليلة المحزنة التي مُثِّلت على مسرح [جوقة] جورج أبيض ، فكان لها أكبر تأثير في نفوس من شهدها ... فهي مجموعة من أمراضنا الاجتماعية التي لا نهضة لنا ولا رقي ولا انتعاش إلا بالشفاء منها وقتل جراثيمها . وقد بدأ فيها واضعها فرح أفندي أنطون عليماً بفن (الدراما) - أي فن وضع الروايات التمثيلية.. وقد سرّنا أن يطبع (مصرالجديدة) حتى يجمع الناس بين لذة القراءة ولذة المشاهدة ، فتكون أرسخ أثراً ، وأعم نفعاً))(٢) .

ومن هنا يظهر اهتمام " البيان " بمضمون العمل الفني فيما يخص المسرح ، وذلك لينهض الأدباء الذين أرادوا الانطلاق بآفاقهم الفكرية ومواهبهم الفنية في كتابة أدب المسرح على أسس سليمة - إبانئذٍ - فقامت بإبراز أهم الجوانب التي رأت أنّ على الأديب إدراكها والأخذ بها . وذكرت أن مسرحية " وليم تل " انطلقت فكرتها وأحداثها من واقع تاريخي لأهل سويسرا ، إذ لم يبدأ مؤلفها بكتابتها إلا بعد دراية منه بكل ظروف القصة ، وزيارة المواقع التاريخية ، وجعل أفكاره تنساب وتسير من غير النظر إلى وحدات العمل المسرحي ، مهتماً بالإنسان وطبعه ، فقالت عنها : ((الرواية خالية من العواطف الكاذبة والتشبيه الصناعي ،

(١) انظر : د. ضيف ، شوقي (السابق) ٢١٤ - ٥ .

(٢) ع٨ و ٩ ، س ٢ ، ١٩١٣ م ، ص ٥٦٢ .

ولكن الطبع يجري فيها وفي أشخاصها حتى لا تكاد تجد الشاعر يتطفل بعواطفه ليفسد شخصية أبطال الرواية ... وهي ليست خصيصة بعصر من العصور ، ولا خاضعة لأحداث الزمان والمكان ، ولكنها متأصلة في طبع الإنسان))(١). وبهذا فقد أرادت " البيان " من الأدباء العرب الاستفادة من المسرح الألماني في إخضاع وحدات المسرحية لموضوعها وأحداثها لا العكس ، والاتجاه به إلى خدمة المجتمع ، كما اتضح في مسرحية " وليم تل " فقد كانت مثالاً للبطولة الوطنية ، ومما جاء فيها : (((هياج شديد بين المجتمعين)

إن للاضطهاد حداً ؛ فإذا لم تجد فريسته ملجأ ؛ ولم تستطع أن تتحمل الظلم ؛ استغاثت بعد ذلك بالسماء ، فهنالك حقوقها الدائمة التي لا يمكن اغتيالها لا تزال باقية لا تغتصب كالنجوم ذاتها ، وتعود الطبيعة إلى حالتها الأولى ، ويلتقي الإنسان بأخيه الإنسان وجهاً لوجه ، وأخيراً إذا ضاقت الحيل داوى علته بجراح السيوف، فإنّ كنزنا الأعز مازلنا نحميه من الظلم، ونحمي ديارنا ونساءنا وأبناءنا .

جميعاً - (يقرعون سيوفهم)

نعم نحمي نساءنا وأبناءنا))(٢)

وبانتهاء عرض مسرحية " وليم تل " في العدد الرابع من السنة الثالثة ١٩١٤م ، انقطعت " البيان " عن ترجمة الأعمال المسرحية - ولعل هذا يعود إلى قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م - فأرادت أن توجه موضوعاتها إلى ما هو جدّي في نظرها وأكثر تعلقاً بالظروف الراهنة ، التي عاشتها . فقد كان الأدباء آنذاك يعدون المسرح المترجم أدب لهو وتسلية - كما ورد - إلا أنها استأنفت

---

(١) ع٤ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ١٨٩ .

(٢) ع٤ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٤٣ (مستقلة) .

الترجمة للمسرح في عام ١٩٢١م ، بنشر الفصل الأول والثاني من مسرحية "تاجر البندقية " لشكسبير(١) . ورغم ذلك فـ " البيـان " استطاعت أن تعمل على توجيه الحركة المسرحية في مصر ، بما قامت به من تعريف قرائها على عيون المسرح الأوروبي - إبانئذٍ - ليطلع الكتاب العرب على طريقته في العرض والتصوير ، هذا إلى ما كان من مقدرة " البيان " على تطويع ترجمة أدب المسرح إلى اللغة العربية الفصحى ، في زمن كانت تُقَدم المسرحيات المترجمة باللهجة العامية ، إلى جانب ظهور عدة دعوات تناصر العامية ، وتنادي بها لغة تترجم بها الفنون ، وتستخدم في جميع العلوم . فأرادت البيان أن تُرغّب في الفُصحى وتحببها إلى قلوب القراء(٢).

خامساً : المقالة المترجمة :

طرحت مجلة " البيان " نماذج متعددة من المقالات المترجمة لبعض أعلامها الغربيين ، وأرادت بها الإسهام في إرساء دعائم فن المقالة الأدبي ، حسب ما هو عليه من مواصفات فيها يجب على الأديب المقالي أن يسير عليها ، وما يستلزم منه مراعاة الانسجام بين الفكرة وأسلوب الأداء(٣) .

---

(١) انظر : ع٢ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ٨٩ وما بعدها .

(٢) لقد وسّعت " البيان " من مجالاتها في الترجمة لتخدم طلاب الثانوية ، كمسرحية " هنري الخامس " لشكسبير ، فأردات أن تعم فائدتها للقراء عامة والطلاب خاصة ، فقالت : " وقد قررتها نظارة المعارف على كلية البكالوريافي هذا العام [١٩١٣م]وعربها لمكتبة " البيان " محمد السباعي ليستعين الطلبة بدقيق التعريب على تفهم دقيق معانيها في الإنجليزية " ع٨ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ٥٦١ .

(٣) د. هيكل ، أحمد : " تطور الأدب الحديث في مصر " ص ٧٠ ، أدهم : " على هامش الأدب والنقد " ص ٢٠٢ - ٤ .

وقد ظهر حسن التأتي في اختيار موضوعات المقالة المترجمة لدى " البيان " بما يفيد قراءها وخاصة الأدباء منهم ، فكانت راقية فكرياً ، متسمة بالدقة ، واختيار الموضوعات غير المألوفة عادةً ولا تتأبى على الخاطر ، والتي تنم عن فكر متميز لدى بعض كتاب الغرب ، عبرت عن وجهة نظرهم الشخصية في كثير من الأمور ، اتجهوا بها وجهة إنسانية حكت عن الإنسان وتعمقت في أسراره ، أما الصفة الغالبة على جميع ما نشرته المجلة من مقالات فهي أدبية ذاتية أو موضوعية تدور حول المحاور الآتية :

١ ـ الاجتماعي . ٢ ـ التأملي الفلسفي . ٣ ـ الفكاهي الساخر .

فمما نُشر من المقالات الاجتماعية المترجمة ما حمل عنوان (البيت والحياة المنزلية) للكاتب الأمريكي أمّرسن[١] ، و(العزوبة والزواج) للفيلسوف بيكون (ت ١٦٢٦م) . وكان المراد من نشرها لفت أنظار القراء إلى نوعية الموضوعات التي تناولها كتّاب الغرب ، لما فيه خير للمجتمع والإنسان ، ودعت في طياتها الشباب إلى أهمية الزواج وتكوين الأسرة ، وقد ذكر بيكون أن الزوجة والولد هما نظام من النظم الإنسانية وأن : ((العفة والطاعة خير ما اجتمع عليه زوجان ، وأوثق ما ارتبط به قلبان ، وأحبك ما ائتلف به روحان ، والمرأة لا تأخذ نفسها بهما إلا إذا رأت من زوجها رجلاً عاقلاً ، وشهدت فيه صاحباً أريباً ، ولن تفعلهما إذا ألفته قلقاً غيوراً . ألا إنّ الزوجات لسيدات في عهود الشباب ، صواحبات في الزمان المكتهل ، مراضع إذا صاح نهار المشيب ...))[٢] .

---

(١) انظر : ع ٥ و٦ و٧ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ٢٤٩ .

(٢) (السابق) ص ٢٧٨ .

كـذلك ترجمـت عدة مـقـالات تأملية وفلـسفـيـة تكشف عن آراء الكاتب الشخصـية نحو الكون والحيـاة والإنسان ، وكل كلمة فيـها موجهـة إلى أصحاب العقـول النيّرة والكبـيرة ، وقـد نشرتهـا المجلة ، حتى تكون لقـرائها مراحـاً من عناء الكتب الجـادة ، وتمنحهـم كلمـاتها الأمل والتـفاؤل والحـماس والرغـبة في المسـيرة العلمية والأدبية . فمن ذلك مقالة (السعادة) فـقد رأى كاتبها فيها أن التفاؤل هو السبيل لتحـقيق الأماني ورائد النجاح يقول : ((فإذا أردت أن تجـعل عقلك مخزناً لضـيـاء الـشـمس العـقلي ، وجب عليك أن ترفع منه أولاً كل الأفكـار المظلمـة ، وتستـبدل بهـا أفكاراً سارة مضيئـة ، لأنّ المرء ينبغي أن يكون حـارساً على أبواب عقله ، ويقبل ما يريد من الأفكار ويرفض ما لا يريده))[1] .

كمـا ترجمـت " البيان " مـقالة (المتشائـمون) لماكس نوردو ، لتكشف من خـلالها بعض الآراء الفـاسدة ، والتي تبنـاها بعض فلاسـفة الغـرب بسبب الموجـة العلميـة الطاغيـة وقتـئـذٍ ، وابتدأتها " البـيان " بكلمة نصـح لكل قرائها ، فـقالت : ((مقال جميل جليل متفائـل - خليق بجماعة الساخطين على الكون والحياة وبكل من يهمه أن يعيش في هذه الدنيا عيشة راضيـة أن يقرأوه وينعموا فيه النظر ويعتبروا بما جاء فيه))[2] .

واهتـمت " البيـان " أيضـاً بترجـمة مـقالات النـاقد الإنجليـزي وليم هازلت الفلسفـية مثـل مقالتـه (معرفـة أخلاق الناس)[3] و (المـوت)[4] . ممـا يدل فـي

(١) مقالة السعادة غفل من التوقيع ، واكتفت " البيان " بقولها عربها عن الإنجليزية أحد الأفاضل ، ع ٥ و ٦ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٩٧ .

(٢) ع ٢ و٣ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ٣٥ .

(٣) ع ٢ و٣ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ١٥٣وما بعدها .

(٤) ع ٧ و ٨ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ١٩٠ وما بعدها .

ترجمتها لمقالات هذا الناقد أن الأدباء العرب لهم اهتمام بالغوص في أعماق النفس الإنسانية . ففي مقالته الأولى يرى ثلاثة طرق توصل إلى معرفة أخلاق الناس وهي : لوائح الوجه ، والحديث ، ثم الفعال . والأولى أصدق الثلاث ، وإن كانت تبدو أضعفها . ثم يقول ممثلاً بنفسه ((ولخير لي من أن يرثيني الشاعر بعد وفاتي بالكلام المنمق ويكتب سيرتي المؤرخ ، أن أخلف صورة لي من ريشة مصور صنّاع ، فإن وجه هذه الصورة لينطق للناس بما جال في خاطري ، وحاك في وجداني . فأما ما جرى به لساني وفعلته يداي فهذا ما قيمة له بجانب الفكر والإحساس ... فإنّ سيماء الوجه هي نتيجة السنين المتوالية ، وقد طبعتها على صحيفته أيدي الحوادث والصروف ، بل يد الطبيعة والفطرة ، فيتعذر على المرء أن يمحوها من وجهه ...))[1] .

أما المقالات الفكاهية الساخرة وقد اتجهت " البيان " إلى ترجمتها في سنواتها الأخيرة ، فربما كانت بسبب الحرب وآثارها على نفسية الناس ، مما دعاها إلى نشر هذه النوعية من المقالات ، لتخفف شيئاً من غلوائها على القراء ، فنشرت مقالاً بعنوان (الحلاقون) للكاتب الأمريكي الساخر مارك توين (ت١٩١٠م)[2]. وآخر بعنوان (الجهل وخجلنا منه وطرق إخفائه) تميز أيضاً بالفكاهة وخفة الروح للكاتب هيليز بيلوك[3]. كما نشرت مقالة بعنوان (سنة ٢٩٠٠) للكاتب جيروم . ك . جيروم وصدرتها المجلة بمقدمة أرادت فيها من القراء أن يستنبطوا النواحي الفنية والموضوعية في المقالة ويستفيدوا من مغزاها الحقيقي : ((فآثرنا أن نسوقه إلى

(١) (السابق) ص ١٥٤- ٥ .

(٢) ع ٧٤ ، س ٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٤٢١ .

(٣) ع ٤٤ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ١٥٦ .

القـراء ؛ لأننا أحـوج إليـه في زمن يظن أهـله أنهم قـد ألموا على المرقـاة الأخـيـر من مدارج الحضارة))[١] ، وذلك يتم عن طريق مـعايشـة القـراء للخيـال السـاخـر مع كاتبه الذي هو من أكبـر كتّاب النقد المضحك والفلسفـة . ويتكهنوا بأنفسهم عن حـال الدنيـا يوم تدور دورة الدهـر ألف عـام ، ومـاذا سـيكون مـصيـر الأرض في المستقبـل البعيد ، وفيه حلّق الكاتب بخياله فتصور أنه نام مدة ألف عـام ، وبعدما استيقظ وجد رجلاً أشيب تلوح عليه مخائل الذكـاء فاستصحبه ليسأله عن أحوال القـرن " ٢٩٠٠ " : ((حـتى إذا مـشـينا قليـلاً قلت : " ثم ألا يـؤذن لكم بقـراءة الكتب ؟ " ، أجاب : أمـا عن الكتب فإني أقول لك أن ليس لدينا الكثيـر منها ، إذ إنّا نعـيـش الآن عـيـشـة كـامـلة ، خلواً من المظالم والآلام والـفـرح والأمل والحب والحزن ، فلم يعد لنا ما نكتب عنه !)) .

قلت : ((وماذا صنعتم بالكتب القديمة ؟ وماذا كان مصير شكسبير وملتون وغيرهم من سـادة كتّاب العهـد القديم ، وماذا صنعتم بالكتـاب أو الكتابين اللذين وضـعتـهمـا أنا في زمني ؟ مـاذا جعلـتم من كل هذه الكتب والتـواليف البديعـة ؟ فأجـاب الرجل : لقد أحـرقناها جميـعاً ، فقـد كانت كلهـا مفعـمة بوصف الآلام القديمة ، يوم كان الناس دواباً كدواب الحمل))[٢] .

واهتمت " البيان " في سنواتها الأخيرة بترجمـة المقالات الموضوعيـة سواء كانت في العلوم الاجتمـاعية كمقالة (العادة) للفـيلسوف جيمس[٣]. و (التربية العقلية) للكاتب ارنولد بنيت[٤] .

---

(١) ع٧ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٩٥ .
(٢) (السابق) ص ٢٠٥ - ٦ .
(٣) ع١٤ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ١٥ .
(٤) (السابق) ع ٥ ، ص ٢٠٣ .

وترجمت عدة مقالات تتحدث عن حقائق الشعوب بعنوان (روح الشعب الإنجليزي في هذا العصر) لفيليب جيمس[١]. و (الصالون الفرنسي والإنجليزي) للكاتب الفرنسي تين (ت ١٨٩٣م)[٢] ونشرت أيضاً في السياسة للكاتب ويلز مقالة بعنوان (مستقبل العالم وهل تبطل الحروب من الدنيا)[٣] ، ونشرت أيضاً في التاريخ للدكتور لتنز مقالة بعنوان (الإسلام) وقد أشادت بما احتواه بحثه من تحليل دقيق ناصر فيه الإسلام قلما أتى مثله في الغرب فقالت : ((ولكنّا ما علمنا من وفىَّ البحث في الإسلام حقه ، وتناول الشريعة المحمدية من جميع وجوهها ، وصدع برأي بديع ، مثل الدكتور لتنز ... وإنّا لننشر اليوم مقاله عن الإسلام ، ونحن سعداء أن ظفرنا برجل من الفرنجة مثله ينتصر للإسلام هذا الانتصار الرائع المدهش))[٤].

وما سبق كان إجمالاً لبعض الأمثلة من المقالات الأدبية التي قامت بترجمتها صحيفة " البيان " وحملت في طياتها فكراً غربياً سامياً ـ كما اتضح ـ وهذا يظهر مدى قدرة المجلة على انتقاء ما يفيد الصالح العام وخاصة الأدباء العرب إبانئذٍ ليحتذوا أمثال تلك المقالات ، بما تميزت به من عدة أمور :

١ ـ إثراء الفكر بما حملته من تجارب شخصية لأصحابها ، فبرزت صورهم الفكرية ، ومذخورهم الثقافي في جميع ما كتبوه .

(١) (السابق) ع١ ، ص ٨ .
(٢) (السابق) ع٤ ، ص ١٦٦ .
(٣) (السابق) ع١ ، ص ٢ .
(٤) ع ٢ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ٦٥ .

٢ - فائدة فنية صرفة من حيث أسلوب الترجمة ، إذ جاء سهلاً وواضحاً لا غرابة فيه ولا تعقيد ، فلم تستخدم " البيان " السجع أو الكلمات الأعجمية كما كانت عليه من ذي قبل مقالات صحف القرن التاسع عشر ، ثم النسق والنظام الذي أتت به تلك المقالات ؛ لتكون مجالاً يستوحي منها الناشؤون الطريقة المثلى في الكتابة .

وقد استطاعت البيان باتباعها الميزتين السابقتين أن تحقق التوازن بين ما نقلته من التراث العربي بما قدمت من رسائل الجاحظ وآخرين غيره ، وبين نقلها للمقالات المعاصرة عند الغرب .

٣ - تغذية الواقع عن طريق طرح موضوعات تمس وقت وحاضر " البيان " مع نشر المقالات الفكاهية ذات الخيال الطريف ، مع ما تستبطنه من حكمة ، وكل هذا أعانها على التطور والتجديد والانتشار أيضاً .

وختاماً : يمكن القول إنه مع كل ما ترجمته " البيان " من مقالات فإنه يؤخذ عليها عدم عنايتها بترجمة المقالات الخاصة بتاريخ الأدب والنقد الأدبي وقضاياهما، فكان من الأولى لها أن تنشر إلى جانب تلك المقالات ما يمثّل النقد الإنجليزي والفرنسي ، ولمن ترجمت لأعمالهم في فن القصة والشعر ، فتكون بذلك قد أدت خدمة كبيرة للنقد العربي الحديث ، بإبراز أراء كتاب الغرب ، إذ لم تنشر طوال عمرها إلا مقالتين في النقد ، وكان بينهما تفاوت كبير في الزمن ، وهما (الحد بين الطبيعة والصناعة في الفنون الجميلة) للكاتب الأمريكي أمرسن ، في العدد الخامس من السنة الأولى ، والآخر بعنوان (الشعر والمدنية) للكاتب ماكولي ، في العدد السادس من السنة الثامنة ١٩٢٠م .

وبهـذا ينتهـي الفصل الثـاني من باب " النهـر المتـرجم " الذي يوضح دور " البيان " في ذلك المجال ، حيث كانت مصباحاً منيراً في مطلع القرن العشرين لكل الحـائرين من الأدبـاء والمتطلعين إلـى النهل من مـعين ثـقـافـات الأمم الأخـرى ، فـأرشدتهم إلى روائـع فنون الأدب العالمي ، التـي تميزت بسـمـو الفكرة ، وجمـال الأسلوب والعرض الفني ، سواء كان في الشعر ، أو القصة ، أو أدب الاعترافات ، أو المسـرح ، أو المقـال . ولـم تتـوقف " البـيان " عنـد هذا الحد من الـترجـمـة ، بل اتسعت لـتشمل الكتب والدراسـات والأبحاث العلمـية ، على نحـو ما سيأتي في الفصل الثالث .

الفصل الثالث

الكتب والدراسات المترجمة في « البيان »

أولاً : الكتب المترجمــة :

١ - كتب (إنشائية) أدبية .

أ - باب آثار تاريخية .

ب - آثار غربية .

٢ - كتب ثقافية :

أ - في العلوم الإنسانية والتاريخ .

ب - الكتب العلمية .

ثانياً : آراء ومحاورات الفلاسفة :

أولاً : الكتب المترجمة :

انتقت " البيان " مجموعة من الكتب التي تمثل قمم الفكر الغربي ، فترجمت من مضامينها فصلاً أو فصلين ، أو موضوعات بعينها استهوت المجلة ، وأحياناً كان يتم نقل الكتاب كاملاً .

أما ما كانت ترتجيه من هذه المؤلفات فهو خدمة الأديب والقارىء العربي ، لتطلعه على أروع وأجود ما كتب الغرب ، ولذا اهتمت بنشر كل ما له معنى وقيمة ، وحمل فكراً راقياً ، وقد أشارت إلى ذلك في ترجمتها كتاب " الصور " لواشنجطون إرفنج ، قائلة : ((فهي من الكتب القيّمة الجامعة بين الموضوعات الطيبة الحلوة والقصص البديعة ذات المغزى الرائع ...))(١) .

وكل ما ترجمته " البيان " من أسفار إنجليزية أو فرنسية أو أمريكية وغيرها ، باختلاف أساليبها وموضوعاتها ، أبدت فيها احترامها لعقلية المثقف العربي ، ولم تقبل الاستهزاء بقدراته على الاستيعاب ، وقد صرحت بذلك عندما نقدت ترجمة ما يسمى بكتب " النجاح " وأسراره في بعض المجلات ، فقالت : ((في عصرنا هذا ظهر نوع خاص من الكتب والمقالات أشهد حقاً ... أنها أسخف ما أخرج للناس في الدنيا كلها . فهي أكثر غرابة من أغرب روايات الحب والفروسية ... هذه الكتب التي أتكلم عنها هي عن " لاشيء " أو هي عما يسمّونه النجاح ، ففي جميع رفوف المكاتب وفي كل مجلة ، ترى أيها القارىء كتباً ومصنفات وأبحاثاً تبيّن للناس سبيل النجاح ... وهذه المصنفات والكتب وضعها كتّاب ومؤلفون لم ينجحوا في أي شيء في الدنيا حتى ولا في كتابة الكتب ... وهي لا تحتوي أية فكرة على الإطلاق ، ولا معنى لها ولا قيمة))(٢) .

---

(١) ع٤ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص (بدون) إعلانية .

(٢) من مقال (سر النجاح) غفل من التوقيع ، ع ٩ و١٠ ، س ٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٥٦٣ - ٤ .

وقد اعتمدت « البيان » في ترجمة الكتب على رجال النهضة الأدبية الحديثة وعمدها أمثال : العقاد ، والمازني ، ومحمد لطفي جمعة ، والسباعي وغيرهم ، فأتت الأساليب متنوعة كل حسب طريقته ، ولغة النقل عربية فصيحة لا هي متقعرة ولا سوقية ، بريئة من أي شائبة أو مثلبة ، ومما يبعث على التقدير أنها دأبت على التوطئة لكل كتاب ترجمت له ، فشمل دراسة وافية عن موضوعه وقيمته ، ومكانة مؤلفه وبيئته وثقافته ، مما يعتبر تحولاً مهماً في تاريخ الترجمة ، فلم يأت كل ما نقل إلى العربية مجهول النسب تقريباً ، سواء من حيث المؤلف أو الكتاب .

كما نوعت « البيان » في اختياراتها من الكتب ، إذ تم تصنيفها في هذا البحث إلى كتب أدبية إنشائية ، وثقافية متنوعة في مجالات عدة منها تاريخية وفلسفية ونفسية واجتماعية وعلمية ، وسوف يتم شرحها في الصفحات الآتية حسب التقسيم الذي وضع لها .

١ - كتب (إنشائية) أدبية :

ويقصد بهذا المعنى كل ما له صلة مباشرة بالأدب من حيث الأسلوب والموضوع وما ألفه الكاتب من بنات أفكاره ، ولم يرجع فيه إلى أي مرجع ، وليس له صلة بالعلوم الأخرى ، إنما كتابه كديوان شعر مليئ بالمقالات والأفكار المتنوعة ، يصدح فيه ويتغنى كأي شاعر بقصيدته . راسماً تصوراته نحو الكون والحياة بعدما صقلته التجارب ، واتسعت رؤيته الثقافية ، وقريب من هذا المفهوم ما قاله الدكتور سيد أبو ذكرى عن المقال الإنشائي : ((هو الذي يصور انطباع الكاتب تجاه حدث معين ، أو شعوره إزاء موقف خاص ، أو تأثره بسبب مشهد ما ، وكاتبه يشبه الشاعر في كثير ، ولا يبتعد عنه إلا في موسيقى الشعر المعروفة التي تجعل عمله قصيدة لا مقالاً))[١] .

(١) " المقال وتطوره في الأدب الحديث " دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م - ١٩٨٢م ، ص ٧٦.

وقد قدمت " البيان " من روائع الأدب العالمي في هذا المجال ، والجديد في مجلتها أنها لم تقصر الترجمة على الأدب الأوروبي والأمريكي ، بل تجاوزت مداها إلى النقل من الآثار الإغريقية والشرقية كالفرعوني والفارسي ؛ ليقينها بأن دائرة الثقافة لا تتسع عند حد معين وتضيق في نواحٍ أخرى ، بل تشمل كل الثقافات القديمة والحديثة ، وقد أدرجت هذه الآثار تحت باب (آثار تاريخية) .

أ - باب آثار تاريخية :

نشرت " البيان " في هذا الباب كتاباً كاملاً بعنوان " الحكمة المشرقية " في العدد السابع من السنة الأولى ١٩١١م ، أهداه إليها الأستاذ محمد لطفي جمعة ، بعد أن جمعه وترجمه . وقد حوى ثلاثة آثار عالمية من بلاد المشرق ، كل منها يقع في جزء خاص به ، فالأول عن الآثار الفرعونية ويشمل " حكم فتاحوتب " وزير الملك ايسوسي أحد ملوك الأسرة الخامسة وآخرهم . كتبه ليعلم ابنه الحكمة والرشد ، ليخلفه في منصبه ، بعدما شعر بانطفاء سراج حياته ، وقد عدّت حكمه من المؤلفات النادرة التي بقيت من آثار الأدب المصري القديم . وأما الثاني فكان عن أهم الآثار الفارسية ، واختص بترجمة كتابهم الشهير " جولستان " أو " روضة الورد " للحكيم والشاعر الفارسي مصلح الدين سعدي الشيرازي (ت ٦٦٠هـ) ولهذا الكتاب شهرته الواسعة لما احتواه من الحكمة والزهد والأمثال ، وفيما جمع بين النظم والنثر . وهذا الكتاب لم يحظَ من ذي قبل بترجمة جيدة إلا على يد محمد لطفي جمعة ، وكانت " البيان " أول من نشره بلسان عربي مبين[1]. وأما

(١) ذكر البرقوقي : أنه وجد نسخة لكتاب " روضة الورد " بترجمة جبرائيل بن يوسف والشهير بالمخلع ، وأنها بحاجة إلى نقلها بلغة عربية فصيحة ، كما فعل الفاضل محمد لطفي جمعة . ع١٠ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٥ .

الجزء الثالث فهو كتاب ياباني اسمه " التعليم الراقي للمرأة في اليابان " وله مقدمتان الأولى في تاريخ نهضة اليابان ، والأخرى في موضوع الكتاب ، وقد تحدث فيه عن تربية الإناث ، وهذا الجزء يقع ضمن الكتب الثقافية الاجتماعية .

ولكتب " الحكمة المشرقية " قيمتها العلمية التي حوتها المقدمات المسبوقة بكل كتاب ، إذ تعد كل مقدمة دراسة مستقلة عن تاريخ فترة صدور الكتاب وأدبه ، كما أنها أشبه بأعمال المحققين وهي تفيد إلى حد كبير المهتمين بالدراسة والبحث في مجال الآداب القديمة . إلى جانب موضوعات تلك الكتب وحكمها المفيدة ، وما تأتي لها من أسلوب راعى فيه مترجمه السهولة والوضوح الذي لا تعقيد ولا غرابة في ألفاظه أو معانيه . فكتاب " حكم فتاحوتب " مثلاً وضع له مترجمه ثلاث مقدمات ، تحدث في الأولى عن مكانة هذه الحكم عند قدماء المصريين ، ثم شرح كيفية حصول عالم الآثار الفرنسي (بريس دافن) على نسخ منها في عام ١٨٤٧م[(١)]. وأما المقدمة الثانية فكانت عن موضوع الكتاب وقد وصفه بأنه جامع لأنه حوى مسائل اجتماعية وأخلاقية وتهذيبية ، يقول : ((وإذا حاولنا أن نلخص حكم فتاحوتب في كلمة واحدة تكون شعاراً لمبدئه في الأخلاق ، فلا نختار أفضل من قوله : [كون محباً للخير والناس تكن سعيداً في الدنيا والآخرة[(٢)]] ، ثم تحدث عن تاريخ الأسرة الخامسة المصرية في المقدمة الثالثة ، وعهدها الذي كان بدءاً لنهضة علمية أدبية ، نشأ فيها حكماء وفضلاء وكتّاب مجيدون ، من أشهرهم واضع هذا السفر الوزير (فتاحوتب) ومن حكمه

---

(١) ذكر المترجم أن معتمده في ترجمة " حكم فتاحوتب " من نسخة إنجليزية للعالم الأثري الإنجليزي باتسكومجن .

(٢) ع٧ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٣١ .

لابنه : وإن كنت يا أيها الولد زعيماً ترشد قومك أو قائداً تقود شعباً ، فكن كريم الأخلاق حسن الشيم لا تشوب أدبك شائبة ، واعلم أن الصدق أعظم النعم وله حول وطول ولن يخذل صاحبه ، وما كان الباطل ليغلبه ، إنّ للباطل جولة لا تبقى أكثر من ساعة ، وإن للحق دولة تدوم إلى يوم الساعة))[١] .

وفي هذا الموضع قد يشار إلى " البيان " بأصابع الاتهام بأنها من المجلات الداعية إلى الإقليمية في الأدب ، لنشرها " حكم فتاحوتب " بيد أن الذي يبرئها من هذا ، أنها نوعت مجالات النقل من الأدب العالمي القديم كالفارسي والإغريقي والياباني ، ثم إن الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها أخذها ، كما واهتمت بوضع شرح مفصل لكل كتاب قبل الخوض في مداخله ، أبدت فيه وجهة نظرها عن أدب تلك الأمم ، كما فعل الشيخ عبد الرحمن البرقوقي في مقدمته لكتاب " جولستان " وذكر فيها أن العرب هم أحق من الغرب بآثار الفرس وتعلم آدابهم لأنهم الأقرب إليهم ، ولأنها أمة ذات حيوية قوية ، وخلال نفسية تدفع إلى التغني والمرح . وإن من أراد أن يدرس آداب الفرس عليه الإلمام بكل متعلقاتها وتاريخها[٢] .

كذلك كان للآثار الرومانية نصيب على صفحاتها ، فترجم للبيان صالح حمدي حماد رسائل الفيلسوف سنيكا[٣]، وقد نُشرت ابتداءً من العدد السابع من

---

(١) (السابق) ع٨ ، ص ٤٩١ .

(٢) (السابق) ع١٠ ، ص ٣٠ -٣١ . (مستقلة) .

(٣) فيلسوف روماني ، كان شغوفاً بكتابات الكاتب الإغريقي يوربيدس ، ولسنيكا مسرحيات تراجيدية أتت دليل فلسفة الكاتب وبراعته في الفن المسرحي ،وقد استمدها من الآداب اليونانية، من مسرحياته : " هرقل " و" أوديب " و "ميديا " و " فيدرا " . انظر : شلش ، عبدالرحمن : " مدخل إلى فن المسرحية " ط١ ، مطابع مرامر ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ٥٠ .

عام ١٩١١م ، إلى العدد الثالث عام ١٩١٢م ، وذكر المترجم في مقدمتها بأنها من أشهر رسائل هذا الفيلسوف التي بعثها إلى صديقه وتلميذه لوسليوس ، وقد ضمّنها آراءه الحكيمة ، وفلسفته عن الأخلاق ، وعددها ست عشرة رسالة اجتزأ منها القدر الكافي الذي تسمح به المجلة ، وتمّ نشر ثمانية رسائل منها ، وهي : في المحافظة على الوقت ، في الأسفار والمطالعات ، في اختيار الأصدقاء ، في الخوف من الموت ، في المباهاة بالفلسفة ، والفلسفة الصحيحة ، في الصداقة الصحيحة ، ورسالة في أنه ينبغي الابتعاد عن أخلاط الناس ، فيما ينبغي أن يصرف الحكيم فيه عنايته . وقد كان يختم الحكيم سنيكا كل رسالة بحكمة يسميها (أتاوة) وكثيراً ما كان يستمدها من أبيقور ، الذي يسميه الخصم أو من أحد حكماء زمانه ، ومنها ما قاله في ختام رسالته السادسة عن الصداقة الصحيحة : ((وهاك ضريبتي اليوم ، وهي مما أعجبني من حكمة هيكاتون قال : " أتريد أن تعلم ما هي وسائل ارتقائي ونجاحي ؟ هي أنّي صديق لنفسي " وقد أصاب كبد الحقيقة لأن صديق نفسه الحقيقي ثق بأنه صديق لكل الناس))[1].

وبعد :

فقد أجادت " البيان " في انتقاء خير ما لدى تلك الأمم البائدة من آثار تميزت موضوعاتها بأنها خاطبت العقل والروح معاً ، ودعت إلى مراقي الأخلاق الحميدة، سواء ما احتوته رسائل سنيكا أو كتاب الحكمة المشرقية ، ثم إن المجلة كانت بمثابة المرشد للأدباء الذين لهم تطلع إلى معرفة الآداب القديمة ، بما صدرت به تقديمها لتلك الآثار ، إما بلسان مترجميها أو صاحب المجلة – على نحو ما قد سلف – وللأسف فإن " البيان " قصرت السنة الأولى والثانية على نشر تلك الآثار فقط ،

(١) ع٩ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٥٧٧ .

إلا أن الآثار الغربية المعاصرة لها كانت أكثر ديمومة وفي كل سنواتها ، وقد تسامت أهدافها ، ولم تخرج عن المنحى الذي كان للآثار التاريخية .

ب ـ آثار غربية :

ترجمت مجلة " البيان " مجموعة من الموضوعات الأدبية الإنشائية التي احتوتها مؤلفات أشهر أدباء الغرب ، ممن لهم باع طويل في عالم التأليف ، وراعت في الاختيار ما هو جديد الفكر ، ونادر الموضوع ، منها كتاب " حديث المائدة " فقد نشرت شيئاً من محتوياته مرتين وبترجمتين مختلفتين . ابتدأته أولاً في العدد الخامس من عام ١٩١٢م ، ثم استأنفته في العدد السادس من عام ١٩١٩م ، وفيه أشارت إلى عدة أمور يجب النظر إليها :

أولاً : منزلة مؤلفه وندل هولمز الأمريكي ، والذي لا يقل مكانة عن أفذاذ أدباء أوروبا أمثال جوته وفولتير وراسين ، فهو يعد من فحول الشعراء ، وكبار العلماء والفلاسفة ، وبأنه كاتب جامع بين العلوم والآداب على قلة الجامعين بينهما.

ثانياً : قيمة الكتاب ، وطرافة موضوعه ، فلم يسبق إليه أحد إذ جمع مؤلفه بين المباحث العلمية والأدبية ، فقد تخيّل فيه ربة منزل اجتمع عندها حين من الدهر زمرة من الناس أصنافهم مختلفة ، ففيهم الشاعر والأديب والفلكي والطبيب والمالي وعالم الحشرات ، ومجموعة من النساء المختلفات الأحوال والأشكال(١) .

---

(١) فيما أرى أن كتاب حديث المائدة بما حواه من أحاديث علمية وأدبية يوافق اتجاه المجلة الأدبي ، والذي سبق الحديث عنه في موضوع " مفهوم البيان لمعنى أدب " .

ثالثاً : عنصر الخيال في هذا السفر ، فجميع الأحاديث التي سردها المؤلف ليست من الواقع بل من خياله الواسع ، لذا تعمدت " البيان " انتقاء هذا الكتاب، لأن أهميته تكمن في النماذج المتباينة حول المائدة ، فكل فرد منهم يصرّح بوجهة نظر مختلفة عن الآخر ، وهذا بدوره يعطي ثراء للفكر ، ويزيد من ذخيرة المتلقي الثقافية ، وحينها لا يكون الذهن سركزاً في اتجاه بعينه ، بعكس ما لو كان الحديث متخصصاً بموضوع واحد[1] ، قالت " البيان " في ذلك : ((ولقد أجاد في هذه الأحاديث ما شاء ... ولما كانت تدور حسب تخيله بين أناس من كل شكل وصنف وحرفة وصناعة ، فلا جرم أن حوت كل نوع من الكلام وكل ضرب من الفن كأنها حديقة ... ولا جرم أن سميناه دائرة معارف لا سفراً))[2] .

وقد نشرت من موضوعاته في عام ١٩١٢ - ١٩١٣م : الحديث ، نظرية بسيكولوجية ، نظرية أخلاقية (المزاح والجد) وصف الشاعر ، النبوغ والعبقرية ، الريحان ، حول الدين[3]. وفي عام ١٩١٤م : أستاذ المائدة ، شاعر المائدة[4]. وفي عام ١٩١٥م : الشاعر ، المجرمون والجرائم ، الذكر والخلود[5]. وفي عام ١٩١٩م: الجزء الخاص بأحاديث أستاذ المائدة[6] .

---

(١) لم تذكر "البيان" اسم مترجم "حديث المائدة". ع ٥ و ٦ و٧ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٢٨٥.

(٢) (السابق) ص ٢٨٥ - ٦ .

(٣) انظر : ع٥ و٦ و٧ ، س ٢ ، ص ٢٨٧ وما بعدها . و(السابق) ع١٠ ، ص ٥٦٥ وما بعدها .

(٤) ع١ ، س ٣ ، ص ٩ وما بعدها .

(٥) ع ٧ و٨ ، س ٤ ، ص ١٩٦ وما بعدها

(٦) ع٦ ، س ٧ ، ص ٢٩٦ . و(السابق) ع٧ ، ص ٣٨٣ .

ومن أحاديث المؤلف في (وصف الشاعر) : ((... وكأن رأينا من شاعر كان إذا نفث كلماته نفثها من قلب شاخ قبل أوانه . وكأنما صباح شبابه لحزنه وبرودته ووحشته مساء الشيخوخة في غيره . ومن تأمل قول الشاعر الشاب شلي حيث يقول :

لهممتُ منْ فرطِ الأَسَى ومضَاضَةِ الحُزنِ الأليم

أُلقِي بنَفسِي في الثَّرَى وأصبحُ كالطِّفلِ اليتيم

... علم أنها خرجت من فؤاد هو كما قال ذلك الشاعر قد شاخ قبل أوانه – من فؤاد عمره – وشد ما يخطئ الناس إذ يقدرون عمر الشاعر كما يقدرون أعمار سائر البشر ، كأنهم لم يعلموا أن دقيقة الشاعر يوم غيره – من فؤاد عمره ست وعشرون))(١) .

وفي هذا المجال اهتمت " البيان " كثيراً بترجمة أجزاء من بعض الكتب الفلسفيةالتي اتصفت بالحكمة والعقلانية ، مثل كتاب " حديقة أبيقور " للأديب الفرنسي أناتول فرانس (ت ١٩٢٤م) وقد استعار اسم كتابه من الفيلسوف اليوناني أبيقور ، وقد ضمن أناتول كتابه طائفة من خواطره وآرائه ومبادئه . ومما نقلته " البيان " من شذراته فضيلة الشر ، عناد الشيخوخة ، غرض الأدب ، فضل الجهل ، لذة الألم ، القراءة والتمثيل ، لذة المجهول ، الطفلة الصغيرة ، الاستسلام ، طيران الزمن ، في الصومعة ...(٢) .

وممن ترجمت لهم أيضا الكاتب الإنجليزي أدموند بيرك وكتابه الفلسفي «الجمال والجلال » وهو في رأيها من أنفس الكتب ، فأرادت أن تتحف القراء

(١) ع٥ و٦ و٧ ، س ٢ ، ١٩١٢-١٩١٣م ، ص ٣٠١ .

(٢) ع ٦ ، ٧ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٩١ .

بأطايبه ؛ ليهتدي قارئه – حسب قولها – إلى أسرار الجمال والجلال ، مما قد يمنحه نظرة الفيلسوف النقّاد والحكيم البصير[١] . وقد نقلت منه " البيان " خمسة عشر موضوعاً منها : الجدة ، الألم ، اللذة ، الكلام على السرور ، العطف ، الكلام على الجمال ، الكلام على العطف والتقليد والطمع ، الكلام على الجليل ، وفيه يرى الكاتب أن له مصدراً ، قائلاً : ((كل ما من شأنه أن يهيج في النفس وجدانات الألم والخوف ، أو بعبارة أخرى كل ما كان رهيباً بصورة ما ، أو كان له ارتباط بأشياء رهيبة ، أو كان يؤثر في النفس مثل تأثير الرعب ، فهذا مصدر من مصادر الجليل ، أعني أنه محدث في النفس أشد الوجدانات وأقواها ... لأني أوقن أن وجدانات الألم أشد وأقوى من التي يكون منشؤها اللذة . لاشك أن الآلام أشد تأثيراً على الجسم والنفس من أمتع الملاذ وأنعم المسار))[٢] .

ولقد التزمت « البيان » ـ كما اتضح ـ في جميع ما ترجمته من موضوعات الكتب الأدبية الجدة من حيث الفكرة ، واحتوائها على الفلسفة والحكمة ، واتساع الخيال ، والوصف أيضاً في مثل اختيارها من كتاب " الصور " للكاتب الأمريكي واشنجطون إرفنج[٣] ، ونشر ما لم ينشر من قبل ، فاقتطفت مجموعة قطع أدبية من كتاب " أفكار بليدة لمفكر بليد في أوقات بليدة " للكاتب الإنجليزي جيروم . ك . جيروم . وقد مزج فيه الفلسفة بالفكاهة ، والجد باللهو . ليستمد قراء «البيان» الفائدة والمتعة من أساليب وأفكار كاتبها المتنوعة والمختلفة[٤] .

---

(١) انظر : ع ٣ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ١٦١ .

(٢) (السابق) ص ١٦٧ .

(٣) ع٥ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ٢١٧ .

(٤) ع ٦ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ١٥٢ .

٢ - كتب ثقافية :

لقد آمنت « البيان » باتساع الثقافة وذوبان الحدود بين العلم والأدب والصحافة . واتخذت مفهوماً جديداً للأدب استمدته - حسب ما رأت - من الغرب ، وهو أن تجمع في مجلتها بين العلوم والفنون - كما سبق الإشارة إلى ذلك - ولذا فجميع ما ترجمته من أبواب وفصول الكتب الثقافية يقع لديها ضمن دائرة الأدب(١) . فقالت إن من : ((سنة البيان أن ينقل أنفع ما كتب كتّاب الغرب في أمهات المسائل الاجتماعية والعلمية والاقتصادية وغيرها ...))(٢).

ولاسيما أن « البيان » أرادت من التوسع في نطاق الترجمة اهتمامها بالأديب العربي خاصة ، فكلما كان ذا زاد ثقافي ، اتسعت رقعته المعرفية ، وتميزت كتاباته بالإبداع والعمق في المعاني ، ويتضح ذلك خاصة في أنّها ترجمت لأشهر كتاب وأدباء الغرب . ونقلت من أبحاثهم ما كان قريباً إلى حدٍ ما من الأدب ؛ من حيث الأسلوب الأدبي الذي صبغته « البيان » على موضوعات تلك الأسفار ، وما تأتى لها من حسن العرض .

أ - في العلوم الإنسانية والتاريخ :

قدمت « البيان » لقرائها العديد من الكتب الاجتماعية المترجمة بأسلوبٍ أدبي راقٍ ، وقد قصدت من ذلك أمرين مهمين :

أولهما : استقاء الأدباء والباحثين العرب من الآراء السديدة لمشاهير كتاب الغرب ، ليلتمسوا منها الاهتمام بكتابة الموضوعات التي تمس واقع مجتمعهم

---

(١) انظر : ما ورد في الباب الأول موضوع " مفهوم البيان لمعنى أدب " .

(٢) من مقدمة ترجمتها لكتاب " العلم والعمل ووجوب اقترانهما " للكاتب الروسي كروبا تكين ع١٠ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ٥٩٦ .

وعصرهم . إذ كل منهم يكتب بلغته وحسب موقعه أدبياً كان أو عالماً . وبذلك تتأكد فكرة ارتباط الأدب بكل جوانب الحياة .

وثانيهما : أرادت وضع أصابعها على الأمراض الاجتماعية السائدة آنذاك في مصر ، وأسباب تطور البلاد الغربية وتقدمها عن العرب ، وهي بذلك تكشف أمام قرائها المجاهل المغلقة من الأمور الحياتية ، وفتح أبصارهم على العلاج الناجح ، فعندما ترجمت من كتاب " نصائح للشباب " للكاتب الإنجليزي ويليم كوبت[1] ، اختارت منه أجلّ فصوله موضوعاً وهو باب " تدبير المنزل " وطالبت من خلاله الشباب بالتدبر والانتصاح بقول مؤلفه ، والعمل بقواعده لأن ((أغلب ما جاء فيه يكاد يكون موقوفاً على وصف الأدوية الناجعة لدرء المرض الاجتماعي الذي يعمل في جسم الأمة المصرية ، وكرب أن يصبح عضالاً ونعني به إحجام الشباب عن الزواج ، وسوء حال المتزوجين ، وفساد الأسرة ، وإنّ في هذه المقال لعبرة للمعتبرين))[2] .

كذلك ترجمت عدة مباحث عن الحياة الأسرية ، فاطلعت قراءها على أشهر ما لدى المكتبة الفرنسية عن الطفل وتربيته للكاتب الفرنسي جان جاك روسو وكتابه الشهير " التربية الطبيعية " أو " أميل القرن الثامن عشر "[3].

---

(١) من كتاب إنجلترا المعدودين ، وساستها المشهورين ، ونقادها الأشداء ، كان معاصراً للشعراء بيرون وسكوت وشلي وكولردج ، وقد عرف بتهكمه الشديد وجرأته في النقد ، وكان معاصروه من الكتاب يخشون شدة قلمه وحدة قوله ، وتوفي عام ١٨٣٥م . انظر : مقدمة كتاب " نصائح للشبان " ، مجلة " البيان " ع ٢ و٣ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ١١٣ - ٤ .

(٢) (السابق) ، ص ١١٤ .

(٣) تابعت " البيان " نشر هذا الكتاب لمدة ثلاثة أعوام وقد نهض بترجمته الأستاذ المازني . انظر : من ع ٨ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٥٠٦ إلى ع٦ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٦٥ .

كما نشرت الكتاب الياباني " التعليم الراقي للمرأة في اليابان " لما له من علاقة وثيقة بالمرأة وإصلاحها ، وقد خصصه مؤلفه للنسوة ، ليكون مرشداً لهن ، بما تضمنه من حكم وآداب ونصائح ، وهي عن : الحجاب ، سبعة أبواب للطلاق، واجبات المرأة ، معاملة الخدم ، عيوب المرأة . ولا غرو أن يجد هذا الكتاب هوىً لدى " البيان " لأنه تحدث عن واجبات المرأة الشرقية في اليابان نحو أسرتها في زمن الحرب والاستعمار الذي عاشته ، وهذه الظروف بدورها تؤثر على الأخلاق(١) . أيضاً قدمت على صفحاتها موضوعات أخرى عن المشاكل الأسرية من ذلك الفصل الذي ترجمه العقاد من كتاب للفيلسوف دافيد هيوم بعنوان (الحب والزواج) ، وقد تميز هذا الموضوع بروعته من حيث أسلوب كاتبه ، إذ مزج فيه الحقيقة بالخيال ، وأورد أفكاره بطريقة فكاهية ساخرة ، فتطرق فيه إلى النزعة المأثورة عند المرأة ، وهي حب الهيمنة والسيطرة على الرجل ، وأرجع أسباب ذلك إلى الرجل نفسه ، ومما جاء فيه : ((... بيد أني لا أكون عادلاً إذا أنا لم أبح بسر يختلج في صدري ويتردد على لساني ، فلقد يكون ولع النساء هذا بالسلطة أثر سوء تصرف أبناء جنسنا بسلطتنا . وقد أنبأت حوادث التاريخ أن الطغاة إذا أرهقوا رعاياهم ولجوا في الطغيان والعدوان أحبطوا أولئك الرعايا ، وحفزوهم إلى التمرد ، فإذا تمردوا فتكوا وأهلكوا ونكبوا وخربوا وضيعوا وروعوا ، وانقلبوا هم طغاة كأولئك الطغاة الذين ينقمون عليهم بل أشد . ومن يدري لعل أمر النسوة معنا على حد ما علمنا ؟))(٢).

---

(١) هذا الكتاب هو الجزء الثالث من كتاب " الحكمة المشرقية " وقد نقله مترجمه محمد لطفي جمعة عن طريق نسخة إنجليزية ، والكتاب للعلامة الياباني الذي عاش في العصور الوسطى " شتجور وتا كايشي " انظر : ع ١٠ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ١ (مستقلة) .

(٢) لم تذكر " البيان " اسم الكتاب المأخوذ منه فصل الحب والزواج ، ع ٥ و٦ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٠١ .

ولـم يقتصر اهتمام « البيان » على ترجمة الأبحاث الخاصة بالأسرة على نحو ما سـبق بل راعت ترجمة كل مـا له صلة مباشـرة بالمجتمـع عامة ، إيماناً منهـا بأنها مجلة أدبـية قمـينة بتربيـة المواطن . فنقلت آخر مـا لدى الغرب آنذاك من مـؤلفات تحمل نظريات حديثة تخص الفـرد كعضو بناء في مجتمعـه ، فنشرت عدة فصول في التعليم من كتاب " العلم والعمل ووجوب اقترانهما " للمصلح الروسي البرنس كروباتكين ، وهي : الـطلاق الحاصل بين العلم والعمـل ، التعليم العملي ، الـتعليم العام . وأمـا رحى موضوع الكتـاب فيدور حـول فسـاد التعليـم آنذاك ، والفوائـد التي قد تنتج من ارتباط العمل الفكري بالعمل اليدوي[1] . وبصدده قال مؤلفـه : ((« من العين واليد إلـى العقل » ذلكم هو المبدأ الحق لاقـتصاد الزمن فـي التعليم ، وإن في إكراهنا أبنائـنا على دراسة العلوم من غيـر اقترانهـا بالعمل والتطبـيق إكراهاً لهم على تضييع زمانهم ، وقتلاً لاستقلال أفـكارهم ، وخيبة لتعاليمنا ، وإن المعرفة السطحـية وإعـادة الدروس كالـببغـاء وجمود الـفكر ـ كل ذلك من نتائج طريقـتنا الحاضرة في التعليم))[2] .

كـذلـك نشـرت كـتـاباً في عـلم النفس بعنـوان : تربيـة الإرادة " لـلكاتـب الفرنسي جـول بايو ولشدة إعجـاب " البيان " بموضـوع الكتاب أهدته للمـصريين وأطلقت عليه « كـتاب القرن العـشرين أو كتاب مـصر للمصـريين » لأنها رأت أن ضعف الإرادة مرض خبيث وذائع ، بات يشكو منه كثير من الشباب فلم تجد خيراً منه ، فهو يربي نفـسية الفرد مقـارنة بجميع المؤلفات الأخرى وجـميع ما وضع من أسفار ورسائل ومقالات خاضت في هذا الموضوع[3].

---

(١) ع ١٠ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ٥٩٦ .

(٢) (السابق) ص ٦٠٢ .

(٣) ع٦ و٧ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٨٥ .

أيضاً اهتمت « البيان » بترجمة ما بحث في نشأة المدنيات وتطورها ، وخاصة فيما له علاقة بالإنجليز وطباعهم ، فاختارت فصلاً بعنوان (أثر القوانين الطبيعية في نظام الجماعة وأخلاق الفرد من كتاب " تاريخ المدنية " في إنكلترا للمؤلف بوكل الإنجليزي[1] ، وللكاتب الأمريكي أمّرسن فصلاً بعنوان (آداب الإنجليز وعاداتهم) من كتابه « آداب الإنجليز »[2].

وفيما سبق اتضح أن « البيان » خدمت العلوم الإنسانية والقارئ العربي بترجمة ما له علاقة بتربية الإنسان اجتماعياً ووطنياً ، إلا أنها في مقابل ذلك قصرت في النقل من التراث العربي الإسلامي ، والموضوعات الخاصة بمناهج التربية الإسلامية ، والمباحث الاجتماعية لفقهاء المسلمين في العصور المتقدمة وفلاسفتهم أمثال : ابن خلدون ، والفارابي ، وابن سينا ، الذين استمدوا من كتاب الله وهدي رسوله الأحكام التي تنظم علاقة الفرد بربه وبأخيه الإنسان وبالمجتمع وبالكون من حوله .

هذا ، وإلى جانب ما ترجمته « البيان » من تلك الأبحاث ، فإنها أيضاً عرّفت قراءها بالعديد من الكتب التاريخية بما أظهر اتجاه « البيان الإسلامي ، إذ اقتطفت منها ما له صلة مباشرة بالإسلام وتاريخه ، على لسان كتاب الغرب وغيرهم وذلك لتدحض به افتراءات كثير من الملاحدة والمستهينين بالعقيدة ، فكانت تلك الكتب في رأيها خير ما وجدته من سلاح تحارب به الأفكار المريضة ، وتأصلها عند بعض أبناء وطنها . وقد أفصحت عن رأيها هذا من خلال المقدمة التي وضعتها لكتاب " روح الإسلام " للعالم الهندي سيد أمير علي ، فقالت :

---

(١) انظر : ع ٥ و ٦ و ٧ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٣٢٥ وما بعدها .

(٢) (السابق) ص ٢١٧ وما بعدها .

((قد أخذنا على أنفسنا وأجمعنا النية ، ورسمنا الخطة ، على أن ننقل للناس أمهات الأبحاث الإسلامية ونزجي إلى العالم الإسلامي أبدع ما كتب المنصفون عنه ... بعد أن رأينا الملاحدة ينهضون من كل ركن من أركان هذه الأمة ، وشهدنا الضعفاء والزائفين في الدين ، قد ملأوا هذه الحياة ، وراحوا يرسلون أنفاس الكفر بين الشبان ، ويظهرون كفرهم واستخفافهم وتخلخل عقائدهم في المجامع والكتب والأحاديث والمحافل جهراً وعلانية ، ويعيشون عليها سراً وكتمانا ، حتى أصبح المؤمنون في خشية من أن يغلب الكفر الإيمان في عصر غلبت فيه المادة الروح ، وسادت مبادئ العقل على مبادئ القلب .

واليوم لم نجد في جميع الأبحاث والتواليف التي أنصف فيها الكتاب ديننا الحنيف ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم سيد الدنيا قاطبة ، ... ونفتتح به هذه العزيمة التي اعتزمناها ، من ذلك الكتاب الممتع العجيب الذي وضعه رجل من أشد الكتّاب اضطلاعاً بأسرار الأديان جميعاً ، ... فلعل هذا الكتاب خير ما أخرج للناس في فضل الإسلام والانتصاف له ، والدفاع عنه ، وقد وضعه ذلك السيد بالإنجليزية فتجلى بين دفتيه استمكانه من أدب اللغة ، وإلمامه الواسع بأسرارها ، ولم نعرف رجلاً مثله كتب في الإنجليزية بتلك البلاغة التي كتب بها وصدع برأي يداني رأيه))[1].

وقد اعتمدت " البيان نشر القسم الثاني من كتاب " روح الإسلام " الذي جُعل وقفاً للدفاع عن الدين الإسلامي بين الأديان ، وشرح مبادئه ، والاستفاضة في بيان آدابه وروح تعاليمه ، والمقاصد السامية التي ضمنها المؤلف كتابه[2] .

---

(١) ع ٣ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ١٢٩ - ٣٠ .

(٢) للكتاب قسمان ، الأول منه عن تاريخ الإسلام . (السابق) ص ١٣١.

كـذلك اقتطفت « البيـان » من ذي قبـل سنة : ١٩١١م ، حديث تومـاس كارليل عن سيـد المرسلين صلى الله عليه وسلم من كتـابه " الأبطال " وقد ذكرت أن سبب اختيارها وقع لهذا الكتاب لالتقاء التاريخ بالفلسفة فيه ، والذي خصصه مؤلفـه عن عظماء الرجـال وسيرهم وسر عظمتـهم ، ثم إفاضة حـديثه عن سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بأطيب حديث من بين جميع شخصيات كتابه ، بل عدته في هذا من أنصف وأعدل ما كتب الغرب(١) .

كمـا أشارت في السنة السـابعة ١٩١٩م ، إلى كتـاب تاريخي ألفه الشـاعر لامارتين وهو عن عظماء الشرق ، افتتحه بسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وقـد رأت المجلة أن مـؤلفـه مضـى فيـه على خيـر مـا يمضي المؤرخ العـدل والحكم المنصف ، بل أنه كـان أبدع من كـارليل في حـديثه عن المصطفى صلى الله عليـه وسلم ، فكانت إحدى حسنات الشاعر التـي غلبت جميع ما نظمه في دواوينه(٢).
ومما قاله : ((وأما ... فاتح أقطار الفكر ، ورائد الإنسـان إلى العقل ، وناشر العقائد المعقولة المتفقة مع الذهن واللب ، ومـؤسس دين لا وثنية فيه ولا صور ولا رقيات ، ومنشئ عـشـرين دولة في الأرض ، ودولة واحـدة في السـماء ، من ناحيـة الروح

(١) في رأيي أن " البيان " بالغت في قولهـا هذا لأنه مهما كان المستشرقـون منصفين فلا بد أن تظهر لهم ألفاظ غير مقبـولة ، فكارليل ـ مثلاً ـ وإن بدا موقـفه الظاهري عدلاً ، فقـد وردت له جمل وألفاظ لاترضي ، منها قوله : " الإسلام حقيقة خارجة من قلب الطبيعة " أو يشبه الإسلام بالنار التي أكلت الحطب الميت ، وهذا الحطب وثنيـات العرب وجدليـات النصرانية فـقط ،ولم يذكر جدليات اليهـود ية . وكثير من أشباه تلك الألفـاظ تضـمنتها أقواله . لم تلتفت إليـهـا "البيان " أو يراعي أمرها المترجم (مـحـمـد السبـاعي) . انظر : ع ٢ و ٣ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٨١ ، ٨٤.

(٢) انظر : بعنوان (محمد رسول الله رأي شاعـر من أكبر شعراء الفرنجة) ع ٣ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ١٣٩-٤٠ .

والفؤاد ، فذلكم محمد [صلى الله عليه وسلم] ، فأي رجل لعمركم قيس بجميع هذه المقاييس التي وضعت لوزن العظمة الإنسانية كان أعظم منه ، وأي إنسان صعد هذه المراقي كلها فكان عظيماً في جميعها ، غير هذا الرجل [عليه الصلاة والسلام[1]])) .

أيضاً نشرت في التاريخ عدة فصول من كتاب " تاريخ النزاع بين العلم والدين " للفيلسوف الأمريكي دريبر أحد أنصار الإسلام من الغرب ، ولقد وجد كتابه هذا أثراً كبيراً في البلاد الغربية وكذلك العربية ، وطالما استشهد به الإمام محمد عبده في دفاعه عن الإسلام ومنكري فضله . ومما نقلته "« البيان » من فصوله (العلم وعلاقته بالمدنية الحديثة) وآخر بعنوان (النهضة العلمية عند العرب)[2] . كما نشرت من ترجمة محمد مسعود الفصل الخاص بـ (الشرائع الاجتماعية والسياسية في الإسلام) من كتاب " حضارة العرب " للدكتور جوستاف لوبون (ت ١٩٣١م)[3] .

وعليه فنرى في توجه " البيان " إلى ترجمة كل ما يخص تاريخ الإسلام عند الغرب ما يدل على اعتزازها بمقام الحضارة الإسلامية ، والدور الذي أدته في بناء حضارات الأمم الأخرى . ثم غرس هذا الاعتزاز والفخر في نفوس قرائها بتعريفهم بأفضل ما كتب المستشرقون عن الإسلام وتاريخه ، ولكنّها أيضاً في هذا الجانب قصّرت في النقل من كتب التاريخ العربي القديم التي تعتبر أكبر قيمة من كتب الغرب بما حوته من موضوعات لفقهاء المسلمين ومؤرخي الحضارة الإسلامية .

---

(١) (السابق) ص ,١٤١

(٢) انظر : ع١ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٣٦ وما بعدها .

(٣) انظر : ع٢ و٣ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ٤٩ وما بعدها .

ب ـ الكتب العلمية :

ترجمت « البيان » فصولاً من بعض الأبحاث العلمية التي أحدثت ضجة في الغرب ، بيد أنها كانت نزرة بالنسبة لما نشر من الأبحاث الاجتماعية والتاريخية ، منها : ما اقتطفته من كتاب « سر تطور المادة » لجوستاف لوبون عن نظريته : « لا شيء يخلق نفسه وكل شيء يفنى » وقد ناقض فيها نظرية لافوازييه عالم الكيمياء الحديثة : " لا شيء يفنى ولا شيء يخلق نفسه " وقد وضعته تحت عنوان « النبأ العظيم « أو » العلم يؤيد الدين »[١].

كذلك نشرت تمهيد كتاب « جمال الطبيعة » للفيلسوف اللورد افبري ، وترجمة محمد السباعي . وقد سبق بمقدمة من المجلة عرفت قراءها بمحتويات الكتاب ، الذي تناول فيه مؤلفه أبحاثاً شتى وهي عن : حياة الحيوان ، حياة النبات، الغابات والحقول ، الجبال ، الحياة ، البحر ، البحيرات ، النجوم والسيارات[٢] . وقد ذكرت البيان أن هذا الكتاب ممتع ومفيد للعالم والأديب معاً فقد جاء أسلوبه العلمي في قالب أدبي بليغ . ومما جاء في التمهيد له قول مؤلفه : ((ومن مباهج أرضنا أيضاً استمرار التجدد ودوام التلون ، فليس من أسبوع يفد إلا ويسوق إلينا ورقة بالروض جديدة أو زهرة أو طائراً أو حشرة لم تكُ بها من قبل هذا ولكل شهر ملاذّه الخاصة ومحاسنه ، فترانا جلوساً على أرائكنا والطبيعة تتزخرف لنا وتتحلى))[٣] .

(١) ع١٤ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٢٥ .

(٢) أوقفت " البيان " ترجمة الكتاب ؛ لقيام الأديب وديع البستاني بترجمته ، وأسماه " محاسن الطبيعة وعجائب الكون " مما يدل على عناية " البيان " بعدم نشر ما قد نشر أو ترجم عن غيرها.

(٣) ع٢و٣ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ١٠ - ١١ (مستقلة) .

وبعد :

فإنه ليس من تخصص البيان نشر الأبحاث العلمية ولذا كانت مقلة في ترجمتها ، وما نشرته من ذلك كما هو واضح كان المقصود منه البرهنة للقراء على أهمية مواكبة العصر ، واتساع المعرفة بما يجول على الساحة العلمية في الغرب ، مثل ترجمتها لكتاب " الأسبرتشواليزم " أو الحركة الفكرية القائلة بوجود الروح ، علماً بأنّ القراء والمجلة أيضاً في غنى عن هذه النوعية من الكتب ، إلا أن في ترجمتها نوعاً من الإثارة لكل من لهم شغف بقراءة الغرائب التي تحدث في العالم مما بدوره يزيد من إقبال الناس على قراءة المجلة ، وقد قالت في ذلك : ((سيرأوليفرلودج هو العالم الكبير الذي ... أثار بأبحاثه وتواليفه ولاسيما كتابه الأخير " الحياة بعد الممات " ضجة كبرى في عالم العلم ، وقام العلماء وأقطاب المفكرين في آثاره بين معارض ومنتصر ، وقد أوفدت مجلة من المجلات الذائعة الذكر في الغرب رجلاً من كتّابها ليقف على آرائه الأخيرة في أمر " الأسبرتشواليزم " وقد نُشر هذا الحديث في هذا الشهر ونحن ننقله للقراء))[1].

ثانياً : آراء ومحاورات الفلاسفة :

ترجمت « البيان » مجموعة من آراء فلاسفة الغرب في عصرها أمثال : الفيلسوف نيتشه (ت ١٩٠٠م) وليو باردي (ت ١٨٣٣م) و شوبنهور . ولم ترد على الرغم من ذلك أن يسير قراؤها خلف ما يقوله الفلاسفة ،إنما هو نوع من التنوع في موضوعات المجلة ، فتلك الآراء تقع ضمن سلسلة التوسع التي انتهجتها " البيان " في ترجمة العديد من أعمال المفكرين الغربيين سواء كانت في الفنون الأدبية أو الكتب ، فقد أرادت لقرائها الإفادة فقط مما استبطنتها آراؤهم من الحكم،

(١) ع ١ ، س ٧ ، ١٩١٩م ، ص ٢٥ .

كآراء نيتشـه ، والاهتمام بنشرها خاصة ، لما كـان لصاحبها فلسفـة خاصة سادت في العشـر السنوات الأخيـرة من القرن التـاسع عشر . وتبنى ترجـمة آرائه الأسـتاذ العقاد ، فذكر أنّ المصريين لا يعلمون إلا قليلاً عن نيتشه ، فأحـب أن يعرفهم به من خلال مجلة " البـيان " ، وقد أعلن صراحة للقارئ بـأن فلسفته تفتقـر إلى التبويب والترتيب ، وهذا هو السـر في تناقض أفكاره واختلاط مسالكه ، كـما غلبت على مبادئه الأنانية ، وأكثر آرائه هي نهاية في الشـذوذ والغرابة ، فهو رجل استولى عليه القنوط والحيـرة ، وهو دائمـاً في حالة حـنق على آداب العـصر وأخـلاقـه ، وطعن عنيف في هزوم المجتمع ، إلا أنّ بعض آرائه لم تخل من قيمتها النافعة بما حوت من فـضائل تولـد في النفس الأنفـة والصبـر ، وتشـعل الحمـاس في النفـوس(١) . وقـد اقتطفـها العـقاد من كتـابه « الفجـر » وفيه يشـير إلى فـجر اليوم الذي تتـحقق فـيه مبادئه، ومع هذا رفض العقـاد السير وراء ما يقول نيتشـه ، فقال : ((ولكننا كيف كـان الأمـر نتناول آراءه التي أتانا بهـا من ذلـك النفق ولا نمشي وراءه))(٢). وقال أيضـاً : ((.. واليوم جـئنا نعـاود الاقـتطاف من هذه الفلسـفة الحـارة المتـأججـة ، والآراء المضطرمة المستعرة ، ثمرات هي وإن مجت مرارة وعلقماً وصبراً ، خير من تلك الآراء الهادئة الحلوة التي يسـترطها المتناول ، فلا تكـاد تستقر في جـوفه حتى ينسى حلاوتها . وليـست الآراء المريرة . إلا أملاحاً تزيل من جوف متناولهـا عتيق آرائه وجامد أفكاره ، وهي وإن لـم تصادف الرضى والقبول ، لا تستحق الكره ولا تستأهل الجفوة والإعراض))(٣) .

---

(١) ع٢ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص ٨٦ ، ٨٩ .

(٢) (السابق) ص ٨٩ . تخـيل نيتـشه أنه طفق زمناً يسير في نفق موحش مظلم ، ثـم أخرج للناس مجـموعـة آرائه في كتـابه " الفجـر " ولشـدة غروره رأى أنـه عبّد للنـاس تلك السبيـل ، فهم لا يعانون ما عاناه إذا طرقوها .

(٣) ع٥ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٢٩٧ .

ومما نشر من شذرات فلسفة نيتشه : الصدق ، حاجة الحق إلى القوة ، النساء، الزواج ، البطولة في كبير الأعمال وصغيرها ، الجمود ، لا تنس ، ائتلاف الشعور ، النوم والفضيلة ، آراؤه عن المرأة . ومن أقواله عن حاجة الحق إلى القوة : ((ليس الحق بقوة في ذاته . وإن قال لك أولئك الجدليون الثرثارون نقيض ذلك . ينبغي للحق أن يجتذب القوة إلى جانبه ، وإما أن يركن هو إلى جانبها . وإلا كان نصيبه الموت والفناء. وقد شوهد صدق ذلك بما هو أكثر من الكفاية والغناء))[1]. ومن أقواله أيضاً : ((لا تنس ـ كلما علونا في أعنان السماء صغرنا في أعين العاجزين عن الطيران))[2] .

كما ترجمت « البيان » نوعاً آخر من الآراء لبعض الكتّاب والأدباء والساسة المشهورين عن بعض الأسئلة الخاصة بالنواحي الاجتماعية ، والتي كانت تطرح في بعض المجلات الغربية . وقد جعلت لها " البيان " باباً بعنوان " هل ؟ " ومن هذه الأسئلة : هل من وسيلة إلى إبطال الشراب في العالم ؟ هل يجوز للأزواج أن يتكلموا في المجالس عن زوجاتهم ؟ هل من سبيل إلى قتل شبح الحرب واستقرار السلام إلى الأبد ؟ وكانت الإجابات عن تلك الأسئلة عادة ما تُظهر تباين الآراء والأفكار بينهم ، وتقاربها أحياناً بين المستويات الثقافية المتعددة[3].

وبعد :

فبهذا انتهى باب " النهر المترجم " وقد أبدت فيه « البيان » اهتماماً كبيراً بآداب الغرب ، فتشعبت فيه إلى ترجمة ألوان من الفكر الغربي وأبرزت آراءها في

---

(١) (السابق) ص ٣٠٠ .

(٢) ع٢و٣ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص ٩٦ .

(٣) انظر : ع١ ، س٧ ، ١٩١٩م ، ص ٢ وما بعدها .

معظم ما ترجمته ـ كما اتضح سابقاً ـ فخدمت بذلك الأدب الحديث عن طريق الترجمة في مطلع القرن العشرين ، أكثر مما خدمته بالنقل من التراث العربي ، أو نشر كتابات أدبائها المعاصرين ، ولكن هذا لا يعني أنها أهملت جانباً على حساب آخر ، وإنما يعود ذلك لما للترجمة من أهمية في عصر النهضة للوثوب الحضاري ، فكانت أهم سمات هذا الباب :

١ ـ أن الترجمة عند « البيان » ضرب من ضروب الوطنية الصادقة ؛ لأنها أشد مستلزمات الأمم وتطورها ، وقوة حضارية متى ما مكنت الأمة نفسها من طريقة الاستمداد السليم من لدن الأمم الأخرى ، الذي يبعدها عن دائرة التقليد .

٢ ـ تعمدت « البيان » في ترجمتها للفنون الإبداعية الأدبية عن الغرب بمختلف أقطارها دعم مذاهب غربية بعينها ظهرت في القرن التاسع عشر ، وطالبت بالنظر إليها ، كالرومانطيقية في الشعر ، فأبرزت أهم خصائصه الفنية ، وهي صدق التجربة الشعرية ، وتوظيف الخيال باتخاذ عالم مثالي . ثم تعريف قرائها بنوع جديد عليهم لم يألفوه إبانئذ في كتابة الشعر وهي القصة الشعرية . وكانت من أولى الصحف الأدبية في الدعوة إلى كتابة أدب الاعترافات ، فترجمت لهذا اللون من الأدب ، وألقت الضوء على معناه وطرق كتابته .

كذلك روجت للواقعية في القصة ، فترجمت لكبار كتابه في الغرب أمثال : دكنز ، وثكاري ، وتشيخوف ، وجوجول . وقد اتضح سلفاً أن " البيان " لم تهتم بالشكل الفني للقصة بقدر اهتمامها بالنواحي الموضوعية ، والتجديد فيها ، وذلك لبلوغ المرامي الاجتماعية . ثم أنها آثرت الأخذ من المسرح الألماني ؛ لاهتمامه

بالجانب الموضوعي عن التقيد بالوحدات الثلاث ، كما أسهمت في تطوير المقالة الأدبية .

٣ ـ اهتمام « البيان » بجانب الصدق في جميع الأعمال الفنية ، فهو لديها قاسم مشترك يجب أن يكون في جميع الفنون الأدبية .

٤ ـ حققت « البيان » ما قالته عن نفسها بأنها مجلة أدبية في منهجها ،فلم تتوقف عند حدود ترجمة الفنون الإبداعية ، بل اتسعت لتشمل الترجمة لديها دائرة الكتب الأدبية والأبحاث والدراسات الإنسانية والعلمية .

وختاماً : فسوف ننتقل إلى الباب الرابع الخاص بإبداعات الأدباء المصريين على صفحات البيان في مجالي الشعر والنثر ، وهم من الذين تأثروا بالمذاهب الغربية وبالتراث العربي ، أمثال : العقاد ، المازني ، طه حسين ، هيكل ، عبدالرحمن شكري ، عباس حافظ ، الرافعي ، علي أدهم ، البرقوقي .

الباب الرابع

الأعمال الإبداعية والنقدية

الفصل الأول

الفنون الإبداعية المعاصرة في « البيان »

الفصل الثاني

النقد والدراسات الأدبية في « البيان »

الفصل الثالث

قضايا « البيان »

توطئة:

يُعد هذا الباب الخاص بالأعمال الإبداعية لكتّاب مجلة "البيان" وخاصةً الفصل الأول والثاني منه حلقة في سلسلة متصلة مع ما قبله من الأبواب : (النهر التراثي) ثمّ (النهر المرجم) ،وما سيظهر منه ماهو إلا نتيجة حتمية للثقافة المتزاوجة العربية الأصيلة ، مع الوافدة من الشرق والغرب ، إذ كانت "البيان" مسرحاً لأقلام المبدعين وطاقاتهم الفكرية المبدعة المجددة سواء في الشعر أو النقد أو كتابة المذكرات وتأليف الكتب.

وسيتبين لنا من خلال الفصل الأول وهو عن (الفنون الإبداعية المعاصرة في "البيان") والفصل الثاني عن (النقد والدراسات الأدبية في "البيان) لكتّابها المعاصرين ، مدى دور مجلة "البيان" وتأثيرها في تطور الأدب العربي الحديث بما ملكته من أمرين مهمين :

الأول : الرؤية العميقة ، والبصيرة الجيّدة ، إلى حاجة عصرها عصر النهضة والانتقال والتجديد الفكري إلى أدب جديد يمثل الروح الجديدة للشباب المتطلع آنذاك .

الثاني : الإقدام والجرأة من مجلة "البيان" على نشر آراء أصحاب المذهب الجديد (العقاد، المازني، شكري) في الأدب والنقد وهم مازالوا شباباً صغاراً يتلمسون الخُطى ويمهدون الطريق ، في وقت كانت السيطرة والغلبة للاتجاه المحافظ البياني الذي اعتلى عرش الأدب الحديث في الوطن العربي كله ، وتصدّر الساحة الأدبية ، وملأ الحياة الفنية بأدب رصين قوي أعاد الأدب العربي إلى عصر قوته وازدهاره، وكان يمثله البارودي ومن سار نحو خطاه أمثال:أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد عبد المطلب.

وقد وجد هؤلاء الشباب آنذاك في "البيان" موئلاً وسبيلاً سهّل لهم الطريق لتحقيق آمالهم الأدبية ، ونشر آرائهم الفكرية المجددة . ومما قدمته "البيان" للقارئ العربي من أعمالهم نبذاً متفرقة من شعر شكري والمازني والعقاد، مامثّل خروجاً صريحاً على نظام القصيدة العمودية ، كذلك عرضت لمفاهيمهم النقدية الجريئة التي بدورها تقوّض

التقاليد الفنية القديمة وغالباً ما ارتكزت حول الشعر، وكانت مفاهيمهم تلك عن : تحقيق الصدق في خوض التجربة الشعرية ،و نظرية الخيال ، والاستعانة بالتحليل النفسي في تفسير النص الأدبي ، ومفاهيمهم كذلك عن الأساليب الملائمة للكتابة بأنواعها.

أما الفصل الثالث والأخير وهو بعنوان (قضايا "البيان") فسيكون الحديث فيه عن أربعة موضوعات تمّ تقسيمها كالتالي :("البيان" وأصداء الحرب ،وأدب الطرفة والفكاهة، وقضية المرأة ،ونقد الصحف والصحافة). والحقيقة أن سمة هذا الفصل موضوعاته المتناثرة ،وفيه حبذت أن أجمع المتشابه منه، وأجعله في موضوع متكامل مع أن "البيان" لم تركز عليها وتجعلها ضمن خطتها ولكن من المؤكد أنها رمت بها إلى أهداف عدة ،سيأتي ذكرها لاحقاً ، وأبرزها في نظري مقدرتها على التعايش مع عصرها وأحداثه.

وفي وضعي لهذا الفصل وإلحاقه بالفصلين السابقين ربما سأجد النقد واللوم لأنه سيتصور البعض أنه لاينسجم معهما ومع عنوان هذا الباب الذي يختص بالأعمال الإبداعية والنقدية لكتّاب مجلة "البيان"، لكون هذا الفصل موضوعياً أكثر منه فنياً ، إلا أنه في تصوري شديد الانسجام والانتماء لهما ، فمن جهة أرى فيه إبداعاً ضمنياً، لأن "البيان" استطاعت بفضل أدبائها ممن برزت أسماؤهم في هذا الفصل أو عن طريق (قلم تحرير "البيان") أن تشكّل لنفسها فلسفةً خاصةً نحو أهم قضايا عصرها ،ففي قضية الحرب رأت أنها ضرورة متى ماشاءت قدرة الله ليصحح الإنسان بها مساره في الحياة ، وقد سجلت رأيها هذا في كتاب (تاريخ الحرب الكبرى) الذي قام بتأليفه قلم تحرير المجلة ، وسيأتي الحديث عنه في موضوع (البيان وأصداء الحرب) . كذلك أمام قضية سفور المرأة التي اشتعلت في مطلع القرن العشرين آمنت بإمكانيات المرأة فذكرت أنها قادرة على أداء واجباتها نحو مجتمعها دون التخلي عن حجابها ومبادىء دينها.

ومن جهة أخرى سيكون في الحديث نقصٌ عن مجلة "البيان" إذا لم يتم تناول تلك القضايا، لأن الحديث لايكتمل فقط عند أهم ما تطرقت إليه من موضوعات وأنواع المقالات مالم نوضح قيمتها كمجلة تفاعلت مع أحداث عصرها، يقيناً منها أن الأدب لاينفصل عن قضايا المجتمع.

وفي الحقيقة سيتضح لنا في الفصول التالية أن "البيان" استطاعت أن تحقق أساس منهجها وأهمه مفهوم الأصالة والمعاصرة ،وذلك بفضل انفتاحها على الآداب العالمية واتساع رؤيتها الفكرية ، وبفضل صاحبها الذي لم يكن ليهتم بنشر مايخالف اتجاهه المحافظ بقدر أن يجعل بيانه منبعاً أصيلاً يُستقى منه الفائدة والقيمة.

الفصل الأول

الفنون الإبداعية المعاصرة في «البيان»

١ - الشعـــــر .
٢ - أدب المقالـة .
٣ - المذكـــرات .

أولاً : الشعر :

لم تول " البيان " الشعر ذلك الاهتمام المتوقع من حيث النشر ، وتخصص له باباً، مع أنه ديوان العرب ، وقيمة حضارية لكل جيل ، إنما عرضت بعض القصائد الشعرية المتفرقة ، التي تعتبر نزرة أمام ما ترجم من الشعر الأجنبي ، وهذا أمر مستغرب من مجلة أدبية ظهرت في مطلع القرن العشرين ، وفي زمن انبعث فيه الشعر العربي بعد فترة ركود، فصدحت فيه أعلام من المبدعين ذوي الاتجاهات والمستويات الفنية المختلفة . بيد أنها أفسحت المجال لجميع التيارات المختلفة التقليدية منها والمجددة مؤملة للأخيرة بالمستقبل المزدهر ، وممن نشرت لهم : البارودي ، مطران ، شوقي ، الرافعي ، عبد الرحمن شكري ، المازني ، محمود عماد .

وقد احتفت " البيان " أولاً وخاصة في السنة الأولى ١٩١١م ، بالشعراء التقليدين والمحافظين ، فقدمت لقرائها في العدد الثاني والثالث الشاعر السيد حسن القاياتي[١] ، على أنه شاعر مُجيد ، لم ينل حقه من الشهرة كغيره ، وأنه منقطع إلى الأدب ، وكثير الغوص في المعاني ، غير غافل مع ذلك عن اللفظ[٢] . وكان جديد شعره الذي نُشِر له في وصف المخترعات الحديثة ، وقد بدا فيه متكلفاً ، خالياً من المعاني الشعرية الصادقة ، وهو فيه أقرب إلى النظم من الشعر[٣] .

كما نشرت في العدد الرابع قصيدة غزلية بعنوان " خطرة ضمير " لمحمد صادق عنبر (ت ١٩٣٨م)[٤] ، وأخرى وطنية لخليل مطران بعنوان " عتاب واستصراخ " مثلت

---

(١) من علماء الأزهر ، وأحد أعضاء المجمع اللغوي فيها ، وله ديوان مطبوع ، توفي بالقاهرة عام ١٩٥٧ م .

(٢) انظر : ع ٢ و ٣ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٢١٢ .

(٣) (السابق) ص ٢١٣ - ٦ . يعد وصف المظاهر العمرانية والآلية الحديثة ظاهرة سادت في مطلع القرن العشرين ، انظر : المقدسي ، أنيس : « الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث » ص٢٠٤ وما بعدها .

(٤) انظر : ع٤ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ١٦٠ - ١ .

في مضمونها الروح العربية الأصيلة وتأثر شاعرها بما جال فيها من أحداث ، مع قوة السبك وجزالة الأسلوب ورصانته والذي ماثل اتجاه " البيان " المحافظ :

لا شعبٍ يقوى على شعب فَيُهلكُهُ ما إنْ تَرَ القومَ صَرعَى فالجُناةُ هِمُ
يا أُمَّتي هَبَّـةٌ للمجـدِ صادقَـةً فالنَّصرُ مِنْكُم قريبٌ والمُنى أَمَمُ
عَادَتْ بآبائِهـا المَاضين دَولَتُنـا مِنْ أنْ يُلِمَّ بها في عَهْدِنَا يُتْمُ
فاحْمُوا جِمَاها لا تُهتكَ سَتَائِرُها عَنْ منجباتِ العُلَى يَسْتَحْيِها العُقْمُ [1]

ثم تحولت " البيان " في السنة الثانية إلى نشر ما مثل الاتجاه التجديدي في الشعر للثالوث الشهير شكري والمازني والعقاد ، وهذا التحول أتى نتيجة لما أدوه من خدمة للمجلة منذ السنة الأولى ، سواء كان في مجال الترجمة ، أو إعطائهم حق الظهور بإبداعاتهم وآرائهم النقدية ونزعتهم الثورية للتجديد في الشعر ، إذ أظهروا فيها تأثرهم بالمذهب الرومانطيقي والنقد الإنجليزي ، وسيأتي الحديث عنه لاحقاً .

وقد اضطلعت " البيان " بنشربعض أشعار شكري خاصة ، فقدمت للقراء نبذاً من ديوانه منها : ابتسامات ، فجر الشباب ، ضوء القمر على القبور ، شفة ، الكسل وصاحبه ، نصيحة شاعر[2] .

ولم يتوقف دور " البيان " عند حدود النشر ، بل تفطنت إلى ثورتهم على نظام القصيدة الطويلة وجنوحهم إلى شعر المقطوعات ، والشعر المرسل منوع التقفيه ، عندما نشرت قصيدة مشتركة بينهم بعنوان " ثورة النفس " أرسلها شكري إلى صديقيه العقاد والمازني فأجاباه بنفس القافية والبحر ، وقد قالت عنها أنها من القافية المزدوجة[3] .

---

(١) (السابق) ع٥ و٦ ، ص ٣٧٣ .
(٢) ع٥ و٦ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٣٩٥ - ٦ .
(٣) انظر : ع ٤ ، س٢ ، ١٩١٢م ، ص ١٧٠ . انظر : د. العزب : " عن اللغة والأدب والنقد " ص١٢٩ - ٣١ .

قال شكري في مستهل قصيدته :

وللنَّفْسِ في بَعضِ الأحَايينِ ثَــوْرَةٌ يَكادُ لها جِسمُ الفَتَى يَتمزَّقُ
فَيا نَفْسُ كَم تَبغِينَ ما لَيسَ حَادِثاً وحتامَ آمالي لَدَيكِ تَحَرَّقُ

وقال العقاد :

شَكَوتَ الذي أشكُوهُ فاعْلَم بأنَّني وَجَدتُ مِنَ الأيَّامِ مَا أنتَ واجِدُ
أضَرَّ بِعَينِي النَّقعُ حتى حَسِبتَنــي أُكابِدُ وَحدِي في الوَغى وأُجَاهِدُ

أما المازني فقال :

أخَا ثِقَتي كَم ثارَتِ النَّفسُ ثَورَةً تُكَلِّفُني ما لا أُطِيقُ مِنَ المَضِّ
وَهَل أنا إلاَّ رَبُّ صَدرٍ إذا غَــلا شَعَرتُ بِمِثلِ السَّهمِ مِن شِدَّةِ النَّبضِ(١)

كذلك تنبهت " البيان " إلى تجديد هؤلاء المبدعين في مضامين الشعر ، وهذا ما ظهر عندما انتقد البرقوقي عبد الرحمن شكري في بعض معانيه الشعرية الخاصة بالجزء الثالث من ديوانه ، فرأى في بعضها ما ينبو عن الذوق العربي وينكره الحسّ ، كجعل حبيبه صنماً للحب ، أو تشبيهه بجمال الأبالسة ، ولكنه مع ذلك اعترف بأنه من الأدباء الأفذاذ والقلائل الذين لا يكادون يبلغون أصابع اليدين في الوطن العربي(٢). وأيضاً عندما عرض لديوان المازني أقر له بالفضل والنبوغ لمعانيه المتميزة ، قائلاً عنه : ((ولولا ما في شعره بعض الأحايين من المعاني [الثرية] التي يخيل إلى القارئين أنها من توليد الأستاذ وابتكاره ، والألفاظ النقية التي هي متاع مشاع لجميع الشعراء ، ولا تكاد يتفاضل فيها الشعراء ، لما أقبلوا على الديوان ينقدونه ويقرظونه ويحتفلون به هذا الاحتفال الذي نرى))(٣).

---

(١) (السابق) ع٤ ، س ٢ ، ص ١٧٠ وما بعدها .

(٢) باب (مطبوعات جديدة) ع ٦ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ١٨٨ .

(٣) باب (مطبوعات جديدة) ع١٠ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ٦٥٣ .

ومن جهـة أخرى أرادت المجلة مـن القراء التعـايش مع المعانـي الجديدة في الشـعر والتنبيه إلى مـواطن الجمـال فيهـا من خلال نشـر المقدمـات النثرية التـي قدمهـا شكري لقصـائده وشرح فيـها رؤيته الفلسـفية للكون والحياة ، كقـصيدته " ضـوء القمـر على القـبور " إذ قـال : إن الإنسان إذا رأى ضـوء القمـر على الزهور ، خشع من جـلالة ذلك المنظر ، أما إذا رأى ضـوء القمر على القبـور ، امتلكه الفزع من قـساة ذلك المنظر ، الذي يحكي له فناء الموت في الجمال ، والجمال في الموت(١).

ومما سبـق اتضح أنه رغم اتجاه المجلـة المحـافظ ، فـإنهـا لم تألُ جـهـداً فـي نشـر الإبداعات الشعـرية للشباب المتطلع ـ وقتـئذٍ ـ والتي اختصت بصورة أكـبر في المعاني ، نتيجة تأثرهم بالمذهب الرومـانطيقي ، وجنوحهم إلى الذاتية الفردية ، فخـيم عليها الحزن والكآبة والمرارة ، إلا أنه من الغريب أيضـاً أن تنشر ما يمس هيكـل القصـيـدة بمـا سُمِّيَ بـ " القصـيدة النثرية " لعبـد الحليم حلمي المصري بعنوان " ليالي الشـباب "(٢) ، وكذلك للشـاعر السـيـد حسن الـقاياتي بعنـوان " قصـيدة مـنثورة " ولم يضع لـهـا عنواناً ، وقـد استـهلها بمقدمـة أشارت إلى عدم ثـقة الشاعـر بعمله(٣)، إذ قـال : ((هذه قـصيـدة قـد عملتها في هذا الـغرض الخلقي ولأمر ما بدا لي أن ألبسها هذا الـثوب النثري ، فإن نالت رضى فذاك ما اعتـمدت وإن كانت الأخرى فلعل من المعذرة لصاحـبها أن هذا الضرب من الشـعر المـنثور طـراز حـديث لم نحـسنه بعـد وأن البـاكـورة ربمـا جاءت فـجـة غيـر ناضجة))(٤).

(١) ع٥ و ٦ و ٧ ، س ٢ ، ١٩١٢م - ١٩١٣م ، ص ٣٩٥ .

(٢) انظر : ع ٢ و ٣ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ١٠٩ .

(٣) برز بهذا اللون أيضاً أ دباء الشام كأمين الريحـاني ، وجبران ، وقد قال الرافعي رأيه في هذا النوع من الشعر . انظر : عمر الدسوقي " في الأدب الحديث " ج ٢ ، ص ٢٢٨ - ٣١ .

(٤) ع ٥ و ٦ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٧٠ .

وصحيح ما قاله الكاتب بأنها تجربة غير مكتملة وذلك لأنها بعيدة كل البعد عن الشعر لفقدانها موسيقية الشعر ، وإن قربت من الشعر فذلك لوجود بعض الصور والتشبيهات ، واتحاد القافية في بعض المواضع ، والأولى أن تسمى مقالة ، لاستخدامه في مواضيع كثيرة الأسلوب التقريري ، وأحياناً القصصي . ثم أنه من الخطأ بأن يطلق على الموضوع (قصيدة) . ولا سيما أن الكاتب كان متنقلاً فيها من موضوع إلى آخر دون الشعور بالفجوة ، فتحدث أولاً عن النفس وذاته الطموحة خاصة ، ثم عن الفتى الشاب الذي ملك عليه زمام عقله طلب المجد ، فابتعد عن ملذات الحياة وشهواتها ، ثم أتى بالنقيض ، فصور نزق الشباب وطيشه ، وربط ذلك كله بالحديث عن الفتاة الغفل الساذجة ، ثم انحدارها إلى الهاوية بسبب تبرجها وسفورها ، ومن وصفه هذا قوله : ((واهاً لها من طفلة غريرة غضة السن ، ... في مثل سن البدر ، بل في حسنه وإشراقه ، تقوم مقام البدر إن نام ضوؤه عن ليالي وصالها ، وساعات ازديارها ، فهي ملء القلب حسناً وحباً ، ملء العين إشراقاً وقرة ... هذه الدرة الزهراء ، واللؤلؤة المتخيرة ، لم يزل بها دعاة العهر والفحش ، ورواد الريبة والخنى ، يرقونها بكل رقية من رقى الفسوق ، وينفثون لها في كل عقدة من عقد السحر ، حتى أخرجوها عن صدفتها ، وأنزلوها من سماء عفافها وعزتها ...))(١) .

ومع تميز " البيان " والانفتاح على التيار التجديدي ، أو نشر ما سمي بـ " قصائد نثرية " إلاأنها كانت مناصرة للاتجاه التجديدي المحافظ ، ولاسيما زعيمه الشاعر أحمد شوقي (ت ١٩٣٢م) ، والذي لقي احتفالاً على صفحاتها لم يحظ به شاعر آخر من قبل ، وخاصة في السنة الثامنة ١٩٢٠م ، فقد وصفه البرقوقي في بيانه بأنه شاعر الأمة ، وسيد الشعراء والفصحاء ، وشاعر العربية الأوحد ، والبلبل الشجي وترجمان الجيل ، والناهض بدولة الأدب(٢) .

---

(١) (السابق) ص ١٧٤ .

(٢) احتفت " البيان " بشوقي في باب (نوابغ العصر) . انظر : ع ٨ ، ٩ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص٤٣٠ ، ٥٨١ . وانظر : ع٣ ، س ٨ ، ١٩٢٠م ، ص ١٦١ .

وقد علل البرقوقي سبب احتفائه به في مقدمة شرحه لملحمة الشاعر " دول العرب " بأن شوقياً عنوان للشاعرية الحقة ، والعبقرية الصادقة ، لما تميز به من خصوبة في الذهن وصفاء القريحة ، إلى جانب سعة إطلاعه وغزارة مادته وعلمه ، وامتلاكه ناصية البيان(١).

بل قد وصل مدى عناية البرقوقي بشعر أحمد شوقي أن قام بشرح وافٍ للملحمتين التاريخيتين ، وقد نشرتهما " البيان " وهما " أبو الهول " و " دول العرب " وذلك ليسهل على القارئ فهم معاني الأبيات ، إذ تحتاجان إلى ثقافة تاريخية مميزة ، فملحمة " أبو الهول " مثلاً تحكي تاريخ مصر منذ فجر التاريخ إلى العصر الحديث . وقد أتى شرحه مفيداً ومختصراً (٢). إلى جانب ذلك قدمت لشوقي العديد من القصائد منها : فاتحة عودته من منفاه ، وقصيدة في الرثاء بعنوان " شهداؤنا الأثنى عشر " ونشيداً وطنياً قدمته في النشر على نشيد لمحمد الهراوي (ت ١٩٣٩م) والرافعي ، ومطلعه :

بَنِي مِصرَ مَكانكُمو تَهيّا ... فَهيّا مَهِّدُوا لِلمُلكِ هَيّا

خُذُوا شَمسَ النَّهارِ لَهُ حُلِيّا ... أَلَم تَكُ تاجُ أَوّلِكُم مَلِيّا(٣)

وبعد :

فقد اتضح في هذا المبحث أن مجلة "البيان" لم تتبع في الشعر اتجاهاً معيناً تنوه به وتدافع عنه، بل كانت وعاءً له حوى المزيج من التيارات المختلفة والاتجاهات المتباينة، فاحتفت مرات عدة بأصحاب الاتجاه البياني وخاصةً شاعرهم شوقي، ومن جهة أخرى

---

(١) انظر : ع ٦ و ٧ ، س ٨ ، ١٩٢٠ م ، ص ٣٩٩ .

(٢) لقد ورد شرح ملحمة " أبو الهول " في ديوان شوقي مطابقاً لما في البيان بقلم البرقوقي . انظر : ع ١ ، س ٨ ، ١٩٢١م ، ص ١ (مستقلة) . وانظر : شوقي ، أحمد : " الشوقيات " دار العودة ، بيروت ١٩٨٣م ، ص ١٣٢ وما بعدها .

(٣) ع٨ ، س٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٥١ .

احتفت "البيان" بأصحاب المذهب الجديد وقدمت شكري عن غيره، واعتبره البرقوقي أديباً فذاً قلما وُجِد مثله في الوطن العربي ،ثمّ أن البيان اتجهت إلى نوع آخر من التجديد في الشعر والانفتاح المبكر عليه عندما نشرت ما اسمته (القصيدة المنثورة) أو (الشعر المنثور) ولم تكن تلك إلا محاولات ينقصها الكثير من النضج الفني.

والحقيقة أنه مهما نشرت "البيان" من قصائد ومقطوعات شعرية وملاحم لكتابهاالمعاصرين ،فإن ما عرضته لايكاد أن يكون شيئاً يُذكر، فهو قليل ونزر جداً .أما النثر فقد كان له السبق على صفحاتها، وهذا دلالة على طبيعة عصر "البيان" الذي زخر برؤى فكرية متعددة، نتيجة المدّ الثقافي الكبير، والانفتاح على الآداب العالمية ، فكان من الطبيعي أن تمثّل "البيان" عصرها، و تتعايش مع الروح الجديدة في الفكر والأدب ، ولذا اتسعت صفحاتها للفنون النثرية،وكانت المقالة بأنواعها -الاجتماعية والتأملية الفلسفية والقصصية والتاريخية واللغوية ومقالة التراجم -أحد هذه الفنون التي ساهمت مجلة "البيان" في تطويرها، بما قدمته للقارىء بأسلوب أدبي راقٍ، أو بما حملته تلك المقالات من قيمة و رؤية فكرية وفلسفية وحقائق علمية. وقد ظهر التمازج واضحاً فيها بين الأصالة والمعاصرة نتيجة تأثر كتّابها في جوانب عدة بكتّاب المقالة الغربية.مما سيتضح لنا في المبحث التالي.

٢ ـ أدب المقالـة

١ ـ المقالـة الاجتماعية :

أفسحت " البيان " صفحاتها لآراء بعض الكتاب المصريين للتعبير عن واقعهم الاجتماعي المعاصر إبانئذ . وقد ظهر في العديد منها تأثرهم الواضح بأفكار الكتاب الغربيين فمن ذلك مقالة (آخر زمن) فصاحبها ذكر أنه اعتمد في بحثه هذا على ما جاء به ماكس نوردو من آراء وشروح في كتابة " الانحطاط "[١]. وأحياناً تجاوز التأثر إلى الاقتباس عند بعض الكتاب المترجمين ، كما هو في مقال (الأغنياء والآداب) و(الكبراء) ففيهما بدأ المقالي يسرد آراءه ، ثم أعقب حديثه بترجمة المقال الأصلي الذي نقل منه[٢] . وقد أتى التزاوج بين الآراء منظماً وهادفاً ، فكاتب الكبراء – مثلاً – صرح بأنه تأثر فيما كتبه بما جاء به الكاتب الفرنسي " لا بروير " من شرح لنفسيات وأخلاق الكبراء ، بعدما تحدث عما أسماه بالعبودية المنظمة عند الإنسان المعاصر الذي أصبح يفرق في التعامل بين الناس على أساس الطبقية ، فقال : ((وليست هذه العظمة المظهرية إلا قوالب مجوفة من الضؤولة ، نفختها أنفاس المال ، أو أبهة المنصب ، أو حقوق الدم ، والناس جميعاً إلا أقلهم يرون في المال والمنصب أكبر مقياس للقوة ، وفي الظافر بالطائل منهما أكبر القوى ، فهم يقدسون هذه القوة القياسية لأنهم يشعرون نحوها بالضعف))[٣] .

ومما نشرته " البيان " عن النقد الاجتماعي مقالاً بعنوان " الأمس واليوم " للمنفلوطي تحدث فيه عن الرذائل والفضائل في عصره[٤]. ومقالة (العلاقة بين الفرد

---

(١) المقال غفل من التوقيع ، انظر : ع ٦ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ١١٢ .

(٢) انظر : لمقال (الأغنياء والكبراء) وهو غفل من التوقيع ، ع ٧ و ٨ ، س ٤ ، ١٩١٦م ، ص٢١٨ وما بعدها .

(٣) المقال غفل من التوقيع ، انظر : ع ١ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ١٩ .

(٤) انظر : ع ٨ و ٩ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ١٠١ ـ ٣ .

والمجموع وأثرهما في النهضات الاجتماعية) بقلم ط. ر[1]. ومقالة (الانحطاط) لكاتب مصري لم يشأ أن يذكر اسمه . وقد ذكرت " البيان " أنه مقال مستفيض ومؤثر، لأن كاتبه ألم فيه بجميع أنواع الانحطاط المستبد بأخلاق وآداب المجتمع المصري وقتئذٍ، بل ((وجميع معاني الحياة القومية التي هي قوام الأمم وسياجها ، والتي ينهدّ بناؤها ويتقوض دون الاحتفاظ بها والتفوق فيها))[2].

وقد رأت " البيان " أن كاتبها صرح بالحقيقة التي قلما يجرؤ كاتب آخر أن يصدع بها ، واعتقدت بصدق ما جاء فيها فكل كلمة في نظرها هي من الحقائق السائدة في المجتمع[3]. وقد قرن – في طياتها – الكاتب بين تطور الآداب والحياة الاجتماعية ، قائلاً : ((وأنت فلا تجد وسطاً من الأوساط ينحدر ويتقهقر إلا إذا قذف بالآداب – وهي خلاصة الماضي وروح الحاضر ومبلغ ما أخذ الناس من العقل والإحساس بالحياة – إلى هوة الغفلة والتهاون والاحتقار . وليس الفرق الأكبر بين المتحضرين وبين الذين يعيشون في طفولة الحياة إلا الجزء التفكيري في حياة المتحضرين ... وما كانت الأمة التي لا آداب لها إلا خليطاً من الأنعام يعيش في غفلة وذهول ، ويمشي إلى العدم والانقراض))[4].

وعلى الرغم أن " البيان " لم تبدِ آراءها في كثير مما نُشر من المقالات الاجتماعية إلا أنه من الواضح أنها أرادت أن تضع أصابعها على الأمراض المتأصلة في مجتمعها إبانئذٍ ليبصرها القراء ويعملوا على استئصالها .

---

(١) انظر : ع ٢ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ٦٥ – ٧٦ .

(٢) انظر : ع ٤ و ٥ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ٧٩ .

(٣) (نفسه) .

(٤) (السابق) ص ٨١ .

٢ ـ المقالة التأملية الفلسفية :

عرضت البيان عدداً من المقالات التأملية الفلسفية التي تصور مشكلات الحياة والكون وأسراره الدقيقة ، وتكشف عن نوازع النفس البشرية ، وليس من الشرط أن يلتزم فيها المؤلف فلسفة منطقية وإنما هي انطباعات الكاتب ووجهة نظره في أمرٍ من أمور الحياة[١].

ومما نشرته " البيان " من هذا النوع مقالة (الكتاب والآداب)[٢] و (سياحة النزهة [٣] وكلاهما غفل من التوقيع . و (في سبيل الكمال) لمنصور فهمي (ت١٩٥٩م)[٤] و (الحياء) لمحمد صادق[٥]. ومقالة (الجمال والحب وأثرهما في الحياة) لمحمد حسين هيكل . وهو مقال طويل نشر على حلقتين في العدد الرابع والخامس من السنة الأولى ، تناول فيه الجمال على أنه غاية معنوية ، يعيش من أجلها كل إنسان راق ، يريد أن يصل إلى اكتشاف المكنون في الأشياء المحيطة به . وأن أدق الناس إحساساً هم الذين يحبون الحياة للجمال الذي تحويه ، والعلم له دور في ترقية الإحساس بالجمال وفتح بابه واسعاً ، فهو يعمل – كما يقول – على : ((توسيع دائرة مشاهداتنا فنرى غير ما تراه العين العارية من الدقائق المتناهية في الصغر والجلائل المتناهية في الكبر ما ترفع الحجاب عنه الأنبوبتان السحريتان ، المكرسكوب – والتلسكوب . هذا السعي الدائم من كل الناس نحو الإحساس بما تحتويه المحيطات من بديع الخلق غير محس النتيجة عند الأكثرين ولكنك تراه ظاهراً واضحاً عند الإنسان كلما ارتقى في الإنسانية

---

(١) د. أبو ذكرى : " المقال وتطوره في الأدب المعاصر " ص ٧٥ – ٧٧ .

(٢) انظر : ع ١ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٩ وما بعدها .

(٣) انظر : (السابق) ع ٢ و ٣ ، ص ١٧٠ ، وما بعدها .

(٤) انظر : ع ٥ و ٦ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٦٥ – ٦ .

(٥) انظر : ع ٣ ، س ٧ ، ١٩١٩ م ، ص ١٤٢ وما بعدها .

وصار أوسع علماً بنفسه وبغيره ، ولا شيء أدل على ذلك من أن كل الذين اتفقت الإنسانية على تسميتهم عظماء الرجال مهما كانت مشاربهم ومذاهبهم لهم تعلق خاص بكل أنواع الجمال أو ببعض منها))(١) .

٣ ـ المقالة القصصية :

يمثل هذا اللون من المقال الأدبي الهادف جوانب التأثر بالآداب الغربية ، فهي أحاديث شخصية تمتزج فيها المسامرة مع الفكاهة ، وتألق السخرية التي تكشف عن شخصية الكاتب واتجاهاته(٢). وقد ظهرت على صفحات " البيان " عدة مقالات مثلت هذا النوع ، حملت في طياتها غاية فكرية ، فقدم عبد الرحمن شكري في باب (طرف فلسفية) طرفاً تحت عنوان (أحلام اليقظة) وهي : (أسافل النفس وأعاليها) ، (الخير والشر) ، (عظم الوجود) . وقد استخدم الكاتب في أحلامه الخيال والفلسفة والتي شابها شيء من المزاح ، كما وظف فيها شخصيتي (الجني والملاك) ولفظتي (الأرض والسماء) فعبر من خلالها عن أحلام رآها إما أمام شاطئ بحر ، أو أطلال مدينة ، أو في بستان أنيق . والطبيعة كانت أداة شكري في التعبير عما يريد أن يقوله من فلسفة وحكمة في هذه الطرف ، فمثلاً يقول في أسافل النفس وأعاليها : ((فقال الملك صاحب المرآة إن صورة هذا الجني تمثل النفس الإنسانية فإن هذا الجني رأسه في السماء ورجله في الأرض وكذلك النفس فإذا نظرت إلى النفس رأيت أعاليها كلها جلال وجمال وأسافلها مثل بئر كله حشرات ... فإذا أردت أن تعيش عليل النفس سقيم الأمل ضئيل الهمة فانظر في أسافل هذا الجني وردد لحظاتك في الدود والبق والعقارب التي فوق قدميه فإن هذه أسافل النفس ويكون مثلك مثل من يريد أن يستحم فيرى غديراً صافياً طاهر الماء فيعدل عنه إلى الماء الآسن في المستنقع الموبي))(٤).

---

(١) ع ٤ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٢٦٦ .
(٢) د. أبو ذكرى : (السابق) ص ٧٣ ، ٧٦ .
(٣) انظر : ع ١٠ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٦٩٤ .

كما برز الكاتب عباس حافظ بسلسلة مقالات قصصية اتخذ لها عنواناً موحداً باسم (صور هزلية من أخلاق الناس) أما صوره المنشورة في " البيان " فهي : أنا ، عمتي ، القلوب السوداء ، عم سرور ، عم زايد[١]. وقد ابتدأ الكاتب بصورته الهزلية قبل أي صورة ، فوصف نفسه بأنه مخلوق خرافي مليء بالمتناقضات ، وأطلق على نفسه مسمى عفريت إنساني لأنه رجل مغرور . إذ يقول : ((والحق أقول لكم أيها الناس أنا أشد الشياطين غروراً وغروري يمتاز بأنه غرور فلسفي مبتكر قوي المنطق ، ولكنه بعد غرور صخاب أجش الصوت ، ولعله خلق معي في يوم راعد ، لأنه كثيراً ما يصطدم مع سحابة كبيرة من غرور رجل آخر ، فيكون منه دوي شديد ثم ينجلي الصوت عن ماءٍ منبثق كالمطر بعد الرعود ، وهذا الماء الغزير هو دموع صاحبي الذي صادم غروري غروره فصرعه))[٢] .

ويظهر فيما كتبه عباس حافظ مدى تأثره بروح السخرية التي برزت في كتابات الكاتب الإنجليزي جيروم . ك . جيروم . في كتاب " أفكار بليدة لمفكر بليد في أوقات بليدة "[٣]. وقد نقل عباس هذا اللون المقالي بعدئذٍ من " البيان " إلى صحيفة " البلاغ الإسبوعي " ١٩٢٦م . إذ كان يترجم في الأخرى أشتاتاً من الصور الفكهة ، ثم لا يلبث أن ينشيء على غرارها موضوعاً وطريقة[٤] .

---

(١) انظر : المقال (أنا) ، ع ٦ و ٧ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٨٨ ، ومقال عمتي ، (السابق) ع ٨ و ٩ ، ص ١١٦ . و (القلوب السوداء) ع ١ ، س٦ ، ١٩١٧م ، ص ٢٠ . و (عم سرور) ، (السابق) ع ٣ ، س ٦ ، ص ٨٦ . و (عم زايد) ع ٣ ، س ٨ ، ١٩٢٠ م ، ص ١٥١ .

(٢) (السابق) ع ٦ و ٧ ، س ٥ ، ١٩١٧ م ، ص ٩٠ .

(٣) انظر : ما ورد في (الباب الثالث) الفصل الخاص بـ (الكتب المترجمة) موضوع (آثار غربية).

(٤) ذكر الدكتور فياض أن عباس حافظ بدأ كتابة المقال القصصي بدءاً من مجلة البلاغ الأسبوعي ، ولكن اتضح أن عباس حافظ تخصص في كتابة هذا اللون من المقال منطلقاً من مجلة " البيان "قبل " البلاغ " . انظر : " المقالة في الأدب الحديث ، نشأةً وتطوراً " مخطوطة ، ص ٧٥ .

٤ ـ مقالة التراجم :

كانت مقالات التراجم أقوى وأكثر بروزاً عن غيرها من أنواع المقالات الأخرى على صفحات " البيان " وذلك لأمرين :

أولاً : أنها سنت منذ السنة الأولى باباً بعنوان (نوابغ العالم) أوردت فيه سير عظماء الرجال وفلاسفة وأدباء وملوك وقواد ، فضلاً أنها طبقت منهجها في هذا الباب ، إذ جمعت فيه بين نابغتين أحدهما عربي من رجالات العصر القديم ، والآخر من الغرب. ففي العدد الثاني من السنة الأولى جمعت بين الشاعرين ابن حمديس الصقلي وجولد سميث الإنجليزي[(١)] . وفي العدد الخامس من السنة الثانية جمعت بين القائدين ، عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الأموية بالأندلس وفردريك الأكبر مؤسس الوحدة الألمانية[(٢)].

ثم طورت " البيان " من نفسها في هذا المجال فأسست باباً جديداً في العدد الثامن من السنة الثانية بعنوان (نوابغ العصر) استفتحته بالحديث عن شوقي[(٣)] . ثم تجاوزت إلى الكتابة عن سير الشخصيات السياسية والوطنية المعاصرة لها . أمثال : سعد زغلول ، وفتح الله بركات ، وقليني باشا فهمي ، وأحمد فتحي زغلول[(٤)] .

ثانياً : أنها كانت ترجو من ترجمتها لنوابغ العالم ، الأثر الفكري والنفسي لقرائها بعد اطلاعهم على سر عظمتهم ونبوغهم ، ثم اللذة والفكاهة وترويح النفس واستجمام الخاطر . وفي هذا الصدد نشرت مقالة بعنوان (تكريم النوابغ) رأى فيها كاتبها أن العظمة نوع من السحر يجمع بين روح العظيم وأرواح بني وطنه ، فقال : ((أنت ترى

---

(١) انظر : ص ١٢٢ ، ١٣١ .

(٢) انظر : ص ١٩٤ وما بعدها .

(٣) انظر : ص ٤٣٠ .

(٤) انظر : ع ٣ ، س ٣ ، ١٩١٤ م ، ص ٢٠٩ .

الناس يقدسون العظيم طوعاً أو كرهاً ويعلمون أن لا غناء لهم عن عظيم ، وكل شعب فرح بعظمائه يقدر فيهم جلالة الأخطار ، ويمشي إليهم بالإعظام والإكبار ، ,,,ولكل رجل منا عظيم يسكنه فؤاده وينزله ربع قلبه))[1] .

ولم يُخفِ صاحب المقال تأثر المجلة في هذا الباب بالغرب ، لأنهم في رأيه أعرف بحق العظماء وتقدير النوابغ والعلماء من أهل المشرق ، فكل نوابغهم في نظرهم عظماء ، وقد ذكر صراحةً ذلك عندما قال : ((ونحن اليوم قد بدأنا نهتدي بهدي الغربيين ونأخذ بطريقتهم ، ونعرف لنوابغنا وأعيان علمائنا حقهم المطلوب))[2] .

وقد اتبعت " البيان " طريقة الإطالة والسرد ، والعناية بالتفاصيل الدقيقة في حديثها عن سير عظماء العرب في العصور القديمة والحديثة ، من هؤلاء الشاعر بشار بن برد فتناولت أصله ومنشأه وخلقه وأسرار عبقريته ومنها إصابته بالعمى ، وآراء نقاد العرب فيه ، وعقيدته ، ومذهبه ، وملحه ونوادره[3]. كما قدم الكاتب أحمد زكي (ت ١٩٣٤م) بحثاً مطولاً عن (حياة ابن زيدون) ، أو (صفحة من مجالس الأنس في ليالي الأندلس) واتبع فيها التقسيم العلمي ، فابتدأ بالتمهيد ، ثم كلمة صغيرة عن الأدب الأندلسي ، وأولية ابن زيدون ، ومن هو ، ثم الحديث عن حياته[4].

كذلك اهتم البرقوقي في حديثه عن ابن حمديس بترجمة حياته جملة وتفصيلاً فتحدث عن صقلية في عصره وحب الشاعر لوطنه ومدائحه في المعتمد بن عباد ، وشعره ومنزلته من الشعر ، قائلاً عن شعره الحماسي : ((إن ابن حمديس لم تشغله الأندلس ونعماؤها عن النظر في حال بلده وقول [الشعر] الحماسي يحرض فيه قومه

(١) المقال غفل من التوقيع ، ع ٥ و ٦ و ٧ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٣٨٤ .

(٢) (السابق) ص ٣٨٥ .

(٣) انظر : ع ٨ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٤٥٩ .

(٤) انظر : ع ٨ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ٤٧٠ .

وملوك المسلمين على الجهاد ومطاردة الروم النرمنديين من بلاد الإسلام ، ولكن الشاعر كالمرآة الصافية تنعكس فيها الأشياء فتريكها كما هي ... فكان ابن حمديس إذا ذكر ما أصاب بلده هاج كما يهيج البركان . وقال الشعر الحماسي الذي يهتاج الأفئدة ويثير الحمية ويحرك النفوس إلى الهيجاء كما تحركهن الموسيقى في هذه العصور))[١].

أما في حديث " البيان " عن سير رجال الغرب فكانت تتبع طريقة الاقتضاب والاختصار ، فترجمت لحياة العديد منهم باختلاف مجالاتهم من هؤلاء : القائدان كروميل ونابليون بونابرت ، من كتاب الأبطال لكارليل[٢]. وحياة الفيلسوف نيتشه والشاعر جوته ، وعن مكانته في التاريخ[٣]. والشاعر الإيطالي جبريل دانتزيو[٤]. والكاتب أناتول فرانس الذي قالت عنه : ((يعيش اليوم في العالم شيخ أربى على السبعين ، ولا يزال يشارك الدنيا في شؤونها بنشاط الفتيان ، ويعنى بالبحث في أسرار الحياة وفلسفتها بحدة الشباب وهمة الأقوياء، وقد ظفر بالسيادة في الأدب . وامتلك الهمة العالية في التفكير ، وأصبحت كتبه وتواليفه فرحة رواد الأدب وعشاقه ذلكم هو أناتول فرانس الكاتب الذائع الذكر في فرنسا ، ... إذ كان مولده عام ١٨٤٤م ولعل الفضل في نبوغه أنه منذ طفولته وعهد شبيبته كان يعيش بين المجلدات الضخمة والتواليف العظيمة ... بين كتب أناتول فرانس مؤلف وسمه بهذا العنوان " كتاب صديقي " وهو تاريخ أناتول فرانس ، ووصف لحياته ، وأغرب ما في كتب هذا الفيلسوف الغريب أن بطل كل كتاب من كتبه وقصة من قصصه ، كأنه صورة من

(١) ع ١٠ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٦٠٨ .

(٢) (السابق) ع ٥ و ٦ ، ص ١٩٤ .

(٣) ع ١ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٦ .

(٤) ع ٦ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ١٨٠ .

أناتول فرانس نفسه ، ورسم حقيقي لخلقه ، وكتاب صديقي هذا بديع رائع تلتقي فيه الفلسفة الفكهة ، بالأدب المطرب الخفيف الروح))[١] .

كذلك أسهمت " البيان " بصورة أكبر في تعريف قرائها بعدد كبير من أدباء ومفكري الغرب عند وضعها المداخل والمقدمات التعريفية للفنون والكتب الأدبية المترجمة .

٥ ـ المقالة التاريخية :

تميزت السنة الأولى من " البيان " خاصة بنشر بعض المقالات المتعلقة بالتاريخ الإسلامي ، فوضعت أولاً باباً بعنوان (التاريخ) نشرت فيه عدة مقالات للشيخ أحمد سليمان العبد[٢] ، بعنوان (أخبار الخوارج) تحدث فيها عن فرقهم واعتقاداتهم ، واستهلها بمقدمة أبرز فيها رأيه عن (مبدأ المساواة) الذي جاء به الدين الإسلامي ، فعرفه بأنه : ((ناصر النفس وعضدها القوي الذي يزيل عنها الخور والخمول ويخرج بها إلى واد فسيح من الحياة الشريفة تجد به رقيها ورفعتها ويقذف بها في ميدان شاسع من الشجاعة الأدبية))[٣] .

كذلك في مستهل العام الهجري لسنة ١٣٣٠هـ غرة محرم ، نشرت مقالاً مطولاً بعنوان (عبرة وذكرى) (حديث الهجرة) احتفاءً بهذا اليوم المجيد ، وقد اعتمد فيه كاتبه النقل من أوثق المصادر[٤] . كما وضعت " البيان " باباً آخر بعنوان (تاريخ الإسلام) اشتمل على مقدمتين الأولى عن ماهية علم التاريخ ، وتطرق الحديث فيه إلى

---

(١) ع ٨ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٩٧ .

(٢) ذكرت " البيان " أن أحمد العبد أحد خريجي مدرسة القضاء الشرعي .

(٣) ع ٧ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٢١.

(٤) انظر : (السابق) ع ٥ و ٦ ، ص ٢٧٤ .

الطريقة المثلى لكتابة التاريخ من وجهة نظرها ، ثم طريقتها في الكتابة لتاريخ الإسلام(١) . أما المقدمة الثانية فكانت في (الأديان) وقد وضُعت من أجل أن يتجلى للقراء فهم المصطلحات الدينية التي ورد ذكرها في القرآن الكريم وعلى لسان السيد الرسول صلى الله عليه وسلم مثل كلمة يهود ونصارى وصابئة ومجوس ومشركين(٢) . ففي كلمة (الصابئة) مثلاً ذكر كاتب المقال أن علماء اللغة اختلفوا في أصلها فذهبوا ((إلى أن الصابئة مأخوذة من صبأ عن الشيء إذا مال عنه وانحرف ، والصابئون قد انحرفوا عن سنن الحق في نبوة الأنبياء إلى عبادة الكواكب ... أما إذا قصدنا إلى سر تسمية هذه الطائفة بهذا الاسم عند نفسها إن كانت تسمي نفسها كذلك أو إلى معنى هذه اللفظة في أصلها الوضعي فربما كان أقرب إلى المعقول أن يكون اشتقاقها على ما قاله بعض الباحثين في علم اللغات من صبأوت العبرية ومعناها جند السماء دلالة على أنهم يعبدون الكواكب))(٣) .

وقد اكتفت البيان بالحديث عن (الصابئة) فقط ، ولم تف بوعودها للقراء باطلاعهم على مزيد من تفسير المصطلحات الدينية ، أو حتى تقديم أبحاث خاصة بالتاريخ الإسلامي ، ولعل هذا عائد إلى طبيعة المواضيع التي تم طرحها ، وهي بحاجة إلى مصادر موثوقة وصحيحة لا لبس فيها ، ثم إلى جهد قد يستغرق زمناً مكثفاً يخالف استعدادات كتاب الصحف الأدبية والذين هم مسؤولون من القراء بنشر ألوان مختلفة من المواضيع وفي جميع التخصصات الأدبية .

واهتمام " البيان " بالكتابة عن التاريخ الإسلامي في السنة الأولى ١٩١١م فقط، كان نابعاً من إيمانها بارتباط التاريخ باللغة وبحضارة الأمة ، والذي وضعته ضمن خطة منهجها ، لأنه ما من أمة في رأيها فرطت في لغتها إلا فرطت بتاريخها ، بيد أنها

---

(١) انظر : الفصل الخاص عن (مفهوم التاريخ لدى البيان) ، و ع ١ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٢١ .

(٢) انظر : (السابق) ع ٤ ، ص ٢١٩ .

(٣) (المقدمة الثانية في الأديان) ، (السابق) ع ٧ ، ص ٤١٤ – ٥ .

استمرت بعد ذلك في نشر مقالات تاريخية خاصة بواقع حاضرها المعاصر كمقالة (مستقبل الدولة العثمانية) بقلم العقاد[1] ، ومقالة (فضل الشرق على الغرب وأثر المغرب على المشرق)[2] .

٦- المقالة اللغوية :

جميع ما نشر من المقالات اللغوية – على صفحات " البيان " – قصد منها التصدي للدعوات المغرضة ضد الفصحى والانتصار للعامية ، وقد تم وضع فصل له بعنوان (موقف البيان من الدعوة إلى العامية) وأبرز ما نشرته البيان من مقالات بهذا الخصوص (النقد والمناظرة روح اللغة وروح الدين) للإمام محمد عبده و(الرأي العامي في العربية الفصحى) و (الجنسية العربية في القرآن) و (تمصير اللغة) للرافعي الذي حمل سلاح هدم كل الآراء المغرضة بما نشره على صفحات " البيان " .

ومن خلال ما تم عرضه من أنواع المقالات الأدبية في " البيان " التي كانت تنشرها منجمةعلى صفحاتها لكبار الكتاب المصريين ، اتضح أنها إحدى أولى الصحف الأدبية المساهمةفي تطوير المقال الأدبي في الأدب الحديث ، وبالتحديد في الربع الأول من القرن العشرين،وهي فترة تميزت بالنضوج الأدبي والوعي الثقافي والاجتماعي .

٣- المذكرات :

لم تعن " البيان " بنشر مذكرات بعض الكتاب المعاصرين ، ولكنها قدمت للقراء في السنة السابعة ١٩١٧م ، في أولى أعداد " البيان " الأسبوعي مذكرات الكاتب اللبناني الدكتور شبلي شُمَيِّل[3] . والبرقوقي لم يتحرج من وضع مقدمة لمذكراته ،

(١) انظر : ع ٢ و ٣ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٥٩ ، وما بعدها .

(٢) المقال غفل من التوقيع ، انظر : ع ٣ ، س ٧ ، ١٩١٩ م ، ص ١٧٥ وما بعدها .

(٣) طبيب وباحث لبناني ، كان ينحو منحى الفلاسفة في عيشته وآرائه ، سكن مصر ، وأصدر مجلة الشفاء " سنة ١٨٩١ م ، وألف " فلسفة النشوء والارتقاء " وله مجموعة مقالات ،ورسائل منها " المعاطس " على نسق رسالة الغفران للمعري . انظر : الزركلي « الأعلام » ج ٣ ، ص ١٥٥ .

ذاكراً فيهـا أنه لا يتفق مع كاتبها في كثير مـن آرائه وخاصة الدينية ، إلا أن هذا لا ينافي أن ينتـفع وقراؤه بما لديـه من علمٍ وأدبٍ وتجارب ومـلاحظات[1]. إذ يقـول : ((ونحن نقـدم اليوم إلى قـرائنا مما لـم ينشره الـدكتـور ، مذكـراته التي رأيناها كالمرآة ، يرى فـيهـا الناظر تاريخ مصر ونهضتـها العلمية والأدبية والسياسية والاجتمـاعية منذ منتصف القرن الماضي إلى اليوم ، مما لا يـكاد يظفر بمثله كتـاب أو مجلة ، ذلك إلى كـثير من تعليـقات الدكتور التي لا نغالي إذا قلنا أنها جماع فلسفته وآرائه))[2] .

والبرقوقي بهذا لم يرد حـرمان قراء مجلته من القيمة التـاريخية والمعلومات النادرة التي احـتوتهـا تلك المذكـرات ، وتقديراً للرجل الذي قـضى وقـتاً طويلاً في عـالم العلم والأدب ، وخاصـة أنه بدأ مذكـراته منذ عـام ١٨٧٥م ، وهي فترة هـجرته إلى مـصر . والتي التقى فيها برواد النهضة الحديثة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، هؤلاء الذين كـان لهم تأثير عـميق فـي جمـيع المجالات والمؤسـسات الفكـرية . ومن هنا تأتي أهمـيـة مذكراته ، والتي قـسـمهـا شبلي إلى أيام ففي (اليـوم الأول) بدأ الحـديث عن نهضـة الصـحافـة في مصر ، والذي أنصف فيـه سليم الحـموي باعتبـاره أول مؤسس لجـريدة أسـبوعـيـة في مـصر بـاسم " الإسكندرية " أنشـأها في الإسكندرية عـام ١٨٧٥ م ، ثم خصص الحديث عن أديب إسحاق وتفاصيل علاقته الحميمة معه ، وبأنه هو الذي ساعد أديبـاً ، مادياً ومـعنوياً في إصدار صـحيـفتـه " مصـر " لما توسم فيـه من مقـدرة على فن الإنشاء ، كمـا أنه هو الذي عرفه بالأفغانـي ، والإمام محمد عـبده واللقاني ، ثم واصل في الأيام التـالية حديثـه عن الشيخ جـمال الدين الأفـغاني حـديثاً مثيراً تجـاوز فيـه الحد المعقول[3] .

---

(١) انظر : ع١ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٧ .

(٢) (نفسه) .

(٣) (السابق) ص ٧ - ٨ وباب (الأدب والتـاريخ) ، (السابق) ع ٢ و ٣ و ٤ ، ص ٢٧ ، ٤٢ ، ٦٢ . وقد توقفت " البيان " عند هذا الحد من نشر المذكرات بسبب موت صاحبها .

ورغم أن " البيان " لم تنشر إلا مذكرات شبلي شُميّل إلاأنها وجدت مكانها في الدراسات الصحفية ، وذلك لأنها عدت البداية الحقيقية لكتابة المذكرات الشخصية بمعناها الحديث ، والتي تتسم بالجرأة والصراحة والذي فيه يفضي الكاتب بأسراره الشخصية ، ويصف أشكال الناس الذين عرفهم في حياته واتجاهاتهم الفكرية ، كما أُعتبرت حدثاً أدبياً هاماً في وقت مبكر جداً . وهذا يدل - فيما أرى - على الحرية الفكرية التي اتسمت بها " البيان " وتقبل جميع أنواع الصراع الفكري . ولعل لطبيعة عصر البرقوقي شأن في فرض هذه السمة عليه رغم تدينه واتجاهه الأدبي المحافظ(١) .

وختامًا لهذا الفصل الذي اختص بالفنون الإبداعية لكتّاب مجلة "البيان"لابد من التنويه على الآتي :

أولاً : فيما يخص الشعرفكان من الطبيعي أن تمثل "البيان"عصرها واتجاهها المحافظ ، فتحتفل بشاعرية شوقي ، وتنشر من شعر السيد القاياتي أو مطران وغيرهم ، ففي زمنها هيمنت مدرسة المحافظين على الساحة الأدبية بعد ظهور حركة الإحياء التي تعهدها البارودي . أما فتح ذراعيها للمجددين وقائدهم شكري، ونشر نبذ من ديوانه ، والذي مثل فيه ثورتهم على نظام القصيدة القديمة في القافية والمضمون والموضوعات ، فإن ذلك كان سبباً لأن تكون "البيان" من أولى المجلات الأدبية المساهمة في تطوير الأدب الحديث ، والعاملة على ترقية كثير من المفاهيم النقدية القديمة السائدة إبانئذ وذلك عندما استوعبت آراء المجددين الفكرية منذ سنتها الأولى مما سيتضح لنا في الصفحات التالية.

ثانياً : أما النثرفقد انصب اهتمام مجلة "البيان" نحوه خاصةً، فنشرت كل ماهو ذو قيمة سواء في مجال التراث أو الترجمة -كما مرّبنا سلفاً في الأبواب السابقة- أو

---

(١) انظر : د. الدسوقي ، عبد العزيز : (البيان الأسبوعي ومذكرات الأعلام) ؛ مجلة " الثقافة " ع ٣٣ ، س ٣ ، ١٩٧٦ م ، ص ٤٦ .

كتابات أدبائها المعاصرين، وقد شملت كتاباتهم المذكرات والكتب والمقالة الأدبية التي تنوعت موضوعاتها مابين ذاتيه وموضوعية، وكانت (المقالة النقدية) أحد أنواعها ، ونظراً لما حوته تلك المقالات من قيم فنيّة ومفاهيم نقدية بنيت على أسس جديدة ومغايرة للقواعد النقدية القديمة نتيجة للتمازج الثقافي عند كتّابها، وبدا واضحاً فيها دور "البيان" في تطوير النقد العربي الحديث ، فقدآثرنا إفرادها في مبحث خاص عن (النقد والدراسات الأدبية في "البيان") على نحو ما سيأتي في الفصل التالي.

الفصل الثاني

النقد والدراسات الأدبية في «البيان»

١ - النقد والتقريظ .

أ - التقريظ .

ب - تيار التجديد النقدي .

٢ - الكتب .

١ ـ النقد والتقريظ :

أ ـ التقريظ(١) :

وضع البرقوقي باباً باسم (النقد والتقريظ) في العدد الخامس والسادس فقط من السنة الأولى ١٩١١م ، وخصص فيه الحديث عن إصدارات الرافعي ، وأولها كتاب « تاريخ آداب العرب » واستهله بالثناء على شخص المؤلف ، ثم تجاوز الحديث عن الكتاب ومحتوياته إلى شروط التأليف لتاريخ الأدب من وجهة نظره ، ثم انتهى بموافقته الرافعي في جميع آرائه عن الطريقة المثلى لكتابة التاريخ الأدبي . ورأى البرقوقي رأي الرافعي في أنه من الخطأ أن يتم تقسيم الأدب حسب العصور السياسية وإنما يكون ذلك بتطور الشعوب(٢) .

ثم لم يُر بعد ذلك لهذا الباب مكان إلا في العدد الأول من السنة الثانية ١٩١٢م، ولعل البرقوقي قد وضعه خصيصاً من أجل الرافعي فقط ، فقام بتقريظ كتاب « حديث القمر » وعدَّ الرافعي فيه مبتكراً من بين جميع الأدباء ، لأنه فكر في تعليم الإنشاء على الطريقة الصحيحة من حيث استنباط المعاني وتصويرها على نحو ما تحس به النفس ، فكشف به حقيقة خيبة كثير من الشباب في عدم إجادتهم للتعبير آنذاك ، لاعتمادهم طريقة حفظ بعض الرسائل والنبذ من المنظوم والمنثور ، فهي لا تعطيهم أكثر من المادة اللفظية ، على خلاف كتاب « حديث القمر » الذي تميز بالفائدة العقلية والكتابية ؛ لاستكماله عناصر أصل الإنشاء ، من حيث صنعة الفكر والتخيل ، كما أتى ((على طريقة امتزج فيها الشعر بالفلسفة الحكيمة ، والجد بالتهكم الرقيق في صفاء من اللغة، واطراد من التعبير ، وجزالة من الأسلوب ، إلى دقة في الوصف ، وإبداع في الرصف .

---

(١) هو مدح الإنسان وهو حي ، وقولهم : فلان يقرظ صاحبه تقريظاً : إذا مدحه بباطل أو حق .
انظر : « الصحاح في اللغة والعلوم » المجلد الثاني ، مادة : قرظ .

(٢) انظر : ص ٣٦٥ ، ٣٦٨ .

ومـا شئت مما يـجـعل الكـتـاب نسـيج وحـده، ويـدني به النفس إلى غـاية الكمـال وحده))(١).

وتقـريظ البرقـوقي - كـما هو واضح - مـدح وإطراء ، ومـحاباة لـشخص الرافـعي لصلة القرابة بينهـما . على خلاف ذلك ما كان منه في باب (مطبـوعات جديدة) التي أخذت طابـع الدراسة الجدية ، وإن التـزمت صفـة التقـريظ ، فيـما تمَّ عرضـه من الكتب بتعدد مجالاتهـا العلمية والفكرية سواء المترجمة منها والمـوضوعة . فكان كتاب « تاريخ الصحافة العربية » للفيكونت فيليب دي طرازي أحد الكتب التي أثنى فيها البرقوقي على طريقة مؤلفـه في التأليف ، وعده وافياً بكل مـا جاء فيه ، وإنما أخذ على صاحـبه تساهله فقط في لغـة الكتاب ، فـقال : ((وإنا لنود لو يحـتفل جنابه بأسلوب كـتابتـه ، ويتوخى الصـواب في لغـتـه جـهـد استـطاعـتـه . وإنه لو فـعل لـما أخل بشـريطتـه من التسـهـيل والتقريب))(٢).

كمـا احتـفى البـرقوقي بالشـاعر أحـمد رامي عندمـا عرض لديوانه ، متنبهـاً إلى المذهب الجـديد الذي يؤصل الطبع . فـعده شـاعر غـزل من جمـيع نواحيـه ، مطبوعـاً ، عذب الروح . وشـبهـه بالشاعـر العبـاس بن الأحنف ، لأنه قصـر معـانيه على مـوضوع الغزل، ثم دافع عن رومانطيقـيته ، قائلاً : ((وإذا كان بعض النقدة يبهـرجون شعر رامي لسهولته ، ولأنه خلاء من الجزالة والفخامة والعمق والروعة وكثير من المحسنات البيانية ، فقد كان بعض نقاد الشعر أزمان العباس بن الأحنف ، يستبردون شعره ، ولكن شعر ابن الأحنف عاش على الرغم من ذلك ، وسيعيش ما بقي محب في الأرض))(٣) .

---

(١) ع١ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٤٩ .

(٢) ع٤ ، س ٣ ، ١٩١٤ م ، ص ٢٦١ .

(٣) ع٢ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ٧٤ .

والبرقوقي رغم تياره المحافظ فقد أعطى المجددين حقهم ، سواء كان ذلك في عرضه لدواوينهم الشعرية ، كما ورد سلفاً عن شكري والمازني ثم رامي ، أو في إبراز إبداعاتهم الشعرية والنثرية وآرائهم النقدية على صفحات بيانه ، فكانت مسرحاً لهم ولأقلامهم وتصوراتهم الحديثة في مجال الأدب والنقد ، والتي تمخضت عن يقظة عقلية نتيجة لاتصال الشرق بالغرب ، كما سيأتي .

ب - تيار التجديد النقدي :

بدأ الصراع بين القديم والجديد منذ مطلع القرن العشرين ، في وقت مازال فيه للمدرسة القديمة التي تعنى بالنقد اللغوي سيطرتها على الساحة الأدبية ، في حين ظهرت ثلة من طلائع الشباب المتسلح بالثقافتين العربية الأصيلة والثقافة الغربية ، وهؤلاء أرادوا بناء أسس جديدة في مجال النقد مغايرة للقواعد القديمة ، وكان أبرزهم أصحاب مدرسة الديوان شكري والمازني والعقاد ، فأتوا بمفاهيم نقدية جديدة في ضوء المعايير المستقاة من النقد الإنجليزي ، وتأثرهم بصفة عامة بالمذهب الرومانطيقي ، لعنايته بالنفس الإنسانية في أبسط صورها(١). إضافة إلى ذلك معاناتهم من ثورة نفسية لأسباب سياسية واجتماعية وثقافية ، منحت أراءهم النقدية مسحة وجدانية نابضة امتزجت فيها بالصور الشعرية والخواطر الذاتية ، وقد عُدَّ هذا شيئاً جديداً في بداية القرن العشرين ، فتجاهلت كثير من الصحف الأدبية إنتاجاتهم ، بل وامتنعت عن نشر أفكارهم ، مما زاد من حدة ثورتهم على الأوضاع الأدبية والفكرية ، وعمد النهضة الأدبية من أصحاب مدرسة المحافظين أمثال : شوقي وحافظ والرافعي والمنفلوطي(٢).

---

(١) الأمين ، عز الدين : " نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر " ط٢ ، دار المعارف ، مصر ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، ص ١٢٢ ، أبو عوض ، أحمد ، والفارابي ، عبد اللطيف : " الحركات الفكرية والأدبية في العالم العربي الحديث " ط٢ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٨٣م ، ص ٢٤١ .

(٢) د. الدسوقي ، عبد العزيز : " تطور النقد العربي الحديث في مصر " المكتبة العربية والهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، ص ٣٠٩ - ١٠ .

وكانت مجلة " البيان " من الصحف القليلة التي أفسحت صدرها لاستقبال الكتابات النقدية للمجددين[1]، فأعطتهم حق الظهور لإبراز طاقاتهم الفكرية منذ السنة الأولى عام ١٩١١م ، على الرغم من سيطرة المحافظين على الساحة الأدبية ، فضلاً عن ذلك اتجاه صاحب المجلة المحافظ أيضاً [2]. فكانت أول مقالة نشرت بعنوان (النقد) لطه حسين عندما كان في الأزهر ، حيث قدم فيها دراسة عن " حقيقته وأثره في الأمم وشروطه ومضار الغلو فيه " وتحدث عن أسباب إعاقة تقدم النقد في مصر وقتئذ ، وطالب بالنقد الصحيح الذي يرتكز على قوة الحكم وشدة الملاحظة . وقد ظهرت في هذه الدراسة بواكير النزعة العقلية في التفكير عند طه حسين ، وذلك في وقت مبكر جداً [3]. إذ قال : ((فنحن إذاً لا نستطيع أن نبلغ من النقد ما نريد إلا إذا أمن أحدنا من أن يشاع عنه الكفر والإلحاد إذا بحث بحثاً عقلياً صحيحاً عن قضية من قضايا الفلسفة والدين ... فسبيلنا إلى النقد إصلاح التربية وتهذيبها ، وإطراح الفاسد من أساليبها ، حتى ينشأ الشبان أحرار العقول ، قابلين البحث عن كل شيء))[4]. ثم تتابع على صفحات " البيان " ظهور المقالات النقدية التي حملت نزعات التجديد وخاصة لشكري ثم المازني والعقاد في محاولة منهم تقويض بعض الرؤى القديمة للنقد ، وبث

---

(١) من هذه الصحف " خلاصة اليومية " و " الجريدة " .

(٢) قسم الدكتور الكتاني مسيرة الحركة النقدية إلى ثلاث فترات ، ومجلة " البيان " تمثل في هذا التقسيم الفترة الأولى والتي تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ، فقد قال إنها : " الفترة التي غلب فيها المذهب الكلاسيكي باعتباره نتيجة لظهور حركة الإحياء للقديم التي عرفها عصر الإنبعاث ". انظر : " الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث " ج ١ ، ص ٤٩٦ .

(٣) أي قبل سفره إلى فرنسا ومن ثم تأليف كتابه " في الأدب الجاهلي " وكان في هذه المرحلة يتلقى تعليمه على يد سيد بن علي المرصفي ، والمستشرق الإيطالي نلّينو . انظر : الأمين : (السابق) ص ٢٣٤ - ٥ .

(٤) مجلة " البيان " ع ٥ و ٦ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٧٨ .

مفاهيم حديثة ، مستمدة من الثقافة الغربية ، وخاصة المدرسة الرومانطيقية الإنجليزية ، فكان أبرزها عن أهمية صدق التجربة الفنية في الشعر والنثر في مقالة (روح الطفولة في الأدب المصري)(١). وكذلك عن ضرورة تطبيق المنهج النفسي المتأثر بنظريات علم النفس وعلم الأعضاء في دراسة الشخصية الأدبية ، كما فعل المازني في كتاباته عن (ابن الرومي)(٢). وكان لنظرية الخيال وتحديد موقعها الصحيح في الصورة الشعرية حسب الغرض الفني والموضوعي مكانتها على صفحات " البيان " في مقالة لشكري بعنوان (الفكاهة في شعر العرب)(٣) . كما نشرت لهم عدة مقالات عن الأساليب الأدبية وطالبوا فيها بحلاوة الطبع . وقد نحوا في جميع ما ارتأوه منحى تطبيقياً ، مع مقارنة أدباء العرب القدماء والمحدثين بأدباء الغرب كما سيتضح ذلك بالأمثلة فيما بعد .

وقبل الخوض في هذا المجال فإنه يجب القول أن " البيان " أدت دوراً مهماً في خدمة الأدب الحديث وتطويره ، عندما أخذت بيد أصحاب المذهب الجديد في مجال النقد ، إذ لم تجعل دورها يقف عند مجرد العرض لمقالاتهم فقط ، وإنما علقت عليها ، وأشارت إلى حداثتها ، وتوقعها بالمستقبل الذي ينتظر هؤلاء ، وذلك ما حدث عندما قدمت المازني للقراء في السنة الثانية ككاتبٍ للمقال النقدي قائلة : ((وضع الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ... سلسلة مقالات في النقد الأدبي ضمّنها أبحاثاً جديدة مبتكرة وآراء سديدة ، لم يكد يُسبق إليها في كيف يكتب الكاتب ، ويقرض الشعر الشاعر ويبين المبين ، وما هو سر الفصاحة وأساس البلاغة وروح البيان ؟ وما هو الأسلوب والتخيل والنظر ؟ وما إلى ذلك مما سيكشف النقاب عن حقائق من هذا الباب طال احتجابها على كثير من الناس ، وكل ذلك قد أفرغه أديبنا المبدع))(٤) .

---

(١) المقالة غفل من التوقيع ، انظر : ع ٦ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ٩٨ ومابعدها .

(٢) انظر : ع٢ و ٣ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٧٤ وما بعدها .

(٣) انظر : ع٨ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٧٧ وما بعدها .

(٤) ع١ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٤١ .

كما أعطى صاحب " البيان " هؤلاء الشبيبة الحرية في إبداء آرائهم ، وإن خالف ذلك مبدأه ، من ذلك ما قدمه المازني من نقد لجرجي زيدان عقب وفاته ١٩١٤م ، وأبدى فيه صراحة غير معهودة وقتئذٍ ، وقد كان متحرجاً أول الأمر في إبداء رأيه ، والتمس العذر من القراء لأنه ليس لهم سابق عهد بمثل هذا النقد ، الذي يختص بسير الرجال ، والذي قصد من ورائه تقدير عمل الرجل ليس إلا . أما البرقوقي فقد ذكر أن هذا رأي المازني في المأسوف عليه جرجي زيدان ، ولا يستجيز لنفسه بأي حال أن يصدع برأيه ، لأنه ليست ثمة فائدة من ذلك ، وقد مات الميت(١) .

وهذا يدل على حرية الفكر والتنوع الأدبي الذي أراده البرقوقي لبيانه ، كذلك جعلهم يعلنون صراحة عن آرائهم النقدية الحادة ضد التصور الذهني لأبناء عصرهم عن حقيقة النقد ، عندما اتهم صاحب مقالة (أهل المذهب الجديد في الأدب المصري) بعدم احترام الناس حقوق النقد ، فهم حسب قوله : ((لم يألفوا الصراحة والحق ؛ لأنهم اعتادوا أن يعيشوا في جو مشبع بالنفاق والمداراة والملق والمحاباة))(٢) وقد ذكر بأنه ليس آبهاً لسماع إعجاب أو إنكار ، إنما آخذ بطرق من النقد التاريخي الحر الصحيح في تحليله لشخصيات الكتاب المصريين ، وذلك : ((لأن الرجل الذي يريد أن يكتب للتاريخ ويدلي برأيه إلى المستقبل ، يحس أن عشرة قرون تطل عليه وتستحث ضميره . وأن الرجل الذي يحمل قلم التاريخ ، يعرف أن بينه وبين الحق صلة خفية لا تستطيع أهواؤه أن تغالبها وإن حاول ...))(٣) .

وبهذا التصور للنقد لدى دعاة المذهب الجديد كانت البيان من أولى المجلات التي احتفت بآرائهم النقدية في محاولة التوفيق بين النقد القديم والجديد ، وبهذا عملت "

(١) انظر : ع٦ ، س ٣ ، ١٩١٤ م ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٩ - ٩٠ .
(٢) ع٧ و ٨ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ١٩٦,
(٣) (نفسه) .

البيان " على تطوير النقد الأدبي والمساهمة في تغيير الذائقة النقدية التي كانت خاضعة إبانئذ للنقد اللغوي القديم أو النقد الأوروبي الحديث .

أما أهم المفاهيم النقدية للمجددين في " البيان " فكانت كما يلي :

١ - صدق التجربة الأدبية :

سبق وأن ذكرت فيما سلف أن " البيان " تعمدت نقل النصوص من الشعر الرومانطيقي لخاصية التجربة الشعرية فيه ، والتي ترتبط بالصدق والعاطفة في ترجمة عواطف الجنس البشري ، ومبتغاها من ذلك بيان تمثل الأدباء لهذا المفهوم الرومانطيقي ، الذي يهتم بالموضوع بقدر تجليه في نفس المبدع ، وتغلغله في أعماق الحياة وبواطنها ، وإطلاق إشعاعاته العقلية والنفسية على نواحي العمل الفني(١) .

ولا مراء في أن الدعوة إلى صدق التجربة الأدبية أتت أعمق وبصورة أوضح ، عندما تناولها بعض كتاب " البيان " في عدة مقالات نقدية ، وكانت أولها للأديب عبد الرحمن شكري بعنوان (ضمائر الشعراء) أو (الشجاعة الشعرية) فتحدث عما أسماه بالرجولة الشعرية ، وقال إنها تكون : ((في صدق سريرة الشاعر وإحساسه بصدق ما يقول . فهناك فئة من الشعراء يعوقها فقدان الشجاعة الشعرية عن بلوغ شأوها ، والشجاعة الشعرية هي التي تدفع المرء إلى التعبير عما يوحي إليه ضميره . تلك الفئة لا ترى في ضميرها مزجاً إلى القريض ولكن باعثها إليه رغبتها في أن تبين عما [تكنّه] ضمائر الناس ، ولكن يعوقها عن ذلك أن الكذب والنفاق والخداع والتحيز والغرور حجب مسدولة على ضمائرهم ، على أن ضمير المرء أصدق مناصحة له من ضمير غيره))(٢) .

---

(١) انظر : (الباب الثالث) الفصل الخاص بـ " المناحي الفنية الإبداعية في البيان " موضوع " جوانب التأثر بالرومانطيقية " ود. ضيف ، شوقي : " في النقد الأدبي " ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦م ، ص ١٤٤.

(٢) ع ٩ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٥٨٧ - ٨ .

وقد طبق نظريته على شعراء المديح والسياسة ، فهم في رأيه يناقضون أقوالهم في التعبير عن الأخلاق ، ويلبسون أراءهم كما يلبسون ثيابهم ، وذلك لفناء الشاعر منهم في شخصية غيره ، كشعراء عصره الذي أصدر حكماً معمماً عليهم ، فهم في رأيه لا يملكون نصيباً من رجولة الشعر ، ولم تتهيأ أنفسهم لكتابته . أما الأقدمون فكان للمتنبي النصيب الأوفر من الرجولة الشعرية على أبي تمام والبحتري وابن الرومي ، إذ أشعل كلماته وأنار معانيه ، ولم يناقض نفسه في مدائحه حتى في مدحه لكافور ، فقد كان شيئاً ضئيلاً بالنسبة للنفاق الذي جعل البحتري يمدح المستعين ثم يهجوه بعد نكبته(١) .

كما نشرت " البيان " للمازني مقالا بعنوان (فصل في أن امتياز العبارة بالتأثير) رأى فيه أن تأثير العبارة في الشعر لا يكون بحسب تأليفها ، وجودة تراكيبها ، وإنما فضيلة التأثير راجعة إلى المشاعر والأحاسيس الفياضة القوية ، فقال : ((وهل الشعر إلا مرآة القلب ، وإلا مظهر من مظاهر النفس ، وإلا صورة ما ارتسم على لوح الصدر ، وانتقش على صفحة الذهن ، وإلا مثال لما ظهر لعالم الحس ، وبرز لمشهد المشاعر))(٢). ثم مثّل لأقواله بأبيات للبحتري في وصف إيوان كسرى ، وكان مبلغ روعتها عند المازني عائداً إلى ذات الشاعر ، الذي تغلغل إلى أعماق نفسه وقلبه ، فَعَلَت روحه وأنفاسه في كل بيت ولفظ ، ومن ثمَّ أخرج تجربته الأدبية(٣) .

وهكذا نرى أن أقوال شكري والمازني صدرت معممة عن أهمية الصدق والعاطفة في الشعر، ولم تتجاوز إلى عناصر التجربة الأدبية كما فعل صاحب مقالة : (روح الطفولة في الأدب المصري) الذي تحدث عن الضروريات الأولى للأدب وهي : روح الفن ، وقوة الخيال ، ودقة الشعور ، وقوة الملاحظة ، وهذه الضروريات يفتقدها

---

(١) (السابق) ص ٥٨٧ .

(٢) ع١٤ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٤٦ .

(٣) (نفسه) .

الأدب المصري في رأيه ، فعن روح الفن قال : ((الكتابة والشعر وسائر الفنون الرفيعة ليست تعتمد في كل روحها على مستلزمات الحرف والصنائع من وجوه التعليم والتمرين والحفظ ... ، وإنما هي تغتذي قوتها من إحساس داخلي عميق يولد مع الشاعر والكاتب والأديب والمصور والنحات ، وما كان الكتّاب والشعراء في هذا البلد إلا يتابعون في افتقارهم إلى روح الفن ، سائر أفراد الأمة))(١).

كذلك رأى أن الأدباء يفتقرون إلى سمو الخيال ، فقال : ((ولا يزال أكثر أدبائنا وشعرائنا يستمدون تخيلهم الشعري من صور الماضي ومحسات العصور الذاهبة ويستعينون بأثر من روح العرب في كل المواقف الشعرية وأشباهها ، وليس سمو الخيال إلا دليلاً من دلائل صفاء الذهن وخصوبة الخاطر ونقاء الروح ولطف الشعور ونحن لا ننعم بشيء من هذه ... لأن حياة أدبائنا – صنَع الله لهم – إنما هي سلسلة متطاولة من معاسف العيش ومنغصات الفقر والتشرد والإهمال))(٢) .

أما افتقارهم إلى قوة الملاحظة ، وهي من أكبر أسباب نهضة الآداب وتهذيبها وتقدمها ، لأنها تفتح أبواباً شتى من البحث والتفكير ، فكانت سبباً في حرمانهم من أسمى فروع الأدب المتحضر ، وهو فن الرواية والقصص(٣).

وقد أراد هذا الكاتب من الأدباء المصريين أن يأخذوا بتلك المقاييس الفنية ، لأنهم في رأيه يفتقدونها نتيجة لسيطرة الروح العامية ، واستبدادها على الأدب ، والأدباء في مصر ، وبذلك لا يتميزون عن سائر الشعب في عامية النفس ، وجمود الروح ، وضعف التفكير ، إذ يقول : ((وتقاس الآداب بقوة ما فيها من روح السمو والنضوج وما تشعر من قوة ذهنية أهلها ، ومبلغ ما أخذوا من التهذيب والحضارة والعلم والضروريات الأولى للأدب ...))(٤) .

---

(١) ع٦٤ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ١٠١.

(٢) (السابق) ١٠٢

(٣) (نفسه) .

(٤) (السابق) ص ١٠١ .

ومن خلال فهم كتاب " البيان " لأهمية صدق التجربة في كل عمل فني ، فقد طبقوا هذه الآراء النقدية المتأثرة بالرومانطيقية على أعمال معاصريهم من الأدباء . إذ نشرت " البيان " مقالاً نقدياً بعنوان (متن العمرية) غفلاً من التوقيع(١). وقد احتار كاتبها أولاً في إدراك الغرض الحقيقي الذي من أجله نظم حافظ إبراهيم (ت ١٩٣٢م) ملحمة العمرية ، فالشعراء لا ينظمون قصائدهم إلا لغرض معين ، إما لإظهار محاسن الصناعة ، أو قضاء حاجة في النفس ، أو غير ذلك . ثم اتهم حافظاً بعدم معرفته للفلسفة، أو الحكمة ، وأنه ليس بالشاعر الذي يغوص وراء المعنى إلى سره ويتغلغل بروحه في ضمائر الأشياء ، وذلك هو السر – حسب رأيه – في أن أكثر قصائده أنفاس ضيقة وأبيات معدودة لا يطيل فيها ولا يعدد الفصول ولا ينوع الأساليب . وذكر أيضاً أن كل بضاعة حافظ في ملحمته إنما هي حافظة جيدة من الألفاظ الجزلة والعبارات المونقة والتي هي من صنع غيره ، لا من صنع الشاعر نفسه ، ثم يحكم على القصيدة بخلوها من الفن والصنعة البيانية ، فما هي إلا نظم ووزن ؛ لأن حافظاً – في رأيه – شاعر غير قادر على قوة الخلق والابتكار ، ولم يملك ثقافة واسعة من التاريخ العربي تؤهله أن يمزج فلسفة الشعر بفلسفة التاريخ(٢) ، فقد قال : ((فأما أثر الروح الإلهي في القصيدة وما يتجلى فيه من الحكمة الرائعة والوصف البارع والإبداع والسمو وفلسفة الحياة ، وما إلى ذلك من مظاهر الروح والفكر ، فهو أثر ضئيل جداً لا يكاد يحس على أنه مع ذلك إنما هو من روعة تاريخ الفاروق وسموه الطبيعي وروحانيته لا من نفس الشاعر ولا من قوته الذهنية ... ولكنه لم يجد [أي حافظاً] في ذهنه المادة الفلسفية التي تعطيه من أسرار الأشياء وتكشف له عن آثار الشعر في المناسبات المعقودة بين النفس

---

(١) احتمال كبير أن تكون هذه المقالة للمازني الذي تبنى نقد حافظ فقد أصدر عام ١٩١٥م كتابه (شعر حافظ) انظر : الأمين : (السابق) ص ٢٠١ .

(٢) انظر : ع٤ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٠٨ ، ١١٠ ، ١١٤ .

وبين هذه الأسرار ، ولا رأى في روحه قوة الجبابرة النفسيين التي تشبه قوة الخلق في توليد المعاني بعضها من بعض ... ، ولا أحسَّ في رأسه ذلك الخيال الذي يتلاعب بالصفات والحقائق حتى يجعل من التوهم حساً ويُري العين ما لا تراه إلا النفس ، ويُري النفس ما لا تراه إلا العين))(١) .

ثم يتتبع الكاتب بعد ذلك الأخطاء التي وقع فيها الشاعر سواء كانت من حيث الصنعة البلاغية ، أو من حيث معانيه أو خلفيته التاريخية . ووقف ـ على سبيل المثال ـ عند قول الشاعر :

فَأنتَ في زَمَنِ المُختارِ مُنجِدهَا   وَأَنتَ في زَمَنِ الصِّديقِ مُنجِيها

قائلاً : ((وفيه جناس لا بأس به ، وإن كان من أضعف الأنواع لخلوه من النكتة التي تجعل التأثير بالغاً))(٢) .

وخلاصة القول أن جميع المقالات السابقة أظهرت توافق الرأي بين كتاب «البيان» في ضرورة الاحتكام إلى الصدق الفني في العمل الإبداعي ، والذي يعتمد على قوة الطبع ويقترن بقوة الذات والعاطفة والإحساس ، والخيال والثقافة والتغلغل إلى بواطن الأشياء . وجميعها عناصر متكاملة ومنسجمة مع بعضها البعض لا تنفصل في عملية البناء الفني(٣).

٢ ـ نظرية الخيال :

تعدّ هذه النظرية من أهم النظريات التي تأثر فيها شكري وزملاؤه بالرومانطقيين الذين أحلوا الخيال محل العقل ، واحتكموا إليه ، وجعلوه المنفذ الوحيد للحقيقة . فقد

---

(١) (السابق) ص ١٠٨ – ٩ .

(٢) (السابق) ص ١١١.

(٣) تأثر البرقوقي بآراء كتّاب بيانه ، فاتفق مع كاتب (متن العمرية) فيما قاله . إذ أشار في باب (أحداث الشهر) إلى (عمرية حافظ) واتهمه بأنه مسخ التاريخ وطالبه بأ ن يقدر ثقافة الناس وعقولهم التي تطورت بفضل جهاد الإمام محمد عبده فيهم . انظر : (السابق) ص ١٠٢ .

قدم شكري على صفحات " البيان " أهم دراساته عن الخيال ، وهي بعنوان (الفكاهة في شعر العرب) و (التخيل والتوهم)[1] . وإليه ينسب الفضل في إشاعة تلك النظرية منذ وقت مبكر ، وقد أصبحت ذات مكانة في الدراسات الأدبية إلى يومنا الحاضر ، وأثبتت آراء شكري إحاطته بآراء الناقد الإنجليزي كولردج ، وفهمه العميق لنظرياته وآرائه عن الخيال من كتابه " سيرة أدبية " وقد أحال شكري كل ما استوعبه على الأدب العربي وطبقه تطبيقاً عملياً [2]. وكان كثيراً ما يقوم بالمقارنة بين شاعر عربي وآخر غربي. من ذلك مقالته (الفكاهة في شعر العرب) وقد قرر فيها ما يلي :

١ ـ أن الفكاهة تنقسم إلى نوعين خيالية ولفظية ، ومن أمثال النوع الأول قول ابن الرومي :

يأخذُ أعلا الوجهِ من رأسِهِ أخذَ نَهارِ الصَّيفِ مِنْ ليلِهِ

أما اللفظية ، فهي مثل قول المتنبي :

أنَا عاتبٌ لتعتُّبَكْ متعجبٌ لتعجّبَكْ
إذ كُنتُ حينَ لقيتَني مُتوجِّعَاً لتغيبَكْ
فَشُغِلْتُ عَن رَدِّ السَّلا مِ وكان شُغلِي عَنكَ بِكْ[3]

ويقول شكري : ((فهذا الاعتذار مغالطة ولكنه مغالطة مليحة ، فهو من الفكاهة اللفظية ؛ لأن الصلة التي بين شغله بالتوجع لغياب صديقه وشغله عنه صلة توهم ،

---

(١) انظر المقال (الفكاهة في شعر العرب) ، ع ٨ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٤٤٧ وما بعدها . ولمقال (التخيل والتوهم) ، (السابق) ع ١٠ ، ص ٦٩٧ وما بعدها .

(٢) انظر : د . الدسوقي ، عبد العزيز : " تطور النقد العربي الحديث في مصر " ص ٣١٦ – ٧ ، د. العشماوي : محمد زكي : « دراسات في النقد الأدبي المعاصر » دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٥١ ، ٢٧١ .

(٤) مجلة " البيان " ، (السابق) ص ٤٧٧ ، ٤٨٢ .

وليست مثل الصلة التي أخذ أعلا وجه الأصلع من رأسه وبين أخذ نهار الصيف من ليله في بيت الرومي))[1].

٢- أن التشاؤم عند ابن الرومي وسوء ظنه في الناس هو الذي استقدح الفكاهة في خياله، وهو أشبه بالشاعر الإنجليزي بيرون الذي جعل من مرارة نفسه رائداً إلى الفكاهة اللاذعة .

٣ - لمعرفة الفرق بين نوعي الفكاهة لابد من وجود ناقد متمرس له قدر وافر من صحة الذوق ؛ لأنه من الصعب على من لم يتعود النقد أن يعرف الحد الفاصل بين مكان الجد ومكان الفكاهة .

٤ - أن الفكاهة الخيالية هي روح الشعر العربي ، ورأى أن شعراء الجاهلية وصدر الإسلام أصح أذواقاً من العباسيين ؛ لأنهم لم يستخدموها في موضع الجد من مدح ورثاء أو حكمة ، إلا إذا جاءوا بها على سبيل التهكم أو السخرية . أما شعراء الدولة العباسية فغالوا في استخدامها في باب الرثاء والمديح حتى أتوا بالغث والسمين ، وقد سار على نهجهم في سقم الذوق شعراء العصر الحديث .

٥ - أن أحسن الفكاهة ما صدرت عن رغبة في إصلاح فاسد أو تقويم معوج من العادات والأخلاق الاجتماعية[2] .

٣ - المنهج النفسي :

قدم المازني باكورة دراسته النقدية عن (ابن الرومي) المتأثرة بالمناهج الغربية . في مجلة " البيان " بين سنتي ١٩١٣- ١٩١٤م[3] . وحاول فيها الغوص إلى نفسية

---

(١) (السابق) ص ٤٨٢ .

(٢) (السابق) ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ ، ٤٨٥ .

(٣) انظر : ما نشره المازني في دراسته عن ابن الرومي مرة أخرى في كتابه " حصاد الهشيم " ط٣، مطابع الشعب ، القاهرة ، ص ٢٣٢، وباب (نوابغ العالم) ، مجلة " البيان " ع ٢ و ٣ ، =

الشاعر ، وتفسير سلوكه وعاداته ، ورصد أثر هذه الأشياء وتتبعها على شعره وإبداعه الفني ، مستعيناً بالتحليل النفسي ، وعلم وظائف الأعضاء(١) .

وقد جعل المازني لدراسته هذه مقدمة أفاض فيها الحديث عن الطريقة المثلى للكتابة عن سيرة العظماء . فالإنسان – في رأيه – مفطور على حب التأريخ والترجمة ، وهذا ميل مركب في السلائق ، ورأى أيضاً أن العرب قصّروا أشدّ التقصير في ترجمة شعرائهم ، فأهملوا أمثال ابن الرومي وغيره من الشعراء ، ولم يأتوا بشيء يضارع الغرب من حيث التحليل الأخلاقي ، وتصوير النفس(٢) .

كذلك نشر أحد النقاد ، ولم يفصح عن اسمه في " البيان " مقالاً بعنوان : (أهل المذهب الجديد في الأدب المصري) جعلها مقدمة لما سيكتبه فيما بعد عن الشخصيات المعاصرة في مصر(٣). وقد وضح فيها أسباب ضعف الحركة الفكرية الجديدة في مصر - في ذلك الحين - وسخرية الجمهور من أهل التفكير الحر الجديد ، وسيطرة أصحاب الفكر القديم على الساحة الأدبية .

وقد عزا ذلك إلى عوامل نفسية ومظاهر خلقية فاشية بين أهل التفكير والآداب وأشهرها علة التحاقد(٤). ثم تحدث بعد ذلك عن طريقته في الكتابة عن أهل المذهب

= س٢ ، ١٩١٢م ، ص ٧٤ وما بعدها ، و(السابق) ع ٥ و ٦ و ٧ ص ٣٦١ وما بعدها ، وع٥، س ٣ ، ١٩١٤ م ، ص ٣٠١ وما بعدها .

(١) الأمين : (السابق) ص ٢٠١ .

(٢) انظر : ع ٢ و ٣ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٧٦ .

(٣) كاتب هذا المقال هو نفسه صاحب (روح الطفولة في الأدب المصري) . وقد ذكرتُ في (الباب الثاني) في موضوع (مواجهة " البيان " للجريدة في قضية تمصير اللغة) أنه ربما كان للعقاد هذا المقال ، وخاصة إذا ماربطت هذه المقالات بكتاب العقاد " شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي " الذي تتبع فيه آثار البيئة في الأنتاج الأدبي .

(٤) انظر : ع ٧ و ٨ ، س ٤ ، ١٩١٦ م ، ص ١٩٢ – ٣ .

الجديد ، قائلاً : ((هذا ونحن منتقلون إلى تحليل شخصية كل كاتب منهم في أسلوبه وتفكيره وآثار ذهنه ، وواصفون أثر الخلق والمزاج في كتابته وتواليفه))(١) .

وكانت أول شخصية تناولها بطريقة التحليل النفسي هي أحمد لطفي السيد في مقال بعنوان (كتّاب العصر)(٢) ، وقد رأى :

١ - أنه ليس للسيد مبادئ فلسفية ، وقواعد فكرية ، وهو الذي ترجم من قبل فلسفة أرسطو ، واستمد روح التفكير المنطقي عن " مونتان " . ولم يقف جهده وحياته على فلسفة فكرية جديدة نادى بها ، فكل ما نطق به أصح بأن يطلق عليه مبادئ سياسية لا فكرية ، سواء كانت من تمصير اللغة ، أو الاستقلال والانفراد عن العصبية الدينية ، والعض بالنواجذ على العصبية الجنسية ، وهذا يرجع في رأي الناقد إلى المناقضة الغريبة الموجودة في تركيبة شخصية السيد ، فهو يعيش بروح رجل متوسط ، وذهن رجل ذكي متوقد ، وكثيراً ما يصطدم ذكاء ذهنه بعادية روحه ، فتهزم أحدهما الأخرى ، والروح أعمق أثراً في الإنسان من ذهنه ، ولذا لم يؤت السيد العظمة النفسية والإرادة القوية التي لابد منها للعظماء(٣) .

٢ - أن فضيلة أدب السيد كلها في أسلوبه ، وهو يغلب عليه الشاعرية وإن كان خلواً من أساليب البلاغة ، فكثيراً ما تعتريه الروح الخطابية وقد أرجع الكاتب السبب في هذا إلى تأثير وظيفته في المحاماة على مادته الكتابية ، وقال عنه : ((فكأن كل موضوع أدبي لديه قضية في ساحة المحكمة ، إذ يأخذ في شرح دعواها وتفصيل وجوهها ، والخروج منها بالتفكير المنطقي إلى الغاية التي يتوخاها . وذلك يجعل أسلوبه متفككاً مضطرباً ضعيف الأعصاب ، ولكنه لا يستطيع أن يغالب ذلك أو

---

(١) (السابق) ص ١٩٥ .

(٢) انظر : ع١ ، س ٦ ، ١٩١٧م ، ص ٥ وما بعدها .

(٣) انظر : ع٢ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ٥٢ - ٥٣ .

يحول دونه ؛ لأن صناعته التي عاش الدهر الطويل عليها ، ... تأبى عليه إلا أن يحتفظ بمادتها في أسلوبه ومناحي كتابته ، وتصر على أن يظل بلفظه « المحامي » في تفكيره))[1] .

كما جعل العادة باعثاً آخر غير الصناعة من حيث شدة تأثيرها على الروح . إذ اعتاد السيد أن يكتب وسط محضرٍ كبير من الزوار ، حتى أن مقاله الواحد يحوي صوراً عدة من الضوضاء التي كانت حوله وهو مسترسل في كتابته[2] .

وهكذا يتضح أن كـتّاب هذه المقالات النقدية اعتمدوا في دراساتهم عن الشخصيات الأدبية على التحليل النفسي ، ووجهوا عنايتهم إلى أهمية أثر البيئة ، والصفات الشخصية ، والوراثة ، والصحة النفسية والعقلية والجسدية والثقافية ، والمصادر المختلفة . وقد عُدّت هذه الدراسات فيما بعد فتوحات جديدة في عالم النقد الحديث[3] .

٤ ـ أساليب الكتابة :

وجدت دعوة الرومانطيقيين إلى البساطة وتجنب الزخرف ، والألفاظ الضخمة الطنانة صداها عند كتاب " البيان " فعالجوا قضية أساليب الكتابة من خلال هذا المنظور، كذلك برز في مقالاتهم تأثرهم الواضح بالنقد العربي القديم[4] . فنشر شكري مقالاً بعنوان (الجاحظ والصابي) تحدث فيه عن الفرق بين أسلوب الكاتبين ليصل إلى الخطأ الأسلوبي ، وتعلق كثير من كتاب ذلك الوقت بالصنعة البيانية التي لا تناسب الكتابة الحديثة ، إذ رأى :

---

(١) (السابق) ص ٥٤ .

(٢) (السابق) ص ٥٥ .

(٣) انظر : خلف الله ، محمد : " من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده " ط ٣ ، دار العلوم، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٣٣ ، ٤٧ .

(٤) الدسوقي ، عمر : " في الأدب الحديث " ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

١ - أن الأساليب تسير مع الأيام ، وتتغير بتغير الزمان والمكان ، فأسلوب الجاحظ وابن المقفع (ت ١٤٣هـ) فيه حلاوة الطبع ، وهو أشبه بلهجة العرب ، وأفصح من أسلوب الصابي (ت ٣٨٤هـ) وابن العميد (ت ٣٦٠هـ) مع ما في كلامهما من حلاوة الصنعة ؛ فقد كانا من كتّاب الدولة وأرباب السياسة ، فاضطروا إلى الغموض لحاجة من حاجات السياسة .

٢ - أن للطبع صنعة وهي صنعة ذوق وسليقة لا صنعة رصف وتنميق ، وهي ليست أقل حلاوة من صنعة الرصف ، كالجاحظ فلم يتكلف الفصاحة ، ولكنه أصابها مع توفية المعنى نصيبه من اللفظ ، أما الصابي فقد كانت له حلاوة الطبع ، إلا أنه تكلف الفصاحة ، وسيطرت على أسلوبه صناعة الرصف ، وعادة لا يسلم فيه صاحبه من الفساد ، والإطالة المقبوحة ، واختلال المراد من ذكر ما لا يراد(١) .

٣ - دعا شكري صراحة الكتّاب المعاصرين إلى تمثّل الفصاحة العربية في الكتابة ، والعودة إلى حلاوة الطبع والذوق ، والانصراف عن صنعة الرصف ، التي تكلفها معاصروه ، قائلاً : ((ولكن لم يعرف الصابي وذووا مذهبه أن سيأتي بعدهم أدباء ينهجون نهجهم وليس لهم من سلامة الطبع وبداوة القول ورجولته ما كان لأسلافهم فيستخدمون المحسنات البديعية استخداماً يجعلها مساوئ فإن مجيء هذه المحسنات عفواً حسن لا بأس به ، ولكنهم جعلوا يدخلونها كلامهم كما يدخل الجرذ في مصيدته ، أي بالخديعة والدهاء ويجذبونها إليه كما تجذب القط من ذيله إذا تشدد فيضطرب انسجام كلامهم ويعوّج أسلوبهم))(٢) .

كما أبرز المازني آراءه النقدية في الأساليب في مقالة له بعنوان (أساليب الكتابة) وجهها إلى محمد حسين هيكل ، الذي نعى على كتّاب مجلة " البيان " اختلاف أساليبهم ، وفخامة تراكيبهم ، وعدولهم عن مذاهب السهولة ، وقد أخذ عليه المازني

(١) انظر : باب (مقالات في الأدب) ع١ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٧٠٠ - ١ .
(٢) (السابق) ص ٧٠٢ .

رأيه هذا الذي يقول بأنه فرض على كل كاتب واجب الأداء أن ينزل في أسلوبه إلى درجة البسطاء والعوام . فرد عليه المازني بأن لكل مقامٍ مقال . ولكل صحيفة قراء فالكاتب لا يستطيع أن يولج المعنى أفهام القراء مهما تبذل في أساليبه فالعمل في الكتابة الأدبية يجب أن يكون اعتماد الكاتب فيه على جودة الألفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف[1]. ثم يقول : ((ألا ترى لو أن رجلاً أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر ، وفي الإقدام بالأسد ... فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة ، والعذوبة والطلاوة ، والسهولة والحلاوة ، لم يكن للمعنى قدر . وعلى قدر تفاوت اللفظ يتفاوت حسن المعنى . انظر إلى قول المتنبي في استعطافه المشهور :

كيفَ يتمُّ بأسُكَ في أُناسٍ تُصيبُهُم فيؤلُمكَ المُصَابُ))[2]

ويتجه المازني إلى تطبيق مفاهيمه عن الأساليب في مقالة أخرى نُشرت في السنة الثالثة بعنوان (جرجي زيدان) فهو يراه من عامة الكتاب عبارةً ، ومن سوقتهم لفظاً ، وليست مؤلفاته من الإبداع والحسن ، ثم ينعي على زيدان وأمثاله – رأيهم – بأن كاتب العلوم حسبه في شرحه للمسائل العلمية والفلسفية أن يفضي بمعانيه إلى القارئ ، وليس من الضروري استجلاء الفصاحة العربية في كل لفظة ، لأنها من صناعة الأدباء[3]. وقد وصف رأيهم بالسخف الخالي من عمق النظر ودقة الفكر ؛ لأنهم ((حسبوا الأسلوب ثوباً للمعنى وزينة لا جسماً حياله ارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ... ونسوا أن العبارة إذا اختلت وأخذ الضعف والعي والركاكة والاستبهام بمخنقها نبا عنها الفهم وسئمتها الطباع))[4].

---

(١) انظر : ع ٨ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٥٣٦ – ٧ .

(٢) (السابق) ٥٣٩ .

(٣) انظر : ع٦ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٣٨٧ .

(٤) (السابق) ص ٣٨٧ – ٨ .

ثم ذكر أن الأساليب الكتابية تختلف عند أرباب العلوم عنها عند الأدباء ،فلا يشترط لديهم فخامة الكلام وجزالته ، إنما يجب أن تكون ألفاظهم مهذبة وأساليبهم واضحة وديباجتهم مشرقة . وأن يعبروا عن معانيهم بأوضح العبارات ، وأفصح الألفاظ، فليست البلاغة – كما يتوهمون – منافية للسهولة ، وعلل ذلك بقوله : ((ولغة الكتابة في كل أمة غير لغة العامة ، وغير لسان التحادث والخطاب ، ولكنها لغة تناسب رفعتها رفعة المعاني وشرف العقل ... وأحرى بمن يكتب تاريخ أدب اللغة أن لا تعلق بعبارته ركاكة ولا يرتمي عليها للابتذال ظل ! "(١).

وانتقل المازني من طرح آرائه بصورة عامة عن أساليب الكتابة العلمية إلى نقد أسلوب زيدان الأدبي في رواياته فذكر أنها مشوشة ومضطربة على خلاف القاص الإنجليزي ولتر سكوت (ت ١٨٣٢م) الذي كان سريعاً في كتابة قصصه ولكنه ذو سليقة ، أما زيدان ، فليس له طبع يخدمه ، وهو في رأيه لم يعن باللغة ولا بالقصة(٢) .

وخلاصة القول أن مجلة " البيان " كانت أولى الصحف الأدبية التي أسهمت بقوة في تغيير الحاسة النقدية من خلال تفهمها لكل الطاقات المبدعة والمجددة للشباب المتطلع – إبانئذٍ – وخاصة الثلاثي الشهير شكري والمازني والعقاد ، وهؤلاء الذين حملوا هَمّ تغيير كثير من الترسبات الذهنية في الأدب الحديث ، المستمدة موضوعاته من روح الماضي وصوره القديمة ، وعدم تطلع الأدباء إلى الابتكار والتجديد في أغراضهم ومعانيهم وأساليبهم . وقد ظهرت تصوراتهم الجديدة في النقد من خلال مطالعاتهم للأدب والنقد الإنجليزي ، وتوغلهم في قراءة الأدب العربي القديم ونقده . وأدى هذا التزاوج الثقافي إلى صحوة عقلية ، ودراسات في مجال الإبداع الفني والنقدي على

---

(١) (السابق) ص ٣٨٨ .

(٢) (السابق) ص ٣٨٩ .

صفحات " البيان " ، وهي قضايا مازالت لها أهميتها عند دارسي الأدب والنقد إلى وقتنا المعاصر ، وأساساً لكثير من القواعد النقدية الحديثة .

ولابد من الإشارة أيضاً إلى تأريخ هذه المقالات التي ظهرت بدءاً في " البيان " منذ عام ١٩١١م ، أي قبل إصدار كتاب " الديوان " عام ١٩٢١م ، الذي أحدث نقلةً في المناخ الفكري السائد في مصر . وبذلك فالبيان في هذا الموقع مثلت الإرهاصات الأولى لهذا الكتاب ، بل أسهمت - في تقديري - في ظهوره من خلال كل الآراء الجريئة المطروحة على صفحاتها سواء كانت نظرية أو تطبيقية على الأدباء العرب في العصر القديم أو الحديث كجرجي زيدان ، وأحمد لطفي السيد ، وحافظ إبراهيم . وبهذا فالبيان تعد أقوى الصحف وأكثرها جرأةً - إبانئذٍ - على نشر أفكار أهل المذهب الجديد في الأدب ، والتي وجدت صداها بعد ثورة ١٩١٩م ، وصدور " الديوان " .

وقد اتضح من مقالاتهم التي سبق ذكرها أن أهم ما طالبوا به ، التالي :

١ ـ أن يكون الأدب مطبوعاً ، فعلى الأديب أن يأتي بتجربته الأدبية صادقة ونابعة من إحساسه وشعوره الفني وثقافته المتنوعة ، وأن يبلغ المدى بخياله الواسع حتى تتولد لديه المعاني ويأتي بالمبتكر الجديد .

٢ ـ أن تتخلص أساليب الكتابة العلمية والأدبية من براثن الصنعة المتكلفة ، التي قد تحبس الإبداع، فحلاوة الطبع لا تنفي الفصاحة ، وإجادة الألفاظ وحسن التأليف .

٣ ـ العناية بالخيال ، فقد عالج عبد الرحمن شكري والذي ظهر ناقداً في السنة الأولى من " البيان " قبل أن يبرز شاعراً على صفحاتها قضية الخيال من منظور رومانطيقي فكتب لأول مرة في اللغة العربية عن الفرق بين تصوير الخيال وتصوير الوهم .

٤ ـ أن يعتمد الناقد في دراساته للشخصية الأدبية على منهج " التحليل النفسي " وقد بدأها المازني في مجلة " البيان " من خلال دراسته لابن الرومي ، ولعله هو الذي نبه العقاد إلى هذا المنهج في دراسته عن " ابن الرومي ، حياته من شعره "(١) .

---

(١) انظر : خلف الله : (السابق) ص ١٨٤ .

٥ - ظهور « الفكرة المصرية » قبل ثورة ١٩١٩م ، من خلال مقالات متسلسلة استهلها العقاد بعنوان (الأديب المصري) تعجب فيها من مسلك الأدباء في مصر، فذكر أن فيها قراء عصريين ، ولكن صلتهم بالأديب العصري مفقودة(١) ، وهذه المقالة وما نشر بعدها بعنوان (روح الطفولة في الأدب المصري) و (أهل المذهب الجديد في الأدب المصري) ظهرت في ثناياها محاولة لم شتات الأدباء المصريين ضمن قاعدة موحدة ونظام يجمعهم تحت وطأة مذهب واحد ، وذلك ليخرجوا من عزلتهم الثقافية عن آداب الأمم الأجنبية ويتصلوا بها(٢) .

ولم تكتف " البيان " بنشر الآراء النقدية لكتّابها المعاصرين ، بل احتفت ونوهت أيضاً بإبداعاتهم في مجال تأليف الكتب الأدبية الإنشائية ، ذات الطابع الوصفي والخيالي ، كما سيتضح لاحقاً .

---

(١) انظر : ع ٨ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٤٥٦ - ٧ .

(٢) سيطرت " الفكرة المصرية " ، على وجدان مثقفي مصر بعد ثورة ١٩١٩ م ، فأرادوا من الشاعر أن يعبر عن وجدان الأمة المصرية ، فالشعب لديهم الخامة الأساسية للشعر المصري ، فبرز العقاد بانتقاده لشعر شوقي بأن شعره لا يعبر عن الإنسان المصري . انظر : أ .عوض ، والفارابي : (السابق) ص ٢٤٤ .

٢ ـ الكتب :

أولت مجلة « البيان » اهتماماً بنشر فصول أو موضوعات من بعض الكتب المعاصرة لها ، ذات الطابع الإنشائي الأدبي خاصة ، وما يهدف إلى تربية الخيال وغرس الأفكار الخلاقة . فقدمت للقراء عدة فصول من كتاب " المساكين " للرافعي وهي : التعاسة ، ترجمة مجنون ، مسكينة مسكينة ، الحرب . وقبل ذلك قامت المجلة بالتقريظ للكتاب وتمجيد مؤلفه ، الذي لقبته بنابغة الأدب العربي ؛ لأنه جمع بين البحث والتفكير والنظم والنثر . وقيمة هذا الكتاب – في رأيها – أن مؤلفه يكشف به للقراء عن حقيقتين غامضتين في الحياة وهما الغنى والفقر ، وقد أراد أن يؤاخي بينهما في كتابه كخصمين متنافرين في الإنسانية[١] .

كما نشر عبد الرحمن البرقوقي على صفحات بيانه رسالتين من كتابه " حضارة العرب في الأندلس " وهما الرسالة الأولى وعنوانها (من الإسكندرية إلى المرية) والأخرى (من المرية إلى قرطبة) ، وقد استخدم مؤلفه أسلوب الحكاية في سرد تاريخ الأندلس ، وعلومها ، وآدابها ، واعتمد هذه الطريقة دفعاً لملل القارىء أحياناً من الأسلوب التقريري ، ولعله أراد أن يجدد في طريقة الكتابة للتاريخ ، وذلك بإعتماده على أسلوب القصص الذي يتميز بالإثارة والتشويق[٢] .

كما عّفت القراء بكتاب " مذكرات إبليس " للعقاد وقالت عنه : ((هي رسالة انتقادية ضافية للكاتب عباس محمود العقاد تناول بها أغراضاً شتى من النقد الأدبي والأخلاقي والاجتماعي بأسلوب خيالي شائق))[٣] .

---

(١) ع ٦ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ١٦٥ ـ ٦ .

(٢) انظر : ع ١ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٣٣ .

(٣) ع ١ ، س ٢، ١٩١٢م ، ص ٩٧ .

ومنبع الخيال في هذه الرسالة ما تخيله العقاد بأن له شيطاناً لشعره ، واسمه حاذق ابن واثق ، الذي أعطى العقاد ما كتبه إبليس عن سيرة حياته في دفتر ذكر فيه غواياته ووقائعه مع مريديه وزمرته ، بلغة الجن رقمت حروفه بمداد من ماء النار على صحائف من أوراق شجر الزقوم[1]. وقد نشرت البيان منها موضوع (إغواء فتاة) التي صور فيها العقاد مداخل إبليس إلى النفس البشرية الضعيفة ، قائلاً على لسانه : ((فلما نهضت مريم تخطر إلى المرآة قلت لقد سنحت الفرصة وقضي الأمر . وأقبلت عليها أقول : " تبارك الله " ما هذا الجبين الساطع ، والوجه البارع ، والحسن الرائع !! على مثل هذا الجمال فلتتقطع قلوب الرجال حسرة ، ومن مثل هذا الرواء فلتتحرق صدور النساء غيرة، ووالله ما هما إلا صورتان فازتا بمعاني الحسن وسماته . هذا المحيا في عالم الشهادة، وذلك المثال في عالم الخيال . فتبسمت الفتاة وترنح عطفاها . وأنشأت تجيل في المرآة نظرات كانت قبل اليوم تلحظها من سواها ولا تفقه معناها ، فأخذت اليوم تتعلم كيف ترمي ، وتنظر أي الرميات يوجع وأيها يدمي، وأي السهام يخطي وأيها يصمي))[2] .

إلى جانب ذلك نشرت " البيان " أيضاً قطعاً إنشائية وصفية فقدمت للرافعي من كتابه " حديث القمر " مناجاته بعنوان (أيها القمر) مع مقدمة الكتاب ، وحظي هذا الكتاب بتقريظين من صاحب المجلة في العدد الأول من السنة الثانية ، نوه فيهما بأهميته وفوائده لطلبة الإنشاء الذين يريدون أن يكتسبوا ملكة صحيحة من النقد وصحة النظر وسمو الفكرة ؛ لأنه مكتوب على طريقة لتربية الخيال والفكر[3].

---

(١) يلاحظ مدى تأثر العقاد في كتابه الآنف الذكر بمصادر الثقافة العربية وخاصة برسائل ابن شهيد الأندلسي (٤٢٦هـ) " التوابع والزوابع " .

(٢) (السابق) ع ٤ ، ص ١٤٩ .

(٣) انظر : ع ١ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ٣٣ ، ٣٩ . وانظر : باب (النقد والتقريظ) ، (السابق) ص ٤٨ .

وعرضت للشاعر عبد الرحمن شكري قطعة وصفية من كتاب له قبل أن يطبع بعنوان " رسائل الحب " وأهمية هذا الكتاب في مقدمته ، التي نشرتها المجلة أيضاً ، وفيها أظهر فلسفته نحو الألفاظ والمعاني ، ومن أجلها ألف رسائله تلك ، وأبدى فيها تأثره الحقيقي بالمذهب الرومانطيقي وأهمية استجلاء العواطف والمشاعر الجياشة في كل أدب يكتب ، يقول : ((إن العواطف لا الآراء هي القوة المحركة في الحياة ومن أجل ذلك ينبغي أن لا يكون أدب اللغة ألفاظاً ميتة بل ينبغي أن يكون كالكهرباء يسري في النفوس فيزيدها قوة .

إن أدب الأمة في دور قوتها يظهر لك صفات القوة التي في عواطف نفوس أفرادها ، ولكن أدب الأمة في دور ضعفها ألفاظ ميتة وتصنّع فاتر ، ومن أجل ذلك كنا أحوج الناس إلى أدب يزيل عن نفوسنا ما يعلوها من صدأ الدهور ويقوي عواطفها .

هذا الذي دعاني إلى تأليف كتاب رسائل الحب وشرح عاطفته))(١) .

وبهذا تبين أن مجلة " البيان " نشرت من بعض الكتب ما يوافق منهجها من حيث الأسلوب البياني الأدبي وما استحكمت فيه الصنعة إلى جانب الصور الخيالية ، مع عرض الأفكار الهادفة ذات الإفادة والتأثير في القارىء .

ثم إنها في هذا المجال لم تعرف قراءها إلا بمؤلفات كتاب المجلة المعروفين ، الرافعي والعقاد ، وشكري ، والبرقوقي ، إلا أنها مالت كثيراً صوب الرافعي ، فعرفت تقريباً بأشهر كتبه التي أصبح لها مكانتها في الساحة الأدبية المعاصرة بعدئذ ، وقد تناولها البرقوقي بالتقريظ ، مثل كتابه " تاريخ آداب العرب " الذي نشرت منه الفصل الخاص بإعجاز القرآن ، و" حديث القمر " و " كتاب المساكين " .

---

(١) ع ٦ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ١٧٦ - ٧ .

وهكذا ينتهي الفصل الثاني من الباب الرابع ، وقد اتضح فيه أن أهم ما أدته "البيان" في هذا المجال هو تغيير الحاسة النقدية على نحو ماذكر منذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين بفضل تبنيها لأقلام الشباب شكري والعقاد والمازني . وهؤلاء الذين بالفعل مثلوا الأصالة والمعاصرة من خلال ثقافاتهم المتعددة العربية الأصيلة والأدب والنقد الإنجليزي ، وهم الذين قادوا حركة التجديد في الأدب الحديث ، وقد ذاعت نظرياتهم ورؤاهم النقدية بعد ذلك في سائر الوطن العري كله .

ومن ثمّ ننتقل إلى الفصل الثالث والأخير ، وهو عبارة عن قضايا معاصرة لمجلة "البيان" تعايشت مع أحداثها وشاركت بأرائها فيها ،إما عن طريق ماكتبته الأقلام البارزة في مجال الصحافة والأدب ،أو ماكتبه "قلم التحرير" الذي لم يكتفِ بنشر آرائه المتعددة بين صفحاتها بل قام بتأليف الكتب منها كتاب "تاريخ الحرب الكبرى". وهذه القضايا ماهي إلا موضوعات متناثرة جُمعت وجُعلت في موضوع متكامل وهي عن : أدب الحرب ، وأدب الفكاهة ، والمرأة ، ونقد الصحف والصحافة في مجلة "البيان" . وفي تصوري لا يكتمل الحديث عن الموضوعات التي طرقتها المجلة ، وأنواع المقالات التي عنيت بنشرها دون الإشارة إليها(١).

---

(١) انظر : ماتقدم ذكره عن أسباب وضعنا للفصل الثالث "قضايا البيان"في توطئة هذا الباب .

الفصل الثالث

قضايا البيان

١ - « البيان » وأصداء الحرب .

٢ - « البيان » وأدب الطرفة والفكاهة .

٣ - « البيان » وقضية المرأة .

٤ - « البيان » ونقد الصحف والصحافة .

١ - « البيان » وأصداء الحرب:

يدور هذا المبحث في فلك أزمات الحرب العالمية الأولى ، وفي أثناء اشتعال جذوتها في أوربا عام ١٩١٤م ، ولقد تفاعلت " البيان " مع أحداثها من خلال نافذتها الصحفية ، فاجتهدت في البحث عن أسباب صانعيها في أهم عمل جليل قدمته عن الحرب على صفحاتها ، فكان كتاباً قام بتأليفه قلم تحرير " البيان " بعنوان " تاريخ الحرب الكبرى " والغرض من إصداره كما ذكرت أن يضم بين دفتيه أصدق تاريخ لتطور الغرب منذ منتصف القرن التاسع عشر في فروع الأدب والاجتماع والفلسفة والتربية والتسليح والاختراع والسياسة ، ثم البحث في عوامل اصطدام المبادئ السياسية والحربية والفلسفية التي تمخضت عنها الحرب الكبرى ، مع اعتمادها على تنويع مصادرها مستمدة من أعلام كتاب الغرب سواء كانوا أدباءً أو فلاسفةً أو اجتماعيين أو قواداً وسياسيين .

وقد اتبعت فيه " البيان " تقسيماً علمياً ، فجعلته في كتابين الأول بعنوان : " قبل الحرب " وهو يتحدث عن التطور الغربي وإفضائه إلى هذه الحرب ، أما الثاني : فأرادت أن تشرح فيه الأسباب المباشرة للحرب ومجرياتها وحوادثها ووقائعها ولكن لم تتم نشره، بل عرضت منه على قرائها الباب الأول من الكتاب الأول بعنوان (الحرب والمبادئ) وقد قُسِّم إلى خمسة فصول ، وهي عن : الحرب والسلام ، الروح الحربية عند الألمان ، روح الغرور عند الألمان ، روح الفردية المطلقة في ألمانيا ، الصدمة الكبرى بين مبادئ الإنكليز ومبادئ الألمان(١). ثم الباب الثاني منه وأسمته : (الممالك المتحاربة في تطوراتها الحديثة) وهو يحوي ثلاثة فصول : فرنسا الحديثة ، وفرنسا و آدابها ، روح العمل والنجاح في فرنسا(٢) .

---

(١) انظر : ع ٥ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ١ (مستقلة)

(٢) انظر : ع ١ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ٤٩ (مستقلة)

ولم يكن هدف قلم تحرير " البيان " من الكتاب الآنف الذكر مجرد عرضه آراء فلاسفة الغرب ، أو إبراز قدراته الثقافية المتشعبة ، إنما رأى أن دور " البيان " أخطر من ذلك في محاولة تنوير عقول الشرقيين فيما كان يجري في الغرب قبل الحرب من عوامل وما يموج به من مبادئ ونظريات وتطورات وأدوار ، أفضت إليها . وذلك باتباع طريقة مغايرة في التأليف لتاريخ الحرب لا من حيث الوقائع ومجرياتها كما كان قديماً .

وسبق أن أعلنت " البيان " مراراً عن رأيها في هذا الموضوع بشكل نظري في السنة الأولى ، ثم حولته إلى عمل تطبيقي بعد ذلك من خلال تأليفها لكتاب " تاريخ الحرب الكبرى" بدءاً من الباب الأول(١) . الذي استهلته بتحليل مسببات تشبث الإنسان بالحرب ، وجهاد العالم من أجله وفيه الشر والبلاء الأكبر على البشرية ، من وجهة نظر فلسفية خاصة بمنطق المجلة ، فقالت : ((إن في الحياة الإنسانية قوى وعناصر وبواعث ومبادئ تهزأ أبداً بحجج العقل ، ولا تحفل ببراهين المنطق ، ولا تستمع لصوت المصلحة ـ خلاصتها أن الإنسان لن يعيش على الخبز والماء فقط ؛ هذه هي الفكرة التي تدفع الأمة إلى الحرب ... كما تسوق الكيماوي إلى عالم الديناميت وأخطار الغازات والمفرقعات والأحماض ؛... وليس لإصرار الإنسانية على الحرب إلا سبب واحد هو أن الحرب تهبها قوة ، هي عندها فوق الصناعة ، وفوق المناعم الاجتماعية لأنها القوة التي ترفعها فوق نفسها ...))(٢).

ثم مثلت لذلك بعوامل الروح الحربية عند الألمان ، فذكرت أن سبب إذكاء هذه الروح في نفوس أبنائها يتحمله الفلاسفة والمؤرخون والعلماء والشعراء والسياسيون والعسكريون ، إذ أصبح هناك بفضل هؤلاء تيار فكري يسري في كل شارع ومنزل ،

---

(١) ع ٨ ، س ٣ ، ١٩١٤ م ، ص ٣٤ (مستقلة) . وانظر : الباب الثاني : الفصل الخاص عن (مفهوم التاريخ لدى البيان) .

(٢) ع٥ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٦-٧ (مستقلة) .

استهوى أذهان الشبيبة الألمانية ، وكان الفيلسوف نيتشه - في رأيها - من أكبر دعاة القوة الألمانية ، وواضع مذهب الإنسان الأعلى . فحث على الشجاعة ودعا إلى الحرب وعشق القوة ، ومقت الضعف .. ومن تلامذته الفيلسوف برناردي والذي كان لكتابه " البيولوجيا والحرب " هزة كبرى في كل ممالك الغرب ، لأنه وضع فيه روح ألمانيا(١) . وقد اقتطفت " البيان " مما كتبه عن فضيلة الحرب قوله : ((إن تنازع البقاء هو في حياة الطبيعة الأساس الذي ينهض عليه كل تطور صحيح منتعش غير مريض وأن جميع الكائنات الحية هي نتيجة تفاعل القوات ، وليس في التنازع الإنساني للبقاء الهدم فقط بل فيه كذلك عنصر الحياة يقول جوت : ((سواء أتغلب أم تُغلب . ذلك جوهر الحياة والحياة القوية هي التي تظفر بالكفة الراجحة))(٢) .

ولعل البيان أرادت أن تصل من تأليفها لهذا الكتاب إلى قيمة الكلمة التي ينفثها قلم الأديب والمفكر ، ومدى تأثيرها على عقول الناس ، بل والحياة كلها إلى درجة أنها قد تكون سبباً في إشعال نار الحرب .

كما نوعت " البيان " في عام ١٩١٤م أحاديثها عن الحرب من الكتابات الجادة إلى الأحداث الطريفة في باب أسمته (عالم الحرب) وكان حافلاً بأبدع ما حفظ عن الحرب من الشذرات والطرف والمعلومات الغريبة ، والأسرار الدقيقة ، وذلك لتفكهة وتسلية قرائها . فكتبت تحت العناوين التالية : مذكرات سرية عن الإمبراطور غليوم ، والرقص الحربي في روسيا ، مصلحة البريد في ساحة القتال ، أساطيل الشمع والذهب في السفن الحربية الإنجليزية ، عشيقة بسمارك أو رجل الدم والحديد يعشق ، أخاديع الرصاص ...(٣).

---

(١) (السابق) ص ٨ - ٩ .

(٢) (السابق) ص ١٥

(٣) انظر : ع ٦ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٣٩٨ ، و(السابق) ع ٨ ، ص ٤٧١ ، و (السابق) ع٩ ، ص ٥١٩ ، ٥٢١ ، وع ٢ و ٣ ، س ٤ ، ١٩١٥م ، ص ٦٠ - ٦٢ . ضمت « البيان » إلى باب (عالم الحرب) آخر باسم (رجال الحرب) .

واهتمت " البيان "أيضاً بنشر أصداء الحرب عند الأدباء ، فنقلت عام ١٩١٧م بقلم الشاعرالفرنسي بيبرلوتي من كتابه "الحرب" نبذاً من مذكراته ، وقد كتبها عن مواقف يومية حدثت له أو رآها في عامي ١٩١٤م - ١٩١٥م فأثرت في نفسه خلال الحرب كل التأثير ، وقد قالت عنه البيان : ((هو كتاب رقيق ، بل خطاب رجل شاعر أخلق به حمل القلم من امتشاق السيف، يكره الحرب لا جبانة منه وخوفاً ،ولكن سمواًعن سفك الدماءوتعففاً))(١) .

ومن أروع ما نشرته له قطعته الأدبية بعنوان " العصفوران الصغيران " ففي طيات وصفه يبث الكاتب رفضه للحرب يقول : ((ذات مساء وقف قطار مزدحم بالمهاجرين من البلجيك بمحطة من محطات أحد البلاد الجنوبية في فرنسا ، ... وفي غمار هذا الجمع الحزين المزدحم طفلان في بواكر العهد بالحياة ، يمسك كل بيده يد صاحبه ، صبيان غفلان لعلهما أخوان شقيقان ، أما أكبرهما فيجري في الخامسة وما أظن الصغير يعدو الثالثة ، ولم يكن أحد من الجمع في رعايتهما ، ولم يعرفهما في الناس أحد ، ولكن كيف أدركا عندما تولى عنهما الأهل أنهما إذا أرادا من مخالب الموت فراراً فليطفرا إلى هذا القطار .. ذلك سر لا أدركه ... كل ما كانا يطلبانه من رحمة الإنسانية أن يذهب أحد بهما إلى الفراش ، وقد كان ذلك ، فذهبا إلى النوم ، ولكن لا يزال كل منهما يشد على ذراع أخيه ، متلاحمين ، هابطين معاً في لحظة واحدة إلى وادي النسيان الجميل الهادئ ، سبات الأطفال ، الهنيء العميق !!"(٢).

كذلك نشرت في عام ١٩١٧م للرافعي كلمة في وصف الحرب الدائرة آنذاك من كتابه " المساكين " فرأى أن الحرب ضرورة اجتماعية ولن يخلو منها تاريخ الإنسان

---

(١) ع ١ ، س ٦ ، ١٩١٧م ، ص ٩ .

(٢) (السابق) ص ١٠ - ١١ .

إلا إذا رجع الناس أمة واحدة ، كما أنها شرٌّ لابد منه لأنها من عوامل التحليل والتركيب في تاريخ الإنسانية ، وهي بذلك سبب من أسباب استمرارها(١).

وجملة القول أن « البيان » أرادت أن توضح لقرائها من خلال اهتمامها بالحرب ومواضيعها أنها السبب الرئيسي في تقهقر العلم والأدب ، فكلما خطت الإنسانية بفضل مفكريها في طريق الكمال الاجتماعي خطوة واحدة أعادتها الحرب إلى الوراء عدة خطوات، وخير دليل على ذلك الحرب العالمية الأولى والتي عاصرتها « البيان » فكانت سبباً في تبديد أذهان الغرب ، وامتصاص ثرواته ، لأنها حكّمت وحشية الغريزة أمام العقل الإنساني الذي أخفت الحرب صفحاته البيضاء وحسناته ، حيال الصفحة السوداء من ويلات الحرب ومخترعاته(٢).

هذا ، وقد استطاعت البيان بأن تصل القارئ من خلال طريقتها في التأليف لتاريخ الحرب الكبرى إلى أنه بالفعل إفراز اجتماعي قد يكون محتماً أحياناً أو ضرورياً ليصحح الإنسان به نفسه وفكره وشؤون حياته على طريق المستقبل ولكن وفقاً لمقادير الله « عز وجل » قال تعالى : ﴿ **ولولا دَفعُ اللّه النَّاسَ بَعضَهُم بِبَعضٍ لَفَسدتِ الأرضُ، ولكنَّ اللّهَ ذو فَضلٍ على العالمين** ﴾(٣) .

(١) انظر : ع ٨ و ٩ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ١١١ - ٢ .

(٢) ع ٦ ، س ٣ ، ١٩١٤م ، ص ٣٩٠ .

(٣) من سورة البقرة : آية : ٢٥١

٢ـ « البيان » وأدب الطرفة والفكاهة :

يعد الأدب الفكاهي لوناً من الفن له أساليب متعددة في الكتابة ، ولا يتوقف دوره عند الإضحاك فقط ، بل يتجاوزه إلى التقويم والتهذيب والإصلاح[١] . ولذا اهتمت « البيان » بين حين وآخر بنشر بعض النوادر والطرف منذ العدد الأول من السنة الأولى في باب وسمته بـ (الفكاهات والملح) وقد نوعت فيه اختياراتها فمنها ما كان طرفاً أدبية، أو نكات مستملحة أشبه بالمثل السائر ناهيك عن ذلك أنها عددت مصادرها في هذا الجانب[٢] . وهي كالآتي :

١ ـ من التراث العربي :

فكانت كثيراً ما تتحف قراءها بأروع النوادر العربية التاريخية ، وخاصة ما صدرت عن شخصيات أدبية مشهورة بها ، وكتب عنها مؤرخو الأدب . فنشرت في العدد الثاني والثالث من السنة الثانية أحاديثاً شتى لأبي دلامة (ت ١٦١هـ) وأشعب[٣] . وفي السنة الرابعة عن (نوادر أبي دلامة) أيضاً [٤]. وفي السنة الخامسة (فكاهات ونوادر ومختارات في الأدب والتاريخ) وهي عن نبل أخلاق العرب ، وكيف كانوا يكرمون العلماء ويكافئونهم ـ وأوردت كذلك شيئاً من نوادر أشعب[٥]. وفي السنة السادسة كتبت عن (نوادر العميان)[٦]. وفي السنة التاسعة عن (أشعار المجانين)[٧].

---

(١) د . شرف ، عبد العزيز : " الأدب الفكاهي " ط ١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، القاهرة ١٩٩٢م ، ص المقدمة (و) ، ٥ .

(٢) ص ٢٨ .

(٣) ع ٢ و ٣ ، ١٩١٢م ، ص ١١٧ .

(٤) ع ٤ ، ١٩١٥م ، ص ٢٤ .

(٥) ع ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٧٦ وما بعدها .

(٦) ع ٧ ، ١٩١٨م ، ص ٢٢١ .

(٧) ع ٤ ، ١٩٢١م ، ص ١٨٩ .

ومما أوردته من النوادر التراثية لأبي دلامة ، قولها : ((وخرج أبو دلامة مع المهدي في مصادٍ لهم فعنا لهم ظبي فرماه المهدي فأصابه، ورمى علي بن سليمان فأخطأ وأصاب الكلب فضحك المهدي ، وقال لأبي دلامة قل فقال :

قد رمى المهديّ ظبياً شَكَّ بالسهم فُؤادَه
وعليُّ بن سليما ن رَمى كلباً فصَادَه
فهنيئاً لهما كل امرئٍ يأكلُ زادَه))(١)

٢ ـ فكاهات غربية :

نشرت « البيان » المترجم من الفكاهات والنكات الخفيفة في عدة مواضيع بعنوان (نوادر الأطباء)(٢) ، (فكاهات غربية)(٣) ، (التصوير المضحك والنقد العجيب) لكارليل الذي ألف صوراً مخترعة ومضحكة عن كبار كتاب وشعراء أبناء عصره، اقتطفت «البيان» جملة منها لتفكهة القراء والترويح عنهم : « قال عن الشاعر بيرون وهو هو ومكانه في طليعة شعراء الأرض ، بيرون ولد رقيع اتخذ الحزن « عياقة » والهموم زياً من الأزياء المستحدثة ! ... الشاعر كولردج – نفس يائسة لا أمل لها ، ولا شغل إلا الوعظ. وقال عن ثكري - وهو من أكبر كتاب إنكلترا المعدودين - رجل متوحش عياط ، جائع ...»(٤) .

٣ـ نحو فكاهة معاصرة :

وقد أشرنا إلى أجزاء من هذا اللون ، وفيه امتزجت الفكاهة بالسخرية والفلسفة(٥). وأشهرها كانت سلسلة مقالات لعباس حافظ (صورة هزلية من أخلاق

---

(١) ع ٢ و ٣ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ١٢٠ .
(٢) (السابق) ع ٥ و ٦ و ٧ ، ص ٢٤٦ – ٧ .
(٣) ع ٤ ، س ٩ ، ١٩٢١ م ، ص ١٧٨ .
(٤) ع ٨ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ٢٣٠ – ١ .
(٥) انظر : ماورد ذكره عن المقالة (القصصية) .

الناس) وقد دعا في أول كلمة له إلى الضحك والاجتهاد فيه، قائلاً : ((الحياة أضحوكة أيها الناس ، وأبدعكم من كان أشد إضحاكاً من الجميع ، والهازئ بالحياة أصلح لها من المقطب لها الجاد في الحرص عليها ، والابتسامات ألطف من العبرات ، وخير للإنسان أن يكون مضحكاً من أن يكون « كابوساً » وأن يكون مفرقعاً من أن يكون « سائلاً » لأن الضحك ليس إلا فرقعة من مفرقعات العواطف))(١) .

كما نشرت في هذا الجانب عدة مقالات أوحت موضوعاتها بالطرفة والفكاهة فكان مقال (التطفيل) تحدث فيه كاتبه عن فن صناعة التطفيل(٢) . ومقالة (اختراع التقبيل) لعبد الرحمن شكري ، إذ رأى فيها أن في القبل من بيان المنطق وفصاحة القول وبلاغة التعبير وشرف الخيال وشتى المعاني ما يعجز أن يأتي بمثله شكسبير أو ابن الرومي والمتنبي ، وهي لغة النساء الخاصة ، فوحدهن اللاتي يفهمنها ، فقال : ((إذا رأيت امرأة تقبل امرأةً أخرى فاعلم أنها تحبها حباً صادقاً أو أنها تكرهها كرهاً شديداً ... والقبل إشارة لا يعرف سرها مثل النساء كما لا يعرف سر إشارة الماسونية مثل الماسونيين))(٣).

كذلك اتحفت قراءها ببعض الملح الواقعية المستطرفة التي حدثت لبعض الكتاب المعاصرين ، فنشرت لسليم سركيس (فكاهة الفاكهة) . وللكاتب محمد صادق عنبر (غباوة الخدامين) وقد توخى فيها التعبير العامي لتقرب من أفهام العامة . ومما وقع له قوله: ((سألت خداماً هل أنت شرقاوي فقال لا بل أنا مسلم . وقلت لخدام يلزم أن يكون كل شيء مغسولاً بالصابون قبل وضعه في السفرة فغسل العيش بالصابون))(٤).

ومما سبق يبدو أن مجلة " البيان " هدفت من عرضها لبعض المقتطفات المتنوعة من أدب الطرفة والفكاهة التخفيف من حدة الأوضاع الاجتماعية في نفوس قرائها بسبب الحرب . كذلك فإن بعث روح الطرفة في نفوس القراء من شأنه أن يريحهم

---

(١) ع ٤ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٦١ .

(٢) المقال غفل من التوقيع ، انظر : ع ١ ، س ١ ، ١٩١١م ، ص ٢٨ وما بعدها .

(٣) (السابق) ع ٩ ، ص ٥٨٦ .

(٤) ع ٤ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ١٨٨ - ٩ .

نفسياً مما قد يعتريهم من الملل لطول النظر في المباحث الجدية(١) . أضف إلى ذلك سبباً آخر أقوى من سابقه وهو رغبتها في إشاعة أدب الطرفة والفكاهة في عصرها الحديث ، فالأمة تقترن حضارتها وقوة ثقافتها بوجود هذا الفن على ساحتها الأدبية ، وقد أعطت قراءها نموذجاً في هذا الجانب عن شخص أبي دلامة وأدبه الذي عاش في عصر الدولة العباسية وكان مقرباً ومحبباً إلى الخلفاء ، وفضلوه بالأعطيات والمنح(٢) . وهذا عائدٌ في نظرها إلى أن أبا دلامة عاش في عصرٍ اتسم بالحضارة ، فقدر ظرف أدبائه وفلاسفته ، ثم قالت متسائلة : ((وأين مجاننا وأدباؤنا وفلاسفتنا ؟ - لا أين ! وما ذلك لعمري لأن جيلنا هذا مجدب عقيم لا يثمر بطبيعته أمثال أدباء تلك العصور الذهبية وأمثال مجانهم وأمثال فلاسفتهم ولكن ذلك لأن عصرنا هذا عصر مادي منحط دنئ))(٣) .

وربما أرادت « البيان » أيضاً أن يكتشف قراؤها القيمة التاريخية والأدبية لما نشرته من طرف وفكاهات ، فهي لا تتوقف عند الهزل كما يظن الكثير ، وخاصة التراثية منها، إذ تكشف عن كثير من العادات والتقاليد للمجتمع العربي في العصر العباسي ، وأخلاق الخلفاء في ضبط النفس وبذل العطاء ...(٤) .

وخلاصة القول : يلاحظ إن " البيان " من خلال تنويعها لمصادر أدب الطرفة والفكاهة ، من تراثية ومترجمة ومعاصرة ، فيما يبدو لي أنها مثلت الإرهاصات الأولى والمبكرة لظهور هذا الأدب في العصر الحديث ، في عصر كانت فيه الحياة قوية وجادة ، وعانت فيها مصر شتى ضروب الاستعمار والاستبداد ، فلم تساعد الظروف إذاك على بروز هذا الفن الذي يسانده الترف الذهني . وبذلك سبقت " البيان " عصرها ، ولعلها هي من أوحت إلى ظهور الصحافة الفكاهية في مصر بعدئذٍ أمثال " الكشكول " ١٩٢١ م ، و « البعكوكة » ١٩٣٧م .

---

(١) ع ٢ و ٣ ، س ٢ ، ١٩١٢م ، ص ١١٧

(٢) انظر : ع ٤ ، س ٤ ، ١٩١٥ م ، ص ٢٤ .

(٣) (نفسه) .

(٤) انظر : العقاد : " دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية " ص ٦٨ ، ٧٠ .

٢ـ « البيان » وقضية المرأة :

فجرّ دعاة سفور المرأة في مطلع القرن العشرين زوبعة كبيرة على الساحة الأدبية والاجتماعية ، وموجة عارمة من الغضب والتسخط وردود الفعل المناوئة ضدهم في كثير من الصحف ، وهي الحركة التي قادها قاسم أمين عام ١٨٨٩م، المتعلقة بحجاب المرأة ، متأثراً في ذلك بالفكر الغربي[١] .

وقد شاركت البيان " في هذه القضية بما نشرته من المقالات الاجتماعية ، فرأت أن دورها يتوقف على إبراز الآراء المتضادة بين ما تنشره لكتابها المعاصرين ، وما تترجمه لكتاب الغرب عن المرأة والمتسمة آراؤهم بالروح الشرقية ، بعدما رأت ـ حسب قولها ـ السخط الثائر إبانئذٍ في أوروبا من جراء المغالاة في منح المرأة كثيراً من الحقوق المصطنعة مما لا تتفق وطبيعتها النسائية . وهي بهذا الرأي أيضاً تواجه أرباب السفور في مصر[٢] . فترجمت عن شوبنهور ، قوله : ((إن مركز المرأة أعني " السيدة " في أوروبا مركز كاذب لأنها لا تصلح - وهذا رأي القدماء - لما أصبحنا نخصها به من آيات التشريف والتقديس حتى عادت تشمخ على الرجل أنفاً ... وخلاصة القول أنه لابد من إنزال المرأة " السيدة " عن منزلتها الباطلة المكذوبة إلى مكانها الحقيقي . أجل إذا كان هناك مخلوق يجب محوه من الكون فهو " السيدة الأوروبية " لأنها خارجة على نظام الكون. نحن لا نريد " السيدة " وإنما نريد " ربة البيت " الخبيرة بشؤونه العليمة بطرق تدبيره المؤدبة المتواضعة الخاضعة العارفة وظيفتها ومنزلتها وقدر نفسها . غير الشامخة ولا المتغطرسة ولا المتكلفة ولا السخيفة التي أضحكت منا أهل العالم بالحمق والجهل والادعاء الكاذب))[٣] .

---

(١) د. حسين ، محمد محمد: « الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » ج ١ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٨ .

(٢) ع ٣ ، س ٥ ، ١٩١٧م ، ص ٤٠ .

(٣) (السابق) ع ١٠ و ١١ ، ص ١٤٨ - ٩ .

وفي مقابل آراء نيتشه وشوبنهور عن المرأة التي نشرتها " البيان " عام ١٩١٧م ، كذلك اطلعت قراءها في نفس العام على آراء الكاتب عبده البرقوقي في سلسلة مقالات بعنوان (مركز المرأة الاجتماعي) التي امتازت بالانفتاحية والاتزان وكان من رأيه أن القضية ليست في سفور المرأة ، وهي وليدة الزمان بدعوات قاسم أمين إنما في تعليمها الذي يرفع من شأنها ، ويعلي قدرها ، ويمنحها ثقة في نفسها ، ومن ثمَّ يبدد عنها غياهب الجهل وينشلها من أوحال الأوهام والخرافات الآخذة بتلابيب المرأة العربية والمصرية خاصة نتيجة العادات القديمة الموروثة من القرون الغابرة(١) .

كما رأى أن الدين الإسلامي هو خير من أعطى المرأة حقوقها في جميع المجالات مقارنة بجميع أنظمة الشعوب المختلفة المتمدنة وغير المتمدنة ، إذ قال : ((انتشل الإسلام المرأة العربية من وهدة الانحطاط التي كانت فيها ورفع عن كاهلها كثيراً من المظالم ورد إليها حقوقها المسلوبة وصعد بها إلى مستوى الإنسانية وخولها حقوقاً لم تحصل عليها بعد المرأة الأوربية))(٢) .

كذلك نشرت " البيان " في السنة السابعة ١٩١٩م مقالتين للكاتب محمد محمود جلال بعنوان (حول نهضة السيدة المصرية) تشابهت آراؤه فيها مع آراء عبده البرقوقي ، فقد ذكر أن تعليم المرأة ضرورة وخطوة كبرى في سبيل تهذيب الأبناء ، كما أنكر آراء دعاة السفور الذين غالوا في وصف شقاء المرأة وتقيدها ، فهؤلاء لديه يعيشون في عالم الخيال فالمرأة المصرية مستمتعة في الواقع بكل ما ينعم به الرجل من الحرية ولها حرمة مرعية عند زوجها ورأي محترم في عشيرتها(٣) .

ومن خلال ما سبق اتضح أن " البيان " آمنت بدور المرأة ومكانتها السامية في الحياة العامة والخاصة ، وعادت بالفضل في ذلك إلى الدين الإسلامي الذي وهبها

(١) انظر : (السابق) ع ٦ و ٧ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢) (السابق) ع ٣ ، ص ٣٩ .

(٣) انظر: ع ٥ ، س٧ ، ١٩١٩م ، ص ٢٣٦ وما بعدها ، و(السابق) ع ٦ ، ص ٣١٣ وما بعدها.

حقوقاً اجتماعية وأدبية وأهلية ، فكانت المرأة بذلك النصف المتم للأمة [1]. وقد برز هذا الشعور بصورة أقوى في اهتمامها بالمرأة الأديبة المفكرة ، فلم تغفل المجلة عن ذكر أسماء أديبات عصرها والإشارة إلى دورهن في مجال الأدب أمثال : مي زيادة (ت ١٩٤١م) وكذلك باحثة البادية ، حين وصفتها بذات الأدب والتفكير المهذب المستنير[2]. فقدمت لها تأبيناً في عام وفاتها ١٩١٨م ، بعنوان (النكبة الأهلية الكبرى) أشار كاتبها في مضمون حديثه إلى إمكانيات المرأة الشاملة في أن تكون ابنة وزوجاً وأماً وأديبة صالحة ، فبموت السيدة ملك ناصف فقدَ عالم الفكر والدعاة إلى الإصلاح عنصراً من عناصر رقي الأسرة ، وانهدَّ ركن من أركان النهضة الأدبية . فهي قد حازت ((الشأو البعيد في الآداب ، والسهم الأكبر من البحث ، والنصيب الأجزل من الفلسفة العصرية))[3] . ولذا كان موتها نكبة أهلية لأنها امرأة اتصفت بالعظمة والعبقرية ، وهذا في رأيه عنصر غريب لا يوافق طبيعة النساء ، فكانت هبة الله لمجتمعها ، ودرة عصرها[4].

أما الأديبة مي زيادة فقد أشادت " البيان " بنبوغها وألمعيتها وذكائها المتوقد ، وشخصيتها الممتازة وقوة ملاحظتها وتفكيرها الحي المبتكر المتوثب في الكتابة والتأليف ، فقالت عنها بمناسبة كتابها (باحثة البادية) : ((يحق لجميع الناطقين بالضاد أن يدلو بها، ... تفاؤلاً بالخير العميم الذي سنناله من وراء وثبة الشرقيات ـ وآية ذلك كله ما نراه اليوم في هذا الكتاب الذي بين أيدينا ـ كتاب الآنسة مي عن باحثة البادية ـ وليتصور القارىء الكريم ماذا تكون قيمة ما تكتبه عن كاتبة ، كاتبة مثلها))[5] .

---

(١) انظر: ما كتبه « البيان » عن عظمة المرأة الشرقية ومركزها في الإسلام " ع ٣ ، س ٧ ، ١٩١٩م، ص ١٨١.
(٢) انظر : باب (مطبوعات جديدة) ع ٧ ، س ٨ ، ١٩٢٠م ، ص ٤٦٢ .
(٣) انظر : باب (أحداث الشهر) ع ٨ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ٢٣٢ .
(٤) (نفسه) .
(٥) انظر : باب (مطبوعات جديدة) ، (السابق) ص ٤٦٢ .

٤- « البيان » ونقد الصحف والصحافة :

كانت « البيان » تترقب بعض الإصدارات الجديدة في عالم الصحافة الأدبية في مصر وخارجها ، وتتناوله بالتقريظ ، وأحياناً بالنقد إذا استدعى الموضوع . وجعلت ذلك في باب (مطبوعات جديدة) وابتدأت به منذ السنة الثانية فأوردت عدة أسماء من المجلات الشامية ، ومع التزامها بوصف الأهداف من إصدارها ، وذكر أسماء أصحابها كمجلة "المنهل" لصاحبها محمد موسى المغربي التي صدرت في القدس الشريف ، وعنيت بموضوعات الأدب والتاريخ والاجتماع . و" مجلة العلوم الاجتماعية " التي أنشأها المحامي توفيق الناطور في بيروت ، ووقف صفحاتها على البحث في المسائل القانونية والاجتماعية والاقتصادية (١). كما أعلنت " البيان " عن صدور صحيفة " عكاظ " الأسبوعية لصاحبها الشيخ فهيم قنديل أحد خريجي الأزهر ، قالت عنها : ((أبى الشيخ فهيم لما آنسه في نفسه من الكفاءة الصحفية إلا أن ينظم للناس قلادة أدب، في لغة العرب ، يود المطلعون إليها أن تكون كما ترجو مصر من أبناء هذا العصر ، فتكون مثال أدب النفس ، وأدب الدرس ، إن شاء الله))(٢) .

كما تناولت « البيان » بعض الصحف بالنقد البناء ، منها مجلة « للمستقبل » لسلامة موسى (ت ١٩٥٨م) وذلك ليكون القراء على وعي بمنهجها وأهدافها وأسباب إصدارها(٣). فذكرت أن الصحيفة نهجت بالكتابة والبحث منهجاً جديداً إذ أدخل

---

(١) انظر : ع ٨ و ٩ ، س ٢ ، ١٩١٣م ، ص ,٥٦١

(٢) (السابق) ع ٥ و ٦ و ٧ ، ص ٣٩٧ .

(٣) قبل أن تتحدث " البيان " عن مجلة المستقبل ، قرّظت صحيفة (السعادة الأبدية) للشيخ عبد الرحمن الحسيني ، والذي أقامها من أجل الوعظ والإرشاد ، وقد أثنت " البيان " على المجلة وصاحبها الذي أفلح في اتخاذ الخط الصحفي . وكأنها بحديثها هذا تمهد لصحيفة المستقبل التي خرجت بمنهجها عن الموروث العربي الديني . انظر : باب (مطبوعات جديدة) ع٤ ، س٣ ، ١٩١٤م ، ص ٢٦٨ .

صاحبها على المبادئ الشرقية عناصر جديدة من ضروب الإصلاح الغربي . وقد أخذت « البيان » على « المستقبل » أمرين مهمين وهما :

١ ـ عدم احتفال صاحبها بلغة الكتابة حتى أنه لا يبالي في رأيها على أية عبارة يقع ، ولعل هذا لديه من أركان الإصلاح في نظر المستقبل .

٢ ـ عدم تقديره للبيئة الشرقية التي يكتب لها كما يجب وكما هو خليق بالمصلح الحكيم ، وبصدد هذا الأمر علّقت " البيان " على اندفاع المجلة ولهفتها في التقليد بقولها : ((وإذا كان الشرق بحاجة إلى الإصلاح على النحو الذي يتطلب المستقبل فإن أول واجبات المصلح أن يتدرج في الإصلاح ويسير الهوينا كي يظفر آخر الأمر بالفلاح والنجاح والله يسدد خطانا أجمعين))(١).

ولم تتوان " البيان " أيضاً في الرد على مجلة المقتطف في مقال بعنوان (المقتطف مجلة مصرية للمصريين) بقلم (ط . ر) عندما خرجت عن دائرتها العلمية الجادة والرسالة الصحفية التي صدرت من أجلها وتد خلها في الشؤون السياسية بما جرح شعور المواطنين المصريين ، فقالت " البيان " : ((للمقتطف مكانة محترمة عند فريق كبير من قرائه و لأقواله قيمة خاصة لما يبدو عليها من دلائل الميل إلى التحقيق العلمي ، ولذلك كان عجيباً لدينا أن يصدر حكماً قاطعاً يتناول فيه أشرف وجوه الوطنية المصرية بالتجريح ويردفه بأحكام أخرى تناقض ما اقتنع به المصريون بل وما اعترف به خصومهم الإنجليز ، وهو يدلل على ذلك كله بعبارات سفسطية متفككة لم تسلم من التناقض ومنطق كمنطق العامة الذين لم يرق بهم التفكير إلى الوصل بين المقدمات والنتائج وتحقيق الأمور من وجوهها المتعددة))(٢).

---

(١) (نفسه) .

(٢) ع ٤ ، س ٩ ، ١٩٢١م ، ص ١٥٩ .

وقد قصدت « البيان » من أمثال هذا النقد التقويم لرصيفاتها من الصحف الأدبية، فلم ترد من " المقتطف " أن تتورط في أحكام ومواضيع تفقدها ثقة قرائها . لأنه يجب أن تدع الشؤون السياسية للصحف المختصة بها كالمقطم وغيرها ، بل حاولت أن تذكرها بنسبتها إلى مصر والتي منها صدرت وانتشرت ، كما أوحت للقراء بذلك من خلال عنوان المقالة (المقتطف مجلة مصرية للمصريين)(١) .

ومما يدل أيضاً على تفهم " البيان " لرسالة الصحافة ، أنها قامت بنشر مقالات تمثل الوجهة الصحفية الصحيحة ، فكانت منها مقالة (الصحافة عندنا) للكاتب مصطفى عبد الرازق (ت ١٩٤٧م) الذي رأى فيها أن الصحافة مرآة جديدة للمدينة المعاصرة ، وصورة حية لمنازع الناس وحياتهم ومظاهر أخلاقهم ولذا طالب أصحاب المجلات بأن يحسنوا اختيارهم للموضوعات وبيانهم في الأسلوب ، وأن يكونوا نصحاء أمناء أوفياء للعلم ، فهم بمثابة الأدلاء لطلاب العلم ورواد البحث . فعليهم بحسن التصرف في نظام البحث ومناهجه ، وإفساح صدورهم لآراء المخالفين ومناقشاتهم ، والعمل على خدمة تقدم العلوم وحريتها ، وتحبيب الناس في العلم(٢).

---

(١) (السابق) ص ١٦٠ .

(٢) ع ٥ و ٦ ، س ٦ ، ١٩١٨م ، ص ١٦٦ ، ١٦٨ .

الخاتمة والنتائج

والآن وبعد أن عشت فترة مع « البيان » منذ نشأتها - وقد نشأت ناضجة يافعة - إلى ازدهارها . ثم توقفها عن الصدور . يُخيّل إليّ أن حياتها ومنهجها وسيرتها مستمدة من حياة وشخصية صاحبها ، فإذا كان أهم ما يورث الإنسان بعد مماته العلم الذي ينتفع به، فقد خلف عبدالرحمن البرقوقي - رحمه الله - بالبيان آثاراً لا تمحى من ذاكرة الزمن ، ونتائج طيبة موجزها على الصورة التالية :

١ - إن تأثير مجلة « البيان » في الأدب الحديث نابع من منهجها القويم ، وأهمها وصل الحاضر بالماضي ، بما استمدت من عيون التراث العربي ، وترجمت مما لدى الغرب من علم وأدب . وقد حددت لهذا الاتجاه أربعة قضايا أساسية لم تخرج عنها ، وهي : اللغة والتاريخ والنقل والتعريب .

٢ - كان هدف " البيان " من اتخاذ الأصالة والمعاصرة في مسيرتها الصحفية ، أن توفق بين اتجاهين ظلا يتنازعان الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي ، وقد شكل هذا فيما بعد اتجاهاً سارت عليه مجموعة من المجلات المتخصصة الجادة .

٣ - من منهج « البيان » رفع الحدود بين العلم والأدب والصحافة ، مما كان له دوره في أن تتخذ مفهوماً جامعاً لكلمة (الأدب) ليأتي شاملاً لديها لمعنى الثقافة والأخذ من كل فن بطرف ، على نحو ما ذهب إليه أسلافنا الأقدمون ، لا بمعناه الخاص الذي يقتصر على فن القول فقط ، وهذه الشمولية لكلمة أدب جعلتها تتوسع في أمر الترجمة ، بل اتسعت دائرتها لتشمل لديها ترجمة فصول وموضوعات من الكتب الأدبية ، والأبحاث والدراسات الإنسانية والعلمية . وهي بهذا ، مشاركة في تطوير الأدب الحديث ؛ لأن العلم والأدب كل منهما يدعم الآخر .

٤ - اهتمت مجلة « البيان » بإحياء التراث ؛ لأن فيه إحياء للروح الإسلامية ، وقد اعتبرته أيضاً مسألة قومية عربية ، وأحد الأسلحة التي تواجه بها الاستعمار ، وسداً منيعاً أمام المدّ الهائل من الثقافة الغربية ، وسيطرتها على معظم الصحف السورية .

كما أنها أوجدت بهذا الاهتمام نوعاً من التوازن النفسي والإعلامي ؛ لأن التراث مصدر مهم من مصادر الرقي الأدبي والفكري ، فصححت بذلك المظنة التي غرسها الاستعمار ، ومن يمثله في أذهان الناشئة ، بأن اللغة والأدب والتراث العربي الإسلامي قاصر عن الاتصال بالفكر الحديث .

و« البيان » بمواقفها الثابتة ، هذه من التراث العربي الإسلامي أسهمت في بعث احترامه في نفوس الناشئة هذا الاحترام الذي تربت عليه أجيال القرن العشرين .

٥ - آمنت « البيان » بأن الفصحى أداة فكر وأدب ولذا أقرّت في منهجها اتخاذ الأساليب البيانية لتكون لغة الكتابة والفكر الإنساني لكل عربي ومسلم فتساعده على التمسك بهذا الموروث حتى لا يفقد هويته . ومن هذا المنطلق جابهت «البيان » بشدة وصرامة الدعوات إلى العامية وقضية " تمصير اللغة " لأنها رأت في هذه الدعوة المعول الذي يهدم كل ما ورثه أبناء الأمة الإسلامية من لغة وأدب ويشكك في تراثهم ، وليقينها أن حماية اللغة هو عنوان تقدم الأمة العربية الإسلامية ، وأنّ التفريط فيها يعني ضياع هذه الأمة وحلّ العروة الوثقى التي تربط بين أبنائها .

٦ - خدمت « البيان » الأدب الحديث عن طريق الترجمة أكثر مما خدمته بالنقل من التراث العربي ونشر إبداعات كتابها المعاصرين . فقد رأت في ترجمة الرفيع من أدب الغرب وثقافته حاجة وضرورة ماسة في ذلك العصر ، عصر النهضة وعصر الصراعات الفكرية . فالترجمة عند « البيان » ضرب من ضروب الوطنية والفكر السامي ، ومن أفضل الوسائل لتنوير وتوسيع نطاق المعرفة . وقد كانت تبحث عن فكر جديد يحمل المبادئ السامية ويستند على الأفكار الراقية والمذاهب الحية المتوقدة :

أ - ترجمت كثيراً من الشعر الرومانطيقي وأبرزت أهم خصائصه الفنية ، وهي : الصدق الفني للتجربة الشعرية ، والتي تقترن بالصدق والحقيقة ، توظيف الخيال ،

علاقة الطبيعة بمشاعر الفنان . كما كانت « البيان » من أولى المجلات الأدبية التي دللت على أهمية الوحدة العضوية من خلال ما ترجمته من الشعر الرومانطيقي ، وقد أسمته القصة الشعرية ... فكانت بذلك من أهم الصحف الداعية إلى تجديد الشعر العربي في مطلع القرن العشرين .

ب ـ عرّفت قراءها بأدب الاعترافات فترجمت لهذا اللون من الأدب ، وألقت الضوء على معناه وأساليب كتابته .

ج ـ كانت من أولى الصحف التي روّجت للقصة الواقعية ، فترجمت لأعلامها في الغرب ، وحثت أدباء القصة العرب على الكتابة على منوال كتابها ، واختارت ما يمثل الحياة الاجتماعية والثقافية ، والذوق الأدبي الرفيع ، فكان أكثر اهتمامها فيه منصباً على إبراز النواحي الموضوعية من الشكل الفني .

د ـ شاركت في تغيير النظرة للمسرح، والذي كان ينظر إليه بنوع من الزراية والانتقاص، فأبدت « البيان » تفهماً أكبر لدور التأليف المسرحي في تطوير المجتمع ورقيه فكرياً، فترجمت من المسرح الألماني لاهتمامه بمضمون العمل الفني .

هـ ـ أسهمت في تطوير المقالة الأدبية من خلال ترجمة الموضوعات الأدبية التي مسّت حاضرها ، ثم النسق والنظام الذي أتت به تلك المقالات لتكون مجالاً يستوحي منه الناشئون الطريقة المثلى في الكتابة .

٧ ـ حولت « البيان » مسار الترجمة من التسلية إلى الثقافة الواعية لمصلحة الحياة والمجتمع والأدب ، وخاصة أن ما ترجمته « البيان » من الأنواع الأدبية كان جديداً على الأدب العربي ، كما طرحت المعاني الأدبية الرفيعة .

٨ ـ أسهمت بقوة في تغيير الحاسة النقدية من خلال تفهمها لكل الطاقات المبدعة والمجددة للشباب المتطلع إبانئذ وخاصة الثلاثي الشهير شكري والمازني والعقاد ، وهؤلاء بالفعل مثّلوا على صفحاتها الأصالة والمعاصرة من خلال ثقافاتهم المتعددة .

٩ - حملت « البيان » الإرهاصات الأولى لكتاب « الديوان » الذي صدر عام ١٩٢١م ؛ لأنها استقبلت كل الآراء الجريئة المطروحة على صفحاتها لأصحاب المذهب الجديد في النقد سواء كانت نظرية أم تطبيقية .

١٠ - « البيان » مصدر أدبي مهم ؛ لأنها تكشف لنا الاتجاهات الأدبية المختلفة المحافظة والمجددة ، وطرائقها المتباينة في الأسلوب والفكر ، كما أنها سجل حافل أرّخ فيه كثير من الكتاب والأدباء الأحداث التي تزامنت مع فترة الحرب العالمية الأولى .

وخلاصة القول: لعل هذا البحث وضح دور صحيفة « البيان » الذي اضطلعت به في نهضة الأدب الحديث، وكشَفَ شيئاً عن تأثيرها في دعم الحركة الأدبية الحديثة في سائر الوطن العربي .وهذا أتى بفضل عدة أمور وهي:انتصار « البيان » لاتجاه الأصالة ونشرها بعض من عيون التراث العربي ثم انفتاحها على الأدب الغربي ومذاهبه،وترجمة البحوث والدراسات الجادة. كما فتحت المجال لرواد الحركةالإبداعية الحديثة في بداية خطواتهم الأدبية، والذين طوروا النقد الأدبي بأسلوب علمي جديد على صفحاتها.

و« البيان » بهذا استطاعت أن تساهم في تغيير ذوق المثقف العربي ، وتهيئ له الحاسة الأدبية الرفيعة لتقبُل تراث أمته وآداب الأمم الأخرى.

﴿ الفهارس ﴾

❖ فهرس الأعلام .

❖ فهرس المصادر والمراجع

❖ فهرس الموضوعات

فهـرس الأعــلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ أدهم ، علي : " على هامش الأدب والنقد " دار المعارف ، مصر ١٩٧٧م .

٢ ـ الإسكندري ، أحمد ، وأمين ، أحمد ، والبشري ، عبد العزيز ، وضيف ، أحمد : «المفصل في تاريخ الأدب العربي في العصور القديمة والوسيطة والحديثة » تقديم وضبط وتعليق د. حسان حلاق ، ط١ ، دار احياء العلوم ، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

٣ ـ الأمين ، عز الدين : " نشأة النقد الأدبي الحديث في مصر " ط٢ ، دار المعارف ، مصر ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

٤ ـ د. الأيوبي ، ياسين : " مذاهب الأدب معالم وانعكاسات " ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م .

٥ ـ البرقوقي ، عبد الرحمن : " حضارة العرب في الأندلس " ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م .

٦ ـ (السابق) : " دولة النساء ، معجم ثقافي ، اجتماعي ، لغوي عن المرأة " ط١ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٥م .

٧ ـ (السابق) : " الذخائر والعبقريات " ج١-٢ ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د.ت) .

٨ ـ (السابق) : " شرح ديوان حسان بن ثابت " دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٩ ـ (السابق) : " شرح ديوان المتنبي " ج١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م .

١٠ ـ البرقوقي ، عبد الرحمن ، والحداد ، نقولا : " أبو الطيب المتنبي : حياته وشعره " المكتبة الحديثة ، بيروت ، (د. ت) .

١١ ـ تاجر ، جاك : " حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر " دار المعارف ، مصر (د. ت) .

١٢ - تيغم ، بول فان : " الرومانسية في الأدب الأوروبي " ترجمة : صيّاح الجهيم ، ج١ ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ١٩٨١م .

١٣ - الجندي ، أنور : " تطور الترجمة في الأدب العربي المعاصر " مطبعة الرسالة ، القاهرة (د. ت) .

١٤ - (السابق) : " المعارك الأدبية في مصر منذ ١٩١٤- ١٩٣٩ م " ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٨٣م.

١٥ - حاتم ، عماد : " مدخل إلى تاريخ الآداب الأوربية " ط ٢ ، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤م .

١٦ - حسن ، محمد عبد الغني ، ود. الدسوقي ، عبد العزيز : " روضة المدارس : نشأتها واتجاهاتها الأدبية والعلمية " الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .

١٧ - حسن ، محمد عبد الغني : " فن الترجمة في الأدب العربي " الدار المصرية للتأليف والترجمة (د. ت) .

١٨ - حسين ، محمد محمد : " الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج١ ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٣٨١هـ .

١٩ - د. حمزة ، عبد اللطيف : " أدب المقالة الصحفية " ج٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥م .

٢٠ - الخطيب ، حسام : " محاضرات في تطور الأدب الأوروبي ونشأة مذاهبه واتجاهاته النقدية " مطبعة النصر ، دمشق ١٩٨٢م .

٢١ - خلف الله ، محمد : " من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده " ط٣ ، دار العلوم ، الرياض ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

٢٢ - خورشيد ، إبراهيم زكي : " الترجمة ومشكلاتها " الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م .

٢٣ ـ خورشيد ، فاروق : " بين الأدب والصحافة " ط ٤ ، دار اقرأ ، بيروت ١٩٨٠م.
٢٤ ـ الخوري ، شحادة : " الترجمة قديماً وحديثاً " منشورات دار المعارف ، سوسة / تونس (د. ت) .
٢٥ ـ الخير أبادي ، الماتريدي العمري ، مولوي محمد فضل الحق : " الهدية السعيدية في الحكمة الطبيعية " شرح : عبد الرحمن البرقوقي ، مطبعة مجلة المنار الإسلامية، القاهرة ١٣٢٢هـ .
٢٦ ـ " دراسات في اللغة والحضارة " منشورات الحياة ، تونس ١٩٧٥م .
٢٧ ـ د. درديري ، إبراهيم : " تراثنا العربي في الأدب المسرحي " ط١ ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م .
٢٨ ـ د. الدسوقي ، سيد ، وحمدي ، علي أحمد ، ود. العبد ، عبد المجيد ، وكين ، مارتن ، ود. عنبر ، تغريد ، ود. عبد الكريم ، محمد صلاح ، ورشاد ، عارف أحمد : " الترجمة قضايا ومشكلات وحلول " ج٢ ، دراسات أعدتها بتكليف من المكتب مجموعة من خبراء الهندسة الاجتماعية ، مكتب التربية لدول الخليج، الرياض ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
٢٩ ـ د. الدسوقي ، عبد العزيز : " تطور النقد العربي الحديث في مصر " المكتبة العربية والهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧م .
٣٠ ـ الدسوقي ، عمر : " في الأدب الحديث " ج١-٢ ، ط ٨ ، دار الفكر ، القاهرة ١٩٧٣م .
٣١ ـ (السابق) : " نشأة النثر الحديث وتطوره " دار الفكرالعربي ، القاهرة (د.ت) .
٣٢ ـ د. أبو ذكرى ، سيد : " المقال وتطوره في الأدب الحديث " دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١- ١٩٨٢م .
٣٣ ـ الزركلي ، خير الدين : " الأعلام " ط٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م.
٣٤ ـ زيدان ، جرجي : " تاريخ آداب اللغة العربية " ج٢ ، ٤ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٩٢م .
٣٥ ـ (السابق) : " مختارات جرجي زيدان " دار التراث ، بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

٣٦ ـ سابا يارد ، نازك : " الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة " ط١ ، مؤسسة نوفل ، بيروت ١٩٧٩م.
٣٧ ـ د. السيد ، شفيع : " اتجاهات الرواية العربية في مصر " ط ٢ ، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٩٣م .
٣٨ ـ د. بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن : " تراثنا بين ماضٍ وحاضر " دار المعارف، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٠م .
٣٩ ـ شاكر ، محمود محمد : " أباطيل وأسمار " ج١ ، ط٢ ، مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٧٢م .
٤٠ ـ د. شرف ، عبد العزيز : " الأدب الفكاهي " ط١ ، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة ١٩٩٢م.
٤١ ـ د.شلش ، علي :" المجلات الأدبية في مصر تطورها ودورها دراسة تطبيقية من ١٩٣٩إلى ١٩٥٢ " الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٨م.
٤٢ ـ الشيال ، جمال الدين : " تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية " دار الفكر العربي ، بيروت ١٩٥٠م.
٤٣ ـ د. الصيادي ، محمد منجي : " التعريب وتنسقيه في الوطن العربي " ط٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، لبنان ١٩٨٤م .
٤٤ ـ د. ضيف ، شوقي : " الأدب العربي المعاصر في مصر " ط ٥ ، دار المعارف ، مصر ١٩٧٤م .
٤٥ ـ (السابق) : " الفن ومذاهبه في النثر العربي " ط ٦ ، دار المعارف ، مصر ١٩٧١م .
٤٦ ـ (السابق) : " في النقد الأدبي " ط ٢ ، دار المعارف ، مصر ١٩٦٦م .
٤٧ ـ دي طرازي ، الفيكونت فيليب : " تاريخ الصحافة العربية " ج١ ، بيروت ١٩١٣م .
٤٨ ـ أبو عثمان ، عمرو بن بحر الجاحظ : " البيان والتبيين " ج١ ، دار الفكر للجميع ، بيروت ١٩٦٨م .

٤٩ ـ د. العزب ، محمد أحمد : " دراسات في الأدب " مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
٥٠ ـ (السابق) : " عن اللغة والأدب والنقد " المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت (د. ت)
٥١ ـ د . عزيز ، يوئيل يوسف ، والواسطي ، سلمان داؤد ، والنجم ، عبد الوهاب : " الترجمة الأدبية : قسم اللغة الإنجليزية وآدابها للسنة الرابعة " وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومطابع مديرية دار الكتب ، جامعة الموصل ١٩٨١م .
٥٢ ـ د. العشماوي ، محمد زكي : " دراسات في النقد الأدبي المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
٥٣ ـ (السابق) : " الرؤية المعاصرة في الأدب والنقد " دار النهضة العربية ، بيروت (د. ت) .
٥٤ ـ العقاد ، عباس محمود : " دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية " المكتبة العصرية ، بيروت (د. ت) .
٥٥ ـ أبو عوض ، أحمد ، والفارابي ، عبد اللطيف : " الحركات الفكرية والأدبية في العالم العربي الحديث " ط٢ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٩٨٣م .
٥٦ ـ غالب ، مصطفى : " عباقرة الأدب " ، منشورات حمد ، بيروت ١٩٧٤م .
٥٧ ـ أبو الفضل ، جمال الدين محمد بن مكرم : " لسان العرب " ط١ ، دار الفكر ودار صادر ، بيروت ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
٥٨ ـ فهمي ، شما : " الترجمة علم وفن واختصاص " المطبعة (بدون) ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
٥٩ ـ د. فؤاد ، نعمات أحمد : " إبراهيم عبد القادر المازني " ط٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٦١م .
٦٠ ـ (السابق) : " قمم أدبية " ط٢ ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٨٤م .

٦١ - د. فياض ، محمود : " الصحافة الأدبية بمصر " ١٩١٤م - ١٩٣٩م " ج٢ " الأدب والمجتمع " وج٣ " ثورة الأدب " الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية ، مصر ١٩٨١م- ١٩٨٢م.

٦٢ - (السابق) : " الصحافة الأدبية بمصر وأثرها في تطوير الأدب الحديث إلى قيام الحرب العالمية الأولى " رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، القاهرة ١٩٦٠م .

٦٣ - د. القاعود ، حلمي محمود: "مدرسة البيان في النثر الحديث" دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٦ .

٦٤ - القزويني الخطيب ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن : " التلخيص في علوم البلاغة " ضبط وشرح : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م .

٦٥ - د. الكتاني ، محمد : " الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث " ج ١-٢ ، ط ١ ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٦٦ - محمد ، إبراهيم عبد الرحمن : " الأدب المقارن بين النظرية والتطبيق " مكتبة الشباب ، القاهرة ١٩٧٦م .

٦٧ - د. محمد ، محمد سيد : " الزيات والرسالة : ط١ ، دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

٦٨ - (السابق) : " الصحافة سلطة رابعة كيف ؟ " مطبوعات الشعب ، القاهرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٦٩ - (السابق) : " هيكل والسياسة الأسبوعية " ط ١ دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٧٠ - مرّوة ، أديب : " الصحافة العربية نشأتها وتطورها " ط١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦١م .

٧١ - د. المغازي ، أحمد : " الصحافة الفنية في مصر نشأتها وتطورها من الحملة الفرنسية ١٧٩٨م إلى مصر الدستورية ١٩٢٤م " ج١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م .

٧٢ ـ المقدسي ، أنيس : " الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث " ط ٦ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٧م .
٧٣ ـ (السابق) : " تطور الأساليب النثرية في الأدب العربي " ط ٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٢م .
٧٤ ـ " موسوعة المصطلح النقدي " ترجمة : د. عبد الواحد لؤلؤة ، ج١ ، ط٢ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣م .
٧٥ ـ " مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة " الموضوعة ، القسم الأول : النظرات ، دار الجيل ، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
٧٦ ـ د. مندور ، محمد : " الأدب وفنونه " دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧م .
٧٧ ـ المنفلوطي، مصطفى لطفي: " مختارات المنفلوطي " ط١ ، مطبعة كرم ومكتبتها، دمشق ١٩١٢م .
٧٨ ـ د. نجم ، محمد يوسف : " القصة في الأدب العربي الحديث ١٨٧٠م ـ ١٩١٤م " دار الثقافة ، بيروت (د. ت) .
٧٩ ـ (السابق) : " نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية في الأدب العربي الحديث ، مقدمة ودليل " ط ٢ ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٥م .
٨٠ ـ د. النساج ، سيد: " في الرومانسية والواقعية " مكتبة غريب ، القاهرة ١٩٧٧م .
٨١ ـ هارون ، عبد السلام : " التراث العربي " المركز العربي للثقافة والعلوم ، بيروت (د. ت) .
٨٢ ـ د. هلال ، محمد غنيمي : " الأدب المقارن " ط٣ ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٧م .
٨٣ ـ د. هلال ، محمد غنيمي : " النقد الأدبي الحديث : ط٣ ، دار العودة ، بيروت ١٩٨٧م .
٨٤ ـ هيكل ، أحمد : " تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى " ط٦ ، دار المعارف ، مصر ١٩٩٤ م .

٨٥ ـ والتر ألن : " الرواية الإنجليزية " ترجمة : صفوت عزيز جرجس ومراجعة : د. مرسي سعد الدين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦م .

الصحف والدوريات

١ - جميع أعداد مجلة " البيان " .

٢ - مجلة " الأزهر " تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة، ج٩-١٠، رمضان ـ شوال ، س٦١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

٣ - مجلة " البيان " إبراهيم اليازجي، القاهرة ، ع١ ، س١ ، مارس ١٩١٠م .

٤ - مجلة "الثقافة" تصدر عن وزارة الثقافة/الهيئة العامة للكتاب، القاهرة،ع٣١-٣٢ ، س٣ ، ١٩٧٦م .

٥ - مجلة " الرسالة " أحمد حسن الزيات، القاهرة ، ع١، س١٣١٥هـ / ١٩٣٣م .

٦ - (السابق) : ع ١٢٥، س ١٩٣٥م .

٧ - (السابق) : ع ١٣٨ ، س ١٩٣٦م .

٨ - (السابق) : ع ٥٦٨ ، س ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م .

٩ - مجلة " الرواية " أحمد حسن الزيات ، ع ١ ، س١ ، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م .

١٠ ـ مجلة " الزهور " أنطون الجميّل ، أمين تقي الدين ، القاهرة ، ع١ ، س١ ، مارس ١٩١٠م .

١١ ـ مجلة " الضياء " إبراهيم اليازجي، القاهرة ، ع١ ، س١ ، ١٨٩٨م ـ ٩٩ .

١٢ - (السابق) ع١٢ ، س٤ ، ٢٨ فبراير ١٩٠٢م .

١٣ ـ مجلة " عالم الفكر " تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، المجلد ١٩ ، ع يناير ـ فبراير ـ مارس ١٩٨٩م.

١٤ ـ مجلة " المقتطف " يعقوب صرّوف ، فارس نمر، المجلد ٢٧ ، ج٢-٣ ، ٢٢شوال، ٢١ذي القعدة ، ١٣١٩ هـ فبراير ١٩٠٢م .

١٥ ـ مجلة " المنار " محمد رشيد رضا، القاهرة ، المجلد الأول ، ١٣١٥هـ/ ١٨٩٨م.

الفهرس التحليلي للموضوعات

مطابع جامعة أم القرى